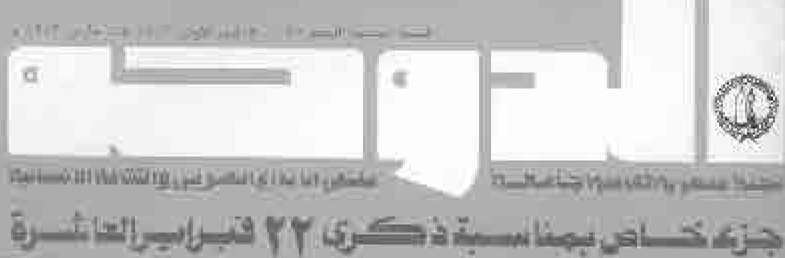


جزء خاص بمناسبة ذكرى ٢٢ فبراير العاشرة









سوق الفن: نحو أزمة عالمية

فشلت محاولة استنزاف ثروات العرب
والشرق عبر سوق الفنون الإسلامية

نحن لا ننتظر من شبابنا أن يحزن وييأس ويستكين . إننا ننتظر منه أن يشعل لنا شمساً جديدة ، وأن يخلص أوطانه مما هى فيه من ضياع وخداع وهوان .. وأن يرينا من عزمه المقتدر جنون الشجعان . ننتظر منه أن يضع مكان يأسنا أملا .. ومكان خوفنا اقتحاماً .. ومكان انكسارنا عزة وصلابة .. ومكان وجومنا بهجة وانطلاقاً ..



عايش الحياة بفرح وخذها بقوة .. هذه نصيحتي

بقلم

خالد محمد خالد

دخل عَلَيّ مكتسى الوجه بتهلل متكلف ، تعلو ثغره ابتسامة متعبة ، ويتهدل جفناه تحت رموش وهنانة . ووراء هذا كانت شخصيته تتلفع بقدر كبير من التشاؤم والحيرة .

هو فتى غض الأهاب ، ريان الشباب . آتاه الله ذكاء ووسامة . ومع الذكاء والوسامة صحة جيدة . ومعه كل ما يجعله للحياة صديقاً ودوداً ، وما يجعل الحياة توده وتحابيه ..

جلس حيث تعود أن يجلس . وراح يتدفق فى الحديث المكرر تارة ، والجديد تارة اخرى . وانا مشغول ومشغوف بالطريقة التى يحلل بها نفسه ، ويستعرض بها حياته .

لو اشتغل بالفلسفة لجاء منه فيلسوف جيد ، ولكن ظروف التعليم فى بلدنا ذهبت به الى دراسة الفنون الجميلة . وأى بأس .. أليس الفنان كالفيلسوف . كلاهما قادر على تفسير الحياة ومصادقتها ؟!

رأيت فيه وفى حيرته ومخاوفه شبابنا العربى المعاصر . وزاد ذلك من رغبتى فى الأصغاء لما يقول .

إنه واحد من القافلة المزدحمة التى تشق طريقها وسط الاتربة والصخور .

قلت له بعد أن أصغيت إليه طويلا : فلنرجع إلى طفولتك . فسرح بفكره بعيداً ثم قال : لا شىء غير عادى . اللهم إلا ذلك المشهد الذى اظن أنه قد ترك بصماته الضاغطة فى حياتى . مشهد جدتى وهى تعانى مرض الموت ، ثم وهى تسلم أنفاسها ، ويطوقها الموت بذراعيه القويتين الرهيبتين .

أومن أجل ذلك تحمل أكفانك ، وتعيش أنضر أيام حياتك بهذا المزاج

المأتمى .. ؟!!

كل الناس يرون المرض ويرون الموت .. ولكنهم يتفوقون عليهما برغبتهم فى الحياة وإصرارهم عليها .. فلنبحث فى شبابك الماثل ..

إنه شبابٌ فتىً أنهى حياته المدرسية والجامعية بنجاح . وإنه ليحيا حياة طيبة . لا هى حياة ترف ، ولا هى حياة فاقة .. ثم هو يشتغل بالتدريس . وله أنامل ذكية تستطيع أن تمارس مائة صنعة بمقدرة المتخصص . وفى هذا عون له على ملء فراغه .

إذن فما هى أزمته التى تجعله يفكر فى الموت بعمق ، وفى الحياة بحزن وفى المستقبل بفزع .. ؟!

إنها أزمة جيل بأسره كتب عليه أن يعيش فى عصر يضطرم بالمفارقات والتناقضات ..

جيل يكاد حكامه وسادته يدفعونه بسلوكهم إلى الانتحار إذا هو فكر تفكيراً جاداً ، أو إلى الضياع إذا هو أسلم نفسه إلى اللامبالاة . جيل يتمثل بقول الشاعر :

إنى لافتح عينى حين افتحها
على كثير ، ولكن لا أرى أحداً

جيل يسبح ضد التيار :

فى بحار تئن فيها الرياح
ضاع فيها المجداف والملاح

● ●

قلت للشاب الذكى : ان خوفك من الموت امتداد لخوفك من المستقبل .. والتهيب من المستقبل آفة الشباب فى عصرنا المونس .

ان الشاب قد يفقد اباه فجأة ـ كما حدث لك ـ فتتوتر علاقاته بمستقبله ، لأن الأب كان كل ما يحتاجه من أمن ودفء وكفالة .. وسقوطه بينما ابناؤه وسط الطريق يجعلهم يوجسون خيفة من مستقبلهم .

ولقد سقط الأب الكبير لكل عربى . هذا الأب المتمثل فى الوطن العربى ..

إنه يسقط كل يوم مرة أمام المؤتمرين والمتربصين له .. وجيل شبابنا المعاصر يستمع فى غثيان إلى غوغائية الساسة ، وديماجوجية الحكام والقادة . ويبصر تلك الدولة الصغيرة ـ اسرائيل ـ وهى تعيث فساداً فى وطنه العربى الكبير دونما أى عمل ايجابى من سادته وحكامه ، فيتراءى له المستقبل مظلماً نكداً ، وتملأ روع الشباب فكرة الانفصال عن المستقبل وتخطيه إلى يأس الموت وظلمات العدم !!

وقد يدفعه إلى اليأس من المستقبل أيضا ما يراه من نهم القطيع الجشع المتمثل فى تلك الطغمة المسعورة فى كل بلد عربى ممن يسعون إلى الثراء الفاحش غير المشروع بوسائل متلصصة . وكأنهم صمموا على ألا يتركوا لغيرهم شيئاً يناله .. !!

ويتسلى الشباب بقصة ذلك الطفل الذى جلس بين رجال كبار ، عراض الأكف حول قصعة لحم وثريد وعندما رفع الطفل إلى فمه أول لقمة من الثريد لسعت حلقه ولسانه ، فبكى .. وسأله الرجال ما يبكيك ؟ قال الثريد ساخن .. قالوا : دعه حتى يبرد قال : أنتم لا تدعونه .. !!

وقد يقطع ما بين الشباب والمستقبل فقدان هدف نبيل يحيون به ، ويحيون له . إذ لا شىء يسمو بالحياة فوق كل المثبطات مثل تكريسها لهدف عظيم . هدف شخصى أو هدف إنسانى يخرج بها من التقوقع داخل الذات .

قلت هذا للشاب . وقلت له : إنك تذكرنى بطرفة تذكر عن بلد اسمه « إديث » وصفوه فقالوا : « إديث بلد يحده من الشمال إديث ، ومن الجنوب إديث ، ومن الشرق إديث ، ومن الغرب إديث » !!! أى أنه بلد مقطوع الصلة بالعالم الخارجى ، وهو كنقطة تائهة فى الفضاء .

كذلك الانسان الذى يسجن نفسه حيث يعيش فى عالم من المرايا . لا يرى أمامه ولا خلفه ، ولا عن يمينه ولا عن شماله إلا صورته وذاته !!

وتكريس الحياة لهدف نبيل يتطلب منها الغيرية .. ويتطلب منها أن تنتشر خارج ذاتها .. يتطلب منها أن تكدح وتكد من أجل تحقيق هدفها مهما يجشمها ذلك من مشقة وألم ، فصدقاً قيل : لا شىء يجعلك عظيماً سوى ألم عظيم !!

عايش الحياة بفرح وخذها بقوة ..

هذه نصيحتي

قلت للشاب : غادر نفسك وعايش الحياة بفرح ، وخذها بقوة ، وتعرف إلى كل ما هو نبيل فيها وجميل .

● ●

قال : ان لى خطايا توبقنى وتثقل خطاى ..

قلت له : هنا تجد الامن والملاذ فى قول ربنا عز وجل : « يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . إن الله يغفر الذنوب جميعا » ..

وتجد الأمل والبشر فى قـــــول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كل بنى ادم خطاء . وخير الخطائين التوابون » ..

وانت تعرف ان التجربة والخطا هما المعراج الذى عرج عليه الانسان إلى سماوات تالقه وتفوقه . ولو ان كل انسان يخطىء ثم يعيش حياته يجتر الندم على خطئه لكان بمسلكه هذا يقدم لشيطان الغواية والعجز فرصة لا تعوض فى هدم حياته وجعلها ترابا فى تراب ..

إن التوبة ترفع الانسان إلى مقـام الفـرح بالله . وليس هنـــاك خطيئة مهما كبرت تتعاظم رحمة الله ..

إن الله سبحانه يقول فى حـــديث قدسى : « أنا عند ظن عبدى بي . إن خيرا فله ، وإن شرا فله » .

وإن أقدر النـــاس على ترويض مشقات الحياة ، وتطويع ايامها . هم اولئك الذين يعيشون معها فى فــرح حكيم ، ولا يعرف اليـــاس اليهم سبيلا .

فلا تياس . وإذا غلبك اليـــاس ، فامض فى طريقك وانت يائس .. تماما مثل الحكمة التى تقول : « لا تخف . وإذا غلبك الخوف فامض فى طريقك وانت خائف » .. !!

إننا لا ننتظر من شبابنا ان يحزن وييأس ويستكين ..

إننا ننتظر منه ان يشـــعل لنـــا شمسا جديدة ، وان يخلص اوطانه مما هى فيه من ضياع وخداع وهوان وان يرينا من عزمه المقتدر جنـــون الشجعان .. !!!

ننتظر منه الا يسجن داخل نفسه ، وداخل اوهامه ومخاوفه ..

ننتظر منه ان يضع مكان ياســنا املا .. ومكان خوفنا اقتحاما .. ومكان انكسارنا عزة وصلابة .. ومكان وجومنا بهجة وانطلاقا ..

وطريقه لذلك ان يتبنى الاهـداف الكبيرة وان يهبها حياته . وليس الطريق ان يقف جبانا مفزعا امـــام الصعاب او امام الموت .

ومهما تكن ظروف الشباب فان فى استطاعته ان يتفوق على كل المثبطات . فى استطاعته ان يواجه الموج مبسوط الذراعين ، وان يحـــول الهول إلى هباء .

● ●

واذا كنا نطالب الشباب خاصة بان يواجه الحياة بشجاعة ، فنحن مطالبون بان نعرف له الشجاعة ..

فالشجاعة اقتحام تقوده الحكمة . بينما التهور انتفاض يدفعه النزق ..

وإذا كنا مطالبين بأن نـوازن بين ما نريد ان نعمل ، وما نستطيع أن نعمل ..

إذا كنا مطالبين بالا نلقى بانفسنا من حالق رغبة فى تصفيق الجماهير .

إذا كنا مطالبين بالا نستدرج إلى مسئوليات واعمال تقوم بينها وبين طاقتنا جسور متهاوية .. فليس معنى ذلك ان نستعين بالحكمة على هدم الشجاعة . إنها عندئذ لن تكون حكمة بل ستكون تبريرا . والجبان يستطيع أن يجد مائة عذر لتبرير جبنه . وليس هذا ما نريده من شبابنا .

ان جنون الشجعان يساوى حكمة الشجعان حين تكون الشـــجاعة فضيلة النفس ونداء النجدة .

ومن ثم ، فنحن نريد من شبابنا ان يجعل شعاره حكمة «فيكتور هيجو» ـ « إننى ارى ، لا اكثر .. واومن ، لا اقل .. اما العواقب فشيء لا يدخـــل فى حسابى ابدا » .. !!

اجل ـ علينا أن نرى ونفكر جيدا . ثم نؤمن ، ونؤمن كثيرا .. وبعدهـــا لا نجعل للعواقب المحتملة سيادة على إرادتنا وشجاعتنا .

قلت للشاب ، واقول لجيله كله : إن آفتك فيما يبـــدو انه ليست لك مسئوليات نبيلة وعظيمة تشـغلك ، وتشد إليها فكرك وإرادتك .. فنحن فى عصر ، وفى بلاد يحيا الناس فيها حياة تلقائية وعشوائية . ويخشون أن تكون لهم مسئوليات واضـــحة يرتبطون بها ويحيون لها !!

فحاول أن تكتشف مسئولياتك . وسواء كانت هذه المسئوليات متعلقة بشخصك ام بالناس .. بامور عادية او بجلائل الاعمال ، فابذل فيها مهما يكن حجمها كل روحك وجهدك ،

فعظمة الروح لا تتجـــزأ . وهى فى الأعمال الضئيلة مثلها فى الأعمـــال الجليلة . قلت له : ابحث عن قضية عامة من قضايا وطنك أو من قضايـــا الانسانية وعش لها ، وضعها ضمن مسئولياتك أو على رأســها ، وثبت نفسك بالقدوة العظمى التى ضربها للناس خيار الناس .

● ●

تذكر رسول الله « محمداً » وهو يحتضن مسئولياته فى رسوخ أشم ، ويهتف فى وجه خصومه الضالين : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هـــذا الأمر ما تركته حتى يقضيه الله أو أهلك دونه » .. !!

وتذكر السيد المسيح ، وهو يبصر أكثرية قومه من اليهود تتحول إلى خراف ضالة تحترم الباطل وتمتهن الحق وتكذب على الله .. وتتراءى له الخُشب الموبقة التى كانت تعـــد صلباناً للدعاة والهداة ، فلا يجزع ولا يخاف ولا يهرب من مسئوليـــاته الجسام .. !!

لا تقل : هذا المسيح ومحمد . فمن يبلغ شأوهما ؟!

فهناك أعـــداد هائلة من الذين حملوا مسئولياتهم فى شجاعة وغبطة .. هذا هو الشيخ الجليـــل « ابن تيمية » يناهض فى أيامه الذين يحكمون الناس بالظلم ، والـــذين يملأون عقول النـــاس بالخـــرافة ، فيؤذى ويضطهد ويسجن ، فلا يلقى مسئولياته من يمينه . بل يشـــبع مضطهديه سخرية ويقول : « مـــاذا يصنع أعدائى بي ؟ إن حبسى خلوة .. وقتلى شهادة .. ونفيى سياحة .. فماذا يصنع الأعداء بي » ؟!!

وهذه « مدام كورى » ــ ترى صرعى العـــلة والمرض يتهـــاوون كالعهن المنفوش . وتلتمع أمام بصيرتها بادرة أمل فى اكتشاف الدواء الناجع ، فتحمل من فورها مسئولية هـــــذه البادرة ، كما لو كانت رسالة تلقى إليها ، أو وحيا يتنزل عليها ، فتثابر وتضنى وتعيش هى وزوجهـــا فى « بدروم » منزل . وتلاقى فى بحثها الفشل تلو الفشل ، ويذوى عودها تحت وطأة المرض والفقر والسهر حتى يفتح الله لها مغاليق السر ، وتضع يدها على « الراديوم » فيـــه شفاء للناس . ثم ترفض رغم فقرها عروضاً مغرية قدمها لها سماسرة الشقاء والحرب الذين حاولوا أن تأذن لهم بتحويل الخير الذى كشفته إلى أداة قتل وتدمير .. !!

وكان عندنا فى مصر رجل يملك من المال والجاه مالا يجد معه من وقته فراغاً يملؤه بعمل جاد . فضلا عن تضحيات تزهو على كثير مما نعرف من تضحيات .

وجد أمته تسام الخسف والقهر من مستعمر دخيل ، فخلع جـــاهه وجعله للقضية دثاراً .. وجمع ماله الكثير وجعله للقضية فدية .. وترك القصر ودخل السجن .. ثم قضى حياته محروماً من كل راحة بعيداً عن كل مرفأ ، حتى مات غريباً لا يجد ثمن الدواء . !!

إنه « محمد فريد » معجزة الرجال ، ومفخرة الأبطال .

● ●

قلت للشاب وأقـــول لجيـــله : لا تخش خطراً مـــا ، إذا دعتـــك مسئولياتك وناداك واجبك .

وسواء كانت هذه المسئوليـــات سياسية ، أو اجتماعية ، أو انسانية ، أو حتى شخصية .. سواء كانت عملا من أعمال القمة أم من أعمال السفح .. سواءكنت وزيرا أو كاتب « ارشيف » . لا تلق مسئولياتك على الأرض خوفاً على منفعة ترجوها ، ولا حذراً من خطر تخشاه ..

ولا تخش أن تقول لنفسك ولغيرك « لا » إذا اقتضت مسئوليتك العادلة أن تقولها . فليس فى الحياة أمتع ولا أبهج من كلمة « لا » عندما توجه إلى باطل ، وعندما يتوجه بها الأدنى إلى الأعـــلى .. والأضــــعف إلى الأقوى .. !!

قلت للشاب : والآن تعال نرجع إلى حيث بدأنا .. إلى الفرح بالحياة والقوة فى أخذها ، فليس لـــدى الحزانى والضعفاء سوى الحيرة والدموع .

وبدون أن تفرح بالحياة وتأخذها بقوة سيصعب عليك أن تتحمـــل مسئولياتك ، بل وسيصعب عليك أن تحيـــا ..

فعايش الحياة فى فرح ..
وخذها بقوة ..
وهذه نصيحتى ..

خالد محمد خالد

لماذا تعرض هذا الرجل للإهمال ؟

الأديب الذي يستحق تمثالاً في كل مدينة عربية

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

شيء ما في تاريخ الحركات الأدبية يجعل بعض الأدباء مشهورين يتردد ذكرهم على كل لسان وفي كل كتاب وتصدر عنهم عشرات الدراسات ويبقى صداهم حياً في فترات لاحقة ..

بينما أدباء آخرون يكونون ملء السمع والبصر بنتاجهم ونشاطهم ومواقفهم .. ثم يختفي ذكرهم فجأة ويفقدون المساحة التي استحقوها ويسدل عليهم الستار !

هل السبب ـ دائما ؟ ـ في أن من بقي ذكرهم استحقوا ذلك لآثارهم الخالدة التي تركوها وان من اسدل عليهم الستار ، استحقوا ذلك ايضا لخلو اثارهم الادبية من مقومات البقاء ؟؟

أم ان في الامر عوامل أخرى تعلو بمن تشاء وتهبط بمن تشاء ، كما يحدث لشخصيات التاريخ التي يختفي ذكرها لبعض الوقت وتبرز محلها وجوه أخرى ، اصغر منها بكثير ، واضال ، الى ان يعود ميزان الحقيقة التاريخية الى خط الاستواء بعد زمان يقصر أو يطول ، فيعود العملاق عملاقا ، وتختفي الظلال الصغيرة الداكنة وتتلاشى تحت وهج الشمس العائدة من جديد ؟

اطرح هذا السؤال وفي ذهني من الادباء احمد حسن الزيات صاحب « الرسالة » ،

وصاحب الأفكار القومية والاجتماعية الخالدة ، وصاحب الأسلوب العربى المشرق الأصيل .. لماذا اسدل الستار عليه واحيط بالصمت والاهمال ومحيت مساحته الرحبة الشاسعة من حقل الأدب العربى بعد أن كانت رسالته الصحفية (مجلة الرسالة) مدرسة الأجيال العربية ، ورسالته القومية الفكرية من طلائع حركة التوحيد العربى المنطلق من مصر العروبة ، ورسالته الأدبية اللغوية الجمالية مثالا ونموذجا يحتذى برشاقة الأسلوب العربي المصفى ومتانته ورقته وسموه ؟

إنني لم أجد حتى الآن كتاباً واحداً عن حياة هذا الأديب الخالد وآثاره وأدبه ـ وارجو ان اكون مخطئا ـ على الرغم من ان الزيات يمكن اعتباره ابرز الأدباء الرواد الذين مهدوا طريق الفكر والأدب والصحافة لظهور حركة ٢٣ يوليو فى التاريخ المصرى والتاريخ العربى الحديث .

إن المعالم الرئيسية فى تفكير الزيات هى المعالم الرئيسية ذاتها فى حركة القومية العربية والوحدة العربية . بل ان الأفكار هنا وهناك هى هى ذاتها الى حد التطابق ، والفارق ان الزيات سبق اليها فى الثلاثينات بينما الفكر الوحدوى العربى طرحها فى الأربعينات والخمسينات . وهذا السبق الزمنى يمنح أحمد حسن الزيات حق الأبوة وحق الريادة الأصيلة للاتجاه الوحدوى العربى فى مصر اكثر من اى أديب آخر من الذين تتصدر اسماؤهم الواجهات الأدبية حتى يومنا هذا .. والذين يغيرون جلودهم بين وقت وآخر ..

والأفضل ان ندع الزيات يتحدث إلينا بصوته وبكلماته الخالدة لنستعيد حيوية تلك اليقظة القومية العربية فى مصر فى ثلاثينات هذا القرن وكيف انطلقت الروح المصرية الأصيلة منذ ذلك الوقت المبكر ـ وهى تحت وطأة الاستعمار البريطانى ـ تقارع الاتجاهات الاقليمية والانعزالية والانحطاطية لتؤكد وجه مصر العربى وجوهرها الاسلامى وارتباطها المصيري بامتها العربية ووطنها الكبير .

عام ١٩٣٣ حاول بعض دعاة الانعزالية انكار عروبة مصر فأثاروا ردودا كثيرة من رجال القلم والفكر فى مصر . وكان أول هذه الردود رد عبد الرحمن عزام فى جريدة « البلاغ » على طه حسين ، حيث قال :

« لقد قبل المصريون دين العرب ، وعادات العرب ، ولسان العرب وحضارة العرب ، واصبحوا عرباً فى طليعة العرب ، والذى نعلمه من البحث فى أنساب اقاليم مصرية باكملها ان اكثرية دماء أهلها ترجع الى العرق العربى ، وان فرداً واحداً من تسعين فى المائة من سكان مصر لا يستطيع ان ينكر ان عروقه تجرى فيها الدماء العربية ، والواقع الملموس ان مصر الآن من جسم الأمة العربية فى مكان القلب « تلك هى الأمة العربية وتلك هى امتنا التى ننتسب اليها ونفخر بتاريخها » .

وتوالت ردود كثيرة على هذا المنوال ، غير ان الكلمة الفصل التى حسمت الجدل ، ونفذت الى صلب القضية وجوهر الموضوع وجسمت الحقيقة خالدة باقية ، لايطالها جدل المجادلين ولا يؤثر عليها انكار المنكرين كانت كلمة احمد حسن الزيات فى افتتاحية « الرسالة » بتاريخ ١/١٠/١٩٣٣ .

فى هذه المقالة اسبغ الزيات على صلابة الفكرة حرارة العقيدة وجمع بين ثبات العقل وعنفوان القلب وجمال التعبير ، فجاءت كلمته الخالدة التى ستبقى ما بقيت أرض الكنانة فى قلب الأرض العربية :

● « هذه مصر الحاضرة تقوم على ثلاثة عشر قرنا من التاريخ العربى نسخت ما قبلها كما تنسخ الشمس الضاحية سوابغ الظلال . ازهقوا ان استطعتم هذه الروح ، وامحوا ولو بالفرض هذا الماضى ، ثم انظروا ماذا يبقى فى يد الزمان من مصر . وهل يبقى إلا أشلاء من بقايا السوط واشباح طائفة ترتل كتاب الأموات ، وجباه ضارعة تسجد للصخور ، وفنون خرافية شغلها الموت حتى اغفلت الدنيا وانكرت الحياة ، لا تستطيع مصر الاسلامية إلا ان تكون فصلا من كتاب المجد العربى ، لانها لا تجد مددا لحيويتها ، ولا سندا لقوتها ، ولا اساسا لثقافتها إلا فى رسالة العرب . انشروا ما ضمت القبور من رفات الفراعين ، واستقطروا من الصخور الصلاب اخبار الهالكين .. ثم تحدثوا وأطيلوا الحديث عن ضخامة الآثار وعظمة النيل وجمال الوادى وحال الشعب . ولكن اذكروا دائما ان الروح التى تنفخونها فى مومياء فرعون هى روح عمرو ، وان اللسان الذى تنشرون به مجد مصر هو لسان مضر ، وان القيثار الذى توقعون عليه الحان النيل هو قيثار امرىء القيس ، وان آثار العرب المعنوية التى لا تزال تعمر الصدور وتغذى العالم هى أدعى الى الفخر وابقى على الدهر واجدى على الناس من صفائح الذهب وجنادل الحجارة » .

هذا الحسم فى الانتماء وفى تقرير الهوية أعلنه الزيات بهذا الصوت الذى لا شبهة فيه قبل ربع قرن من اعلان دستور ١٩٥٦ الذى نص فى احدى مواده الاساسية على ان مصر جزء لا يتجزأ من الامة العربية .

واذا كان الزيات قد شاركه آخرون فى درجة من هذا الوعى القومى العربى ، فانه تميز عنهم باضافة وعي آخر ، جديد بمعيار المرحلة ، الى الوعى القومى ، ونعنى بـه « الوعى الاجتماعى » اى التنبه الى ضرورة تحقيق العدالة الاجتماعية والاهتمام بالحياة المعيشية للغالبية العظمى من المواطنين ووقف ترف القلة الزائد والقائم على جهد الآخرين وعرقهم .

والزيات يطرح المسالة الاجتماعية بمنتهى الوضوع والنضج الفكرى ـ فى الثلاثينات أيضاً ـ وكأنه ينطق باسم دعاة التوحيد القومى والاصلاح الاجتماعى فى الخمسينات والستينات بمصر وغيرها من البلاد العربية .

ولقد أحصيت للزيات ٩٣ مقالة كتبها فى الرسالة بين يناير ١٩٣٩ ومارس ١٩٤٤ ، فوجدت حوالى ثلاثين مقالة من بينها ـ اى ثلث عدد مقالاته فى خمس سنوات ـ تتناول المشكلة الاجتماعية ، وبالذات مشكلة الفقر والغنى وطرق مكافحة الفاقة .

فى ١٦ يناير ١٩٣٩ كتب الزيات يقول : « يا صاحب السعادة لِمَ ترضى ان اكون صاحب الشقاء ؟ انا وانت نبتتان من ايكة ادم نمتا فى ثرى النيل ولكن مغرسك لحسن حظك كان أقرب الى الماء ومغرسي لسوء حظى كان أقرب الى الصحراء ، فشبعت انت وارتويت ، على قدر ما هزلت انا وذويت » .

فى ٦ فبراير ١٩٣٩ ينبه الزيات الى خطورة المشكل الاجتماعى قائلا : « هيهات ان يكون فى الارض ايمان مادام فى الأرض فقر » .

فى ١٣ فبراير ١٩٣٩ يعالج الزيات مشكلة الفلاحين المصريين الذين يشكلون السواد الأعظم من الامة : « من لنا بمن يفتح قلوب المالكين لاولئك الفلاحين الذى اصطلحت عليهم محن الدنيا وبلايا العيش وجهلتهم الحكومة فلا يعرفهم إلا جباة

الضرائب وحراس السجن ، اما المعارف والأوقاف والاشغال فشانها شأن المترفين والمثقفين لا تعرف غير المدينة ولا تعامل غير التمدن » .

في ٢٤ ابريل ١٩٣٩ ينبه الزيات ولاة الأمر في مصر في ذلك العهد الى خطورة المشكلة بالنسبة للنظام الاجتماعي كله قائلا : « كل ثورة في تاريخ الامم ، وكل جريمة في حياة الأفراد انما تمت بسبب قريب او بعيد الى الجوع » .

• • •

بالاضافة الى « التصور القومي » و « التصور الاجتماعي » هل كان لدى الزيات تصور عملي لتحقيق الغايتين القومية والاجتماعية ، ونقلهما الى حيز التطبيق ؟

هنا ايضا يفاجئنا الزيات بطرافة فكره وريادته .

فهو يرى ان هذا المشروع القومي الاجتماعي الكبير يحتاج الى « مصلح قومي » والى « رجل منتظر » يخرج من بين صفوف الامة ويفرض قيادته التاريخية على مجرى الأحداث ليحقق بالسلطة وبالفكر ما تطمح نفوس الامة اليه من خلاص ومن اصلاح .

يقول بتاريخ ٢٩ ابريل ١٩٤١ :

« والمتوقع الذى لا حيلة فيه ان نظل كما نحن لعبة تلعب او نهبة تنهب حتى يبعث الله فينا الرجل الذى ننتظر ... وهو بين اصحاب السلطات يكون أسرع نجاحا واوسع صلاحا منه بين اصحاب الفكر ، ولهذا الرجل الذى تنتظره الامة العربية آيات تمهد له وتدل عليه : فمن الآيات المهيئة لظهوره انحلال الأخلاق فلا تتماسك في قول او فعل .. واستبهام المذاهب ، وانقطاع الامة عن ركب الحياة ، ومن آياته المنبئة بوجوده أن يكون لغيره لا لنفسه، ولأمته قبل أسرته ولانسانيته بعد وطنه ، لا ينضج رأيا إلا أمضاه ، ولا يروم أمدا إلا أدركه .. ولقد ظهر أمثاله في بعض الامم وهي على شفا الهاوية فاعادوها الى الحياة وردوها الى الجادة ، ولا تزال الامة العربية تحدق النظر في الأفق الغائم ترجو أن تنشق الحجب عن نوره .. رباه ! » انا نسالك الراعي الذى يطرد الذئب والنظام الذى يجمع الحب ، والدليل الذى يحمل المصباح ، والقائد الذى يرفع العلم والأستاذ الذى يعلمنا أن نصنع الابرة والمدفع ، ونشق المنجم والحقل ، ونوفق بين الدين والدنيا ونوحد بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة » .

ونلاحظ ان الزيات يدعو الى ظهور مصلح قومي وقائد قومي للامة العربية كلها يتجاوز الحدود الاقليمية ويمثل الوحدة القومية الشاملة ، دون ارتباط بهذا القطر او ذاك ، وذلك قبل ظهور اى تجمع عربى مشترك كالجامعة العربية ونحوها .

وهو بهذا يبدو منسجما مع دعوته القومية وايمانه بالوحدة العربية .

• • •

وهكذا كان الزيات رائدا في طرحه لهذه المسائل الكبرى الثلاث في الفكر العربي وفي جمعه بينها بشكل منسجم وبدرجة عالية من الوعي :

- المسالة القومية .
- المسالة الاجتماعية .
- المسالة القيادية .

ولا اعتقد ان فكر الزيات قد درس على ضوء معالجته لهذه المسائل وجمعه بينها في تصور فكري متكامل كان بمثابة التمهيد لحركة التوحيد العربي والاصلاح الاجتماعي في التاريخ العربي المعاصر بشكل دقيق الملمح مستشف لمجرى التطورات .

وهذا جانب واحد فقط من جوانب ابداع الزيات ، فقد كان بالاضافة الى ذلك صاحب اسلوب شفاف اقرب الى الشعر ، وصاحب معالجات نقدية وقصصية ، وصاحب دراسات في تاريخ الأدب العربي والأجنبي ، وفي شئون التربية وطرق تجديد اللغة العربية .

وضمن التوجه الجديد لاعادة كتابة تاريخنا العربي وابراز اعلامه ورجالاته ، فان الزيات يستحق ان يكون من اوائل الرجال الذين من حقهم علينا واجب التقدير والدرس والتقييم المنصب في عشرات الابحاث والمقالات .

وفي رأينا ان الزيات لو لم يكتب غير تلك الكلمة الخالدة في عروبة مصر ، فان من حقه على العرب ، كل العرب ، ان يقيموا له تمثالا في كل مدينة عربية يذكرهم ، رغم توالي المحن وتغير الزمن ، بمن كان لهم من رجال قالوا كلمة الحق والضمير القومي ، دون تلون ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه .

د . محمد جابر الأنصاري

من تراثنا المعاصر



فرعونيون وعرب

بقلم : أحمد حسن الزيات

عفا الله عن كتابنا الصحفيين ! ما أقدرهم على أن يثيروا عاصفة من غير ريح ، ويبعثوا حربا من غير جند !

حلا لبعضهم ذات يوم أن يكون بيزنطيا يجادل في الدجاجة والبيضة أيتهما أصل الأخرى ! فقال على هذا القياس : أفرعونيون نحن أم عرب ؟ أنقيم ثقافتنا على الفرعونية أم نقيمها على العربية ؟

نعم قالوا ذلك القول وجادلوا فيه جدال من أعطى أزمة النفوس وأعنة الأهواء يقول لها كوني فرعونية فتكون ، أو كوني عربية فتكون ! ثم اشتهر بالرأي الفرعوني اثنان او ثلاثة من رجال الجدل وساسة الكلام ، فبسطوه في المقالات ، وأيدوه بالمناظرات ، وردّدوه في المحادثات ، حتى خال بنو الأعمام في العراق والشام ان الأمر جد ، وان الفكرة عقيدة ، وان ثلاثة من الكتاب أمة ، وان

الضرائب وحراس السجن ، اما المعارف والأوقاف والاشغال فشانها شان المترفين والمثقفين لا تعرف غير المدينة ولا تعامل غير التمدن » .

في ٢٤ ابريل ١٩٣٩ ينبه الزيات ولاة الامر في مصر في ذلك العهد الى خطورة المشكلة بالنسبة للنظام الاجتماعي كله قائلا : « كل ثورة في تاريخ الامم ، وكل جريمة في حياة الأفراد انما تمت بسبب قريب او بعيد الى الجوع » .

● ● ●

بالاضافة الى « التصور القومي » و « التصور الاجتماعي » هل كان لدى الزيات تصور عملى لتحقيق الغايتين القومية والاجتماعية ، ونقلهما الى حيز التطبيق ؟

هنا ايضا يفاجئنا الزيات بطرافة فكره وريادته .

فهو يرى ان هذا المشروع القومي الاجتماعي الكبير يحتاج الى « مصلح قومي » والى « رجل منتظر » يخرج من بين صفوف الامة ويفرض قيادته التاريخية على مجرى الأحداث ليحقق بالسلطة وبالفكر ما تطمح نفوس الامة اليه من خلاص ومن اصلاح .

يقول بتاريخ ٢٩ ابريل ١٩٤١ :

« والمتوقع الذى لا حيلة فيه ان نظل كما نحن لعبة تلعب او نهبة تنهب حتى يبعث الله فينا الرجل الذى ننتظر ... وهو بين اصحاب السلطات يكون أسرع نجاحا واوسع صلاحا منه بين اصحاب الفكر ، ولهذا الرجل الذى تنتظره الامة العربية آيات تمهد له وتدل عليه : فمن الآيات المهيئة لظهوره انحلال الأخلاق فلا تتماسك فى قول او فعل .. واستبهام المذاهب ، وانقطاع الأمة عن ركب الحياة ، ومن آياته المنبئة بوجوده أن يكون لغيره لا لنفسه، ولامته قبل أسرته ولانسانيته بعد وطنه ، لا ينضج رأيا إلا امضاه ، ولا يروم أمدا إلا ادركه .. ولقد ظهر امثاله فى بعض الامم وهى على شفا الهاوية فاعادوها الى الحياة وردوها الى الجادة ، ولا تزال الامة العربية تحدق النظر فى الأفق الغائم ترجو أن تنشق الحجب عن نوره .. رباه ! « انا نسالك الراعى الذى يطرد الذئب والنظام الذى يجمع الحب ، والدليل الذى يحمل المصباح ، والقائد الذى يرفع العلم والأستاذ الذى يعلمنا أن نصنع الابرة والمدفع ، ونشق المنجم والحقل ، ونوفق بين الدين والدنيا ونوحد بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة » .

ونلاحظ ان الزيات يدعو الى ظهور مصلح قومي وقائد قومي للامة العربية كلها يتجاوز الحدود الاقليمية ويمثل الوحدة القومية الشاملة ، دون ارتباط بهذا القطر او ذاك ، وذلك قبل ظهور اى تجمع عربى مشترك كالجامعة العربية ونحوها .

وهو بهذا يبدو منسجما مع دعوته القومية وايمانه بالوحدة العربية .

● ● ●

وهكذا كان الزيات رائدا فى طرحه لهذه المسائل الكبرى الثلاث فى الفكر العربى وفى جمعه بينها بشكل منسجم وبدرجة عالية من الوعى :

- المسالة القومية .
- المسالة الاجتماعية .
- المسالة القيادية .

ولا اعتقد ان فكر الزيات قد درس على ضوء معالجته لهذه المسائل وجمعه بينها فى تصور فكرى متكامل كان بمثابة التمهيد لحركة التوحيد العربى والاصلاح الاجتماعى فى التاريخ العربى المعاصر بشكل دقيق الملمح مستشف لمجرى التطورات .

وهذا جانب واحد فقط من جوانب ابداع الزيات ، فقد كان بالاضافة الى ذلك صاحب اسلوب شفاف اقرب الى الشعر ، وصاحب معالجات نقدية وقصصية ، وصاحب دراسات فى تاريخ الأدب العربى والأجنبى ، وفى شئون التربية وطرق تجديد اللغة العربية .

وضمن التوجه الجديد لاعادة كتابة تاريخنا العربى وابراز اعلامه ورجالاته ، فان الزيات يستحق ان يكون من اوائل الرجال الذين من حقهم علينا واجب التقدير والدرس والتقييم المنصب فى عشرات الابحاث والمقالات .

وفى رأينا ان الزيات لو لم يكتب غير تلك الكلمة الخالدة فى عروبة مصر ، فان من حقه على العرب ، كل العرب ، ان يقيموا له تمثالا فى كل مدينة عربية يذكرهم ، رغم توالى المحن وتغير الزمن ، بمن كان لهم من رجال قالوا كلمة الحق والضمير القومي ، دون تلون ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه .

د . محمد جابر الأنصارى

من تراثنا المعاصر



بقلم : أحمد حسن الزيات

عفا الله عن كتابنا الصحفيين ! ما أقدرهم على أن يثيروا عاصفة من غير ريح ، ويبعثوا حربا من غير جند !

حلا لبعضهم ذات يوم أن يكون بيزنطيا يجادل فى الدجاجة والبيضة أيتهما أصل الأخرى ! فقال على هذا القياس : أفرعونيون نحن أم عرب ؟ أنقيم ثقافتنا على الفرعونية أم نقيمها على العربية ؟

نعم قالوا ذلك القول وجادلوا فيه جدال من أعطى أزمة النفوس وأعنة الأهواء يقول لها كونى فرعونية فتكون ، أو كونى عربية فتكون ! ثم اشتهر بالرأى الفرعونى اثنان او ثلاثة من رجال الجدل وساسة الكلام ، فبسطوه فى المقالات ، وأيدوه بالمناظرات ، وردوه فى المحادثات ، حتى خال بنو الأعمام فى العراق والشام ان الأمر جد ، وان الفكرة عقيدة ، وان ثلاثة من الكتاب أمة ، وان

هذه المقالة بأسلوبها البديع وتفكيرها القومى الأصيل الواعى كتبها الأديب العربى الكبير أحمد حسن الزيات فى أول أكتوبر سنة ١٩٣٣ أى منذ ٤٩ عاماً . وتبدو هذه المقالة وكأنها مكتوبة اليوم ، رداً على كل هؤلاء الذين يحاولون إثارة الغبار والضباب حول عروبة مصر ... فالى هؤلاء جميعاً والى الأجيال العربية الجديدة نقدم هذه المقالة كوثيقة نلحقها بالمقال الذى كتبه الكاتب الكبير الدكتور الأنصارى على الصفحات السابقة !

مصر رأس البلاد العربية قد جعلت المآذن مسلات ، والمساجد معابد ، والكنائس هياكل ، والعلماء كهنة !

مهلا بنى قومنا لا تعتدوا بشهوة الجدل على الحق ! ورويداً بنى عمنا لا تسيئوا بقسوة الظن الى القرابة ! إن الأصول والأنساب عرضة للزمن والطبيعة : تواشج بينها القرون وتفعل فيها الأجواء حتى يصبح تحليلها وتمييزها وراء العلم وفوق الطاقة . فاذا قلنا فلان عربى أو فرنسى أو تركى فانما نعنى بهذه النسبة انطباعه بالخصائص الثقافية والاجتماعية لهذا الشعب ، كاللغة والأدب والأخلاق والهوى والدين فمهيار عربى وأصله فارسى ، وروسو فرنسى وأصله سويسرى ، والأمير فلان تركى وأصله مصرى ، لأن كلا من هؤلاء الثلاثة أصبح جزءا من شعبه ، ينطق بلسانه ويفكر بعقله ويشعر بقلبه .

فبأى شىء من هذا يتمارى إخواننا الجدليون وهم لو كشفوا فى أنفسهم عن مصادر الفكر ومنابع الشعور ومواقع الالهام لرأوا الروح العربية تشرق فى قلوبهم ديناً ، وتسرى فى دمائهم أدباً ، وتجرى على السنتهم لغة ، وتفيض فى عواطفهم كرامة ؟ ...

لا نريد أن نحاجّهم بما قرره المحدثون والعلماء من أن المصرية الجاهلية تنزع بعرق الى العربية الجاهلية ، فان هذا الحجاج ينقطع فيه النفس ولا ينقطع به الجدل ... وكفى بالواقع المشهود دليلا وحجة . هذه مصر الحاضرة تقوم على ثلاثة عشر قرناً وثلثاً من التاريخ العربى نسخت ما قبلها كما تنسخ الشمس الضاحية سوابغ الظلال ... وذلك هو ما ماضى مصر الحى الذى يصبح فى الدم ، ويثور فى الأعصاب ، ويدفع بالحاضر الى مستقبل ثابت الأس شامخ الذرى عزيز الدعائم .

أزهقوا إن استطعتم هذه الروح ، وامحوا ولو بالفرض هذا الماضى ، ثم انظروا ماذا يبقى فى يد الزمان من مصر . هل يبقى غير أشلاء (١) من بقايا السوط وانضاء (٢) من ضحايا الجور ، وأشباح طائفة ترتل «كتاب الأموات» ، وجباه ضارعة تسجد للصخور وتعنو للعجماوات ، وقبور ذهبية الأحشاء ابتلعت الدور حتى زحمت بانتفاخها الأرض ، وفنون خرافية شغلها الموت حتى أغفلت الدنيا وأنكرت الحياة ؟ وهل ذلك إلا الماضى الأبعد الذى تريدون أن يكون قاعدة لمصر الحديثة تصور بالوانه وتشدو بالحانه وتحيا أخيرا بروحه ؟ ولكن اين تحسبون بالله هذه الروح ؟ إن أرواح الشعوب لا تنتقل الى الأعقاب إلا فى نتاج العقول والقرائح ، فهل كشفتم بجانب الهياكل الموحشة والقبور الصم مكتبة واحدة تحدثكم عن فلسفة كفلسفة اليونان ، وتشريع كتشريع الرومان ، وشعر كشعر العرب ؟ أم الحق أن مصر القديمة دفين فنيت روحه مع الآلهة ، وصحائف موت ذهب سرها مع الكهنة ، والخامد لا يبعث حياة ، والجامد لا يلد حركة ؟

لا تستطيع مصر الاسلامية إلا أن تكون فصلا من كتاب المجد العربى ، لأنها لا تجد مدداً لحيوتها ولا سنداً لقوتها ولا أساساً لثقافتها إلا فى رسالة العرب . أما أن يكون لأدبها طابعه ولفنها لونه فذلك قانون الطبيعة ولا شأن لمينا ولا ليعرب فيه ؛ لأن الآداب والفنون ملاكها الخيال ، والخيال غذاؤه الحس ، والحس موضوعه البيئة ، والبيئة عمل من أعمال الطبيعة يختلف باختلافها فى كل قطر . فاذا لم يوفق الفنان بين عمله وعمل الطبيعة ، ويؤلف بين روحه وروح البيئة فاته اللون المحلى وهو شرط جوهرى لصدق الأسلوب وسلامة الصورة .

وقديماً كان لون الأدب فى الحجاز غيره فى نجد ، وفى العراق غيره فى الشام ، وفى مصر غيره فى الاندلس ، دون أن يسبق هذا التغاير دعوة ولا أن يلحق به أثر !

انشروا ما ضمنت القبور من رفات الفراعين ، واستقطروا من الصخور الصلاب أخبار الهالكين ، وغالبوا البلى على ما بقى فى يديه من أكفان الماضى الرميم ، ثم تحدثوا وأطيلوا الحديث عن ضخامة الآثار وعظمة النيل وجمال الوادى وحال الشعب ، ولكن اذكروا دائما أن الروح التى تنفخونها فى مومياء فرعون هى روح عمرو ، وأن اللسان الذى تنشرون به مجد مصر هو لسان مضر ، وأن القيثار الذى توقعون عليه الحان النيل هو قيثار امرىء القيس ، وأن آثار العرب المعنوية التى لاتزال تعمر الصدور وتملأ السطور وتغذى العالم ، هى أدعى الى الفخر وأبقى على الدهر وأجدى على الناس من صفائح الذهب وجنادل الحجارة .

إنما تتفاضل الأمم بما قدمت للخليقة من خير ، وتتفاوت الأعمال بما أجدت على الانسان من نفع . أليس (الخزان) خيراً من الكرنك ، والأزهر أفضل من الأهرام ، ودار الكتب أنفس من دار الآثار !

وبعد فان ثقافتنا الحديثة إنما تقوم فى روحها على الاسلام والمسيحية ، وفى أدبها على الآداب العربية والغربية ، وفى علمها على القرائح الأوربية الخالصة . أما ثقافة (البردى) فليس يربطها بمصر العربية رباط ، ولا بالمسلمين ولا بالأقباط .

(أول أكتوبر سنة ١٩٣٣)

(١) الاشلاء جمع شلو وهو العضو بعد البلى والتفرق .

(٢) الانضاء جمع نضو وهو المهزول .

أحمد حسن الزيات

الإسلام السياسي

بقلم : فتحي رضوان

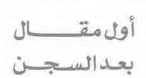
قد يقع هذا العنوان فى سمع القارىء ، موقعاً غريباً ، أو منكراً ، لأن المسلم الذى يعرف دينه جيداً ، لا يعتقد أن هناك اسلاماً سياسياً ، وآخر اجتماعياً ، وثالثاً اقتصادياً ، بل انه يؤمن بان الاسلام ، وحدة لا تنحل الى أجزاء ، لأن للاسلام غاية واحدة ، هى الدعوة الى عقيدة التوحيد ، وتثبيتها فى النفوس ، وهذه العقيدة هى الأساس الذى يقوم عليه بناء شامخ ، متعدد الطبقات ، يطل على جميع الجهات ، يدخل فى اطوائه المادى والمعنوى ، وما يتصل بالدنيا ، وما يتصل بالآخرة ، وما ينظم علاقة الفرد بالمجتمع ، وما يرى أحكام المال ، واستنباطه ، واستثماره ، والتصرف فيه ، وبناء الدولة ، وحقوقها على الفرد ، وحقوق الفرد قبل الحاكمين ، وقوانين السلام والحرب ، وأصول التربية ، ومبادىء تنشئة المسلم وتنشئة الجماعات .

فالقول بان هناك اسلاماً سياسياً ، يتحدى هذه القاعدة الكلية ، من قواعد الاسلام ، ولا يتسق مع منهجه الثابت ، الذى يأبى أن يقسم بين عناصر حياة المسلم ، لايمانه بان جسد المسلم ، وعقله وفكره ، وما يحب ، وما يكره ، وما يخفى ، وما يصدر عنه من قول ، أو ما يتلقاه من فكر ورأى هو كل يتفاعل بعضه مع بعض ويفضى أوله الى آخره ، وظاهره الى باطنه .

ولكن مع ايماننا بهذه القاعدة ، ودعوتنا اليها ، باعتبارها المدخل الى كل ما يتمناه المسلم لدينه ، من رد العدوان عنه ، واقامة سلطانه ، وبسط أحكامه ، وتجديد حضارته ، واستئناف عزته ، فنحن نقر أن هناك اصطلاحا صحفيا ، أو سياسياً ، ساد الدوائر العالمية ، مؤداه أن هناك اسلاما سياسيا ، بمعنى ان الظروف الدولية الأخرى ، والتغيرات التى طرات على مسرح الأحداث العالمية أضفت على الاسلام والمسلمين ، أهمية سياسية .

ولم يكن ظهور هذه الأهمية السياسية بالأمر الذى تستبعده دوائر السياسة فى الشرق والغرب ، أى عند الاتحاد السوفيتى ، ومن لف لفه ، وجرى فى فلكه أو عند الولايات المتحدة ، وحلفائها فى أوروبا ، فانشغال بال أوروبا والغرب كله بالاسلام استمر منذ بزغ نجم الدولة العثمانية ، فى الشرق العربى ، وفى المنطقة التى تحيط بهذا الشرق ، وتتصل فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى ، حتى أفل نجم هذه الدولة فى الحرب العالمية الأولى التى استمرت من سنة ١٩١٤ حتى ١٩١٨ ، والتى أعقبها سقوط الخلافة الاسلامية العثمانية على يد كمال أتاتورك فى يناير ١٩٢٤ ، ثم انسلاخ تركيا ، من العالم الاسلامى ، واعلانها العلمانية مذهباً لها .

وكان الغرب على اختلاف نزعاته السياسية والمذهبية ، يساوره خوف عميق من أن تندلع من تحت رماد الدول



أول مقــال بعد السجــن

هذا اول مقال يكتبه الكاتب العربي الكبير فتحي رضوان بعد خروجه من السجن ، فقد كان ضمن مجموعة كبيرة من الكتاب والادباء والمثقفين تم اعتقالهم في سبتمبر ١٩٨١ ، حيث قضى في السجن مائة يوم ، وكان ضمن اول مجموعة افرج عنها الرئيس حسني مبارك ، واستقبلهم في مكتبه في ديسمبر الماضي . ويسعد الدوحة ان تنشر هذا المقال ، كما يسعدها ان تنقل الى قرائها وعد فتحي رضوان والتزامه بالكتابة الدائمة للدوحة ، وبذلك ينضم هذا القلم الواعي النظيف المؤمن باسلامه وعروبته ووطنه الى النخبة التى اصبحت الآن جزءاعزيزاً غالياً من أسرة الدوحة ، حيث اصبحت «الدوحة» بفضل هذه الأسرة الكريمة مجلة كل قارىء عربي واصبحت تنفد بعد ساعات من صدورها ، ومرحباً بفتحى رضوان فى أسرة «الدوحة» الى جانب أفراد هذه الأسرة اللامعة من خالد محمد خالد الى غازى القصيبى ومحمد الفهد العيسى وعبد السلام العجيلي ومحمد جابر الانصارى وعبد الله جفرى وغيرهم من أصحاب الفكر النقى والأقلام اللامعة الواعية والفن الرفيع .



الاسلامية المنهارة ، نار جديدة ، يمكن أن تلتهم ما يبدو راسخا وباذخا من ملك أوروبا وأمريكا ،وسلطانهما الذى ترامت آفاقه . ولقد طالت نومة المسلمين ، وتعاقبت القرون ، وغفوتهم لا تريد ان تنتهى ولا يبدو أن ستكون لها نهاية ولو بعيدة . وقد كان هذا كله جديراً بأن ينفث فى نفوس دهاقين الاستعمار الغربى شعور الراحة والطمانينة لأن الاسلام لفظ أنفاسه كقوة سياسية ، وان لم يكف المسلمون عما يشبه الثرثرة عن تجديد الاسلام ، وبعث أمجاده ، ولم شعثه ، وبعث وحده المؤمنين به .

ولكن هذه الثرثرة ، صاحبها شيء من التنبه السياسى الذى كان نذيراً بأن الاسد الاسلامى ، يمكن أن ينطلق من الغابة التى آوى اليها ركن فيها مستسلماً لأحلام الماضى وعظمته ، راضياً من الحياة ، بما يقيم الاود ، ويبقى على الدماء فى الأبدان .

وكان أكثر هذه الحركات عسكرياً ، وكان العمل العسكرى فيها جميعاً ، يكشف عن عبقرية المقاتل والقائد المُسلِمَيْن ، لم تنطفيء جذوتها ، وأن فى مقدور كليهما ، مع قليل من التهيئة والاعداد الجادين ، أن يعود الى امتشاق حسامه وارهاف سلاحه ، والاهابة بالاخوان والأهل ، لان ينفضوا عن أنفسهم غبار النوم ، ليبدأوا حياة ، جديرة بماضى الاسلام ، وبحضارته وبثقافته وبالعمران الذى شاده ، والعلم الذى بعثه ، وبالمبادىء الانسانية الرفيعة التى بشر بها ثم طبقها ...

فليس ثمة سياسى أوروبى أو أمريكى ، أو سوفيتى ، ينسى حروب الهنود المغول المسلمين ضد الاستعمار الانجليزى ، وكيف أثخنوه جراحاً ، وضيقوا عليه الخناق ، ولا كيف أفزع عبد القادر الجزائرى ، الاستعمار الفرنسى ١٧ عاماً وهزأ به ، وأنزل الهزائم ، ولا كيف أسقط محمد بن عبد الكريم ، الوزارات ، الوزارة تلو الوزارة فى فرنسا ، كما أسقط نظام حكم الملك الاسبانى الفونسو الثالث عشر وديكتاتوره دى ريفيرا حين قاد قبائل الريف فى أقصى شمال المغرب ضد الاستعمار الاسبانى والفرنسى .. الى جانب الثورات المدنية التى قادها مصطفى كامل وسعد زغلول ، والتى كانت فجر عهد جديد ..

لكن هذا كله كان بشائر ، تلوح وتختفى ، ولم يكن يربط بعضها ببعض أى رباط ، وكانت تتناثر وتتباعد ، زماناً ومكاناً ، فلا توحى قط بعمل منتظم ، ولا بحركة تتسق ، ولا ببدايات تتلاحق ، حتى تأتى الى نتائج ، تغير ولو قليلا من واقع المسلمين الكريه .

شيء جديــد على المسرح الدولى

إلا ان النصف الثانى من القرن العشرين ، شهد شيئا جديداً . فثورة سنة ١٩٥٢ استطاعت أن تحقق على مسرح الحياة الدولية أموراً لم يكن يخطر على العالم أن أمة مسلمة يمكن أن تضطلع بها ، وتتحمل نتائجها . فالاحتلال البريطانى حمل عصاه ورحل ، والسلطان الاقتصادى الغربى فى مصر ، الذى اتسع وتغلغل ، وثبتت جذوره ، اقتلع من هذه الجذور ، وألقى به كشجرة جافة ، والاستعمار الثقافى الذى تحصن فى آلاف المدارس والمعاهد ، يعلم المسيحية الغربية ، ويشوه صورة الاسلام ، ويقيم الحواجز بين بنات وأبناء المسلمين وبين تاريخ دينهم ، وتاريخ أمتهم العربية ، فجرى من مصر ، وهو لا يكاد يلوى على شيء ، وقناة السويس أعظم شرايين المواصلات استعادتها مصر وبسطت عليها سلطانها ، وعمقتها ووسعتها ، وزادت كفاءتها والساسة الغربيون أمثال انطونى ايدن الانجليزى وجى موليه الفرنسى

الإسلام السياسي

سقطا من عرش سياسة بلادهما ثم تحطما حقاً لا مجازاً .

لم تكن كل هذه الانتفاضات العنيفة ، فرقعات محلية قصيرة العمر ، وإنما كانت ارهاصاً واضحاً ،بما يعتمل داخل العالم الاسلامي وفي قلبه وعقله .

ولم يخف هذا على أساطين الاستعمار ، فتنبهوا تماما وحسبوا حساب كل حركة ، وسكنة ، وكانت تدفقات البترول ، في بلاد العالم الاسلامي العربي منها ، وغير العربي ، وأصبح البترول السيد الذي لا يقاوم له أمر ، أو تعصى له اشارة ، وامتلأت الخزائن العربية والاسلامية بالملايين ثم البلايين . وصحبت هذه الثروة غير المسبوقة والتي لا نظير لها ولا شبيه في التاريخ ، احساس قوي وواضح ، ما لبث أن أصبح ملحاً ، بأن كل حجة كان المسلمون يلتمسونها في تبرير تخلفهم ، وتبعيتهم ، وتقصيرهم في استعادة دورهم ، قد نفدت قيمتها ، فلم يعد المال وحده الذي أسلم قياده لهم ، بل إن موقعهم الاستراتيجي بين الشرق والغرب ، بين آسيا وافريقيا واوروبا ، واتصال دولهم ، وتشابه عاداتهم ، ووحدة ثقافتهم ، يمنحهم من المزايا في كل جانب من جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، ما يعد في ذاته ثروة لا تتمتع بها مجموعة من الدول الأخرى .

ثم جاءت تطورات أخرى على الساحة الاسلامية تثير بعض الحزن والاحساس بخيبة الأمل ، مما لا يخفى عن عيون الناظرين الى واقع العالم الاسلامي اليوم ، وما يجري من صراعات بين المسلمين مما جعل الغرب يتنفس الصعداء ، ويمني نفسه بأن المد الاسلامي قد أصبح جزراً .

ومع كل هذه التطورات المؤسفة التي ملأت قلوب معظم المسلمين حزناً وهماً فان الحقائق الباقية ـ بعد الخسائر وخيبة الأمل ـ أن الاسلام يفيض بالحيوية ، وأن غفوته انتهت ، وان جموعه الكثيرة ، قادرة على أن تحقق بعمل سلمي جماعي خال من العنف وبعيد من العثرات . وهذا ما أدركه الغرب والشرق ، وجلسوا يحسبون حسابه ، ويفكرون في نتائجه وعوائقه . ويقولون همساً حيناً ، وبأعلى الصوت حيناً آخر . هل سنصبر حتى تأتي موجة أخرى من المد الاسلامي فتنعظ بما تم في السنوات الأخيرة وتستطيع أن تضع لبنة قوية متينة ، في أساس الاسلام السياسي . ثبت لهذا العالم ، أن ما يجري في الميدان الشرقي الشمالي من العالم الاسلامي ، وما يخالطه من أخطاء ، وخلافات ، وسوء تقدير ، وعنف ، لن يستمر ، فالاسلام سيفعل شيئاً جديداً أو حاسماً ليضع حداً لكل هذا ، ليبدأ العالم الاسلامي السياسي ، أو ليحاول أن يخطو أولى خطواته .

ماذا عن هذا العالم

فماذا يكون أولا هذا العالم الاسلامي السياسي ؟

يقصد بالعالم الاسلامي السياسي ، هذا العالم الذي سيحس بنفوذه وأثره على توجيه الأحداث الكبرى ، التي تمس مصالح الناس قاطبة ، كما تمس مصالح دول المسلمين وشعوبهم ، ودول العرب وشعوبهم . العالم الذي يدرك أنه أكبر مجموعة انسانية ، تشغل حيزاً جغرافياً يكاد يكون قطاعاً متصلا في الكرة الأرضية ، يقف من خلفه تاريخ واحد وحضارة واحدة ، وثقافة واحدة ، كان صاحب سلطان عظيم ، في وقت ما ، ثم فقد سلطانه بالتدريج في عصور متقاربة . وأنه الآن ـ لأكثر من سبب ـ يستطيع أن تكون له كلمة مسموعة ، تؤيد الحق ، وتحول دون المظالم التي يعاني منها الانسان الفقير والمغلوب على أمره ، في آسيا وافريقيا ، بلا مواقف تزيد من الفرقة والتخلف بين الشعوب .

العالم الاسلامي السياسي هو عالم المسلمين الذين تأمل علماؤهم في حقائق العالم اليوم .. علماؤهم في الدين بفروع الذهن المختلفة ، وعلماء المادة من أفذاذه وكبار أساتذته ، ثم علماء الانسانية من قادة الجامعات في العالم ، ورجال التربية ، والاحصاء والاقتصاد في دنيا المسلمين .

وقد يبدو هذا القول ، قولا خطابياً لا يمثل أي مدلول بمعنى أن اجتماع هؤلاء العلماء الذين تعلموا في بلادهم ثم أتموا تعليمهم في جامعات أوروبا وأمريكا ثم عادوا الى بلادهم فترة ، وما لبثوا أن استأنفوا حياتهم العلمية في أكبر جامعات الغرب كأساتذة في تلك الجامعات ، يضيفون الى بحوثها ، ويقومون بغزوات كبرى في كل اتجاه ، يظن بعض الناس أن من العبث جمع هؤلاء الأساتذة في مؤتمر اسلامي ، يطلب منهم فيه ، أن يضعوا برنامجاً فضفاضاً لما يرونه العلاقة المثلى بين العالم الاسلامي ككل ، والعالم الغربي والشرقي ، كوحدة يكون بدوره أساساً لخطة شاملة ، للعمل السياسي لمجموعة الدول الاسلامية يعلو فوق الخلافات بين الدول الاسلامية والدول العربية ، ويطل على مستقبل قريب تتوارى فيه هذه الخلافات ويبدو مستقبل جديد للعالم الاسلامي يلعب فيه دوراً أكبر من دوره الحالي ، يحتل بفضله هذا العـــالم المكانة اللائقة .

ولكي أضرب مثلا لما يمكن أن يفطن اليه أعضاء هذا المؤتمر ، أضع تحت نظر القارىء هذه الحقيقة التي تغيب عن أكثر مفكري العالم الاسلامي ، وهي أن نسبة عدد مواطني الاتحاد السوفيتي من المسلمين بلغت في العام الماضي ٥٦,٨٪ بمعنى أنها أوشكت أن تصل الى نحو ثلثي مجموع سكان الاتحاد السوفيتي وهي نسبة هائلة ، واذا اضطردت نسبة المسلمين في الاتحاد السوفيتي بهذا المعدل ، فان نتائج هذه الزيادة السياسية والاجتماعية ، من الخطورة بحيث لا تخفى على أحد . ومما يزيد هذه الخطورة حقيقتان أولهما أن المسلمين في الاتحـــاد الســـوفيتي يتوطنـــون الجمهوريات الآسيوية في وسط آسيا

والحقيقة الثانية أن هذه الجمهوريات تقع فى محاذاة الحدود مع كل العالم العربى الاسلامى والصين . وقيام هذه التجمعات الضخمة من المسلمين على حدود الصين أو على الأقل قريباً منها . سيجعل من السهل اتصال تلك التجمعات بهذه القوة الدولية الجديدة ، ذات المستقبل الواسع ، وأعنى بها الصين .

ومادمنا قد ذكرنا الصين فانه من الواجب على السياسى المسلم ان يفكر طويلا فى عقد صلات ذات طبيعة خاصة متسمة بالود والتعاون بالصين وباليابان وكلاهما ، يكره هيمنة الدولتين الأعظم ، ويسره ان ينسق خطوط سياسته مع دول الاسلام والعرب ، وكل من اليابان والصين فى حاجة الى بترول العرب وبترول المسلمين .

نظرية اجتماعية للصيغة الوطنية

ويسرنى أن أختم هذا المقال بفقرتين جاءتا فى بحث وضعه الدكتور انور عبد الملك ، الاستاذ بجامعات باريس ، ومن أكثر الباحثين المصريين العرب ، استنارة ، قال فى صفحة ١٢ من البحث المقدم الى الاجتماع السنوى الثالث للمائدة المستديرة الاشتراكية فى العالم .

«ان الاسلام اكثر من انه مجرد واحد من الديانات التوحيدية الثلاث : ان التركيب التاريخى للاسلام ، خصوصاً فى فترة القرن الثانى من الهجرة ، أى القرن التاسع الميلادى ، هو تركيب الحضارة العالمية التى امتدت من الأندلس الى شواطىء الشرق فى آسية شاملة بذلك تشكيلات كبيرة من الثقافات والقوميات والمجموعات فى جنوبى أوروبا ، وشمال ووسط افريقيا الشرقية ، وكذلك وسط وجنوبى آسية حتى جنوبى شرق آسية . ولقد تعرضت الدائرة العربيــــة الاسلامية فى شـــــواطىء أوروبا الى موجة من الغزوات على شكل غزوات صليبية ما بين القرنين التاسع والخامس عشر . ولقد وجدت هذه الشعوب ومجتمعات هذه المنطقة فى الاسلام ، كفلسفة ودين ونظام سياسى وكثقافة ، حصنها المنيع فى مواجهة العدوان والسيطرة الغربية ، وللحفاظ على مجتمعها الوطنى ، وشخصيتها الثقافية وبذلك فان الاســلام يقوم الآن بدور الفلسفة الشمولية القادرة على حمايــة الوجود الوطنى للمجتمعات فى هذه المنطقة عبر القرون ، منذ القرن التاسع حتى قرننا العشرين ، فى مواجهة الصــليبيين والصــهيونيين والأمبريالية الطبقية المتسلطة . وبهذا المضمون يختلف الاسلام عن المسيحية ، وديانات رئيسية أخرى ، خصوصاً أن المسيحية واليهودية ، دعمت جانب العدوان ، والتسلط والهيمنة العنصرية ضد المناطق الاسلامية العربية ، لقد أعطت الاسلام مضمونها السياسى والثقافى المميز . وفى المنطقة السياسية على وجه التحديد ، كان الاسلام السياسى ، هو حامى الاستقلال الوطنى».

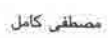
ثم يقول ان الاسلام بالاضافة الى كونه ديناً سماوياً :

«هو نظرية اجتماعية للصيغة الوطنية ، والتطور الاجتماعى ورخاء الجماهير ، ولقد خلقت هذه الطبيعة العامة للاسلام وضعاً ، لم يعد معه مكان لأية فلسفة شمولية أخرى سواء أكانت تلك الفلسفة الليبرالية للبرجوازية الوطنية ، أم فلسفة الماركسيين الغربيين . وبذلك يصبح من الواجب أن يكون تطور الفكر الوطنى التقدمى فى اطار الاسلام الحضارى والسياسى».

إن الاسلام السياسى والحضارى يؤلف الاطار الرئيسى الذى يجب على الفكر التقدمى أخذ عناصره منه .

فتحى رضوان


سعد زغلول



مصطفى كامل

الإسلام وولاية المرأة للقضاء

بقلم: الدكتور محمد عمارة

من الناس من يظن أن ولاية المرأة للقضاء وتوليتها لمهام الفصل بين الناس فى المنازعات واحدة من المسائل الشائكة التى استقر الفقه الاسلامى ـ قديما ـ فيها على راى ثابت ، هو الرفض ، رفض توليـها للقضاء والحكم بين الناس فى المنازعات .. ومن ثم فلا مجال لفتح باب الاجتهاد فى هذه المسالة من جديد ! ..

لكن واقع هذه المسالة ، إسلاميا ، يؤكد أن هذا الظن لا يقوم على اساس ، فضلا عن أن يكون الأساس إسلاميا ، ومتينا ! ! ..

وبادىء ذى بدء ، فان على من يريد فقه موقف «الفكر» الاسلامى من مسالة ولاية المراة وتوليها للقضاء ، أن ينظر الى هذه المسالة فى ضوء الموقف العام الذى وقفه الاسلام من المراة .. وهو موقف كان ولايزال ، وبكل المقاييس على مستوى الثورة التى حررت المراة العربية والمسلمة وانتقلت بها الى حال كيفى جديد .. ويكفى أن القران الكريم قد أسس هذا الموقف على مبدأ المساواة بين الرجل والمراة ، عندما قالت ايته الكريمة (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) ـ البقرة : ٢٢٨ ـ .. أما «العوامة» التى قررها الاسلام للرجل على المراة فى بقية الآية (وللرجال عليهن درجة) فانها الرياسة التى لا تنتقص من حرية المرؤوس ، وإنما تقتضيها الفطرة القاضية بوحدة القيادة فى المجتمع ، صغيرا كان أو كبيرا .. ثم إنها مرتبطة ومؤسسة على القدرات والامكانيات والعطاء ، لا على اختلاف الجنس والنوع فقط ! ..

تلك هى نظرة الاسلام للمراة ، وهذا الاطار والمدخل الذى يجب استحضاره وتصوره قبل النظر فى جزئيه : موقف «الفكر» الاسلامى و «الفقه» الاسلامى من قضية تولى المراة لمنصب القضاء .

ولقد يكون مناسبا ، بل وضروريا ، التنبيه ، فى البداية على عدد من النقاط :

فأولا : إن ما لدينا فى تراثنا حول قضية ولاية المراة لمنصب القضاء ، هو «فكر» إسلامى ، «واراء فقهية» ، و «اجتهاد فقهاء» .. وليس «دينا» وضعه الله واوحى به الى رسوله ، عليه الصلاة والسلام .. فالقران الكريم لم يعرض لهذه القضية . كما لم تعرض لها السنة النبوية الشريفة .. لأن القضية لم تكن مطروحة على حياة المجتمع عندما ظهر الاسلام .. فليس لديه فيها نصوص دينية أصلا ، سواء أكانت هذه النصوص قطعية الادلة والثبوت أو ظنية فيهما أو فى إحداهما .. فهى خاضعة للاجتهاد .

وثانيا : إن أقوال الفقهاء حول تولى المرأة للقضاء مختلفة باختلاف اجتهادهم فى هذه القضية ، ولقد دام اختلافهم فيها جيلا بعد جيل .. فليس هناك اجماع فقهى فيها حتى يكون هناك الزام للخلف باجماع السلف .. فهى من قضايا الاجتهاد المعاصر ، كما كانت من قضاياه بالامس القريب والبعيد ..

وثالثا : إن جريان « العادة » فى الأعصر الاسلامية السابقة ، على عدم ولاية المراة لمنصب القضاء لا يعنى « تحريم » الدين لولايتها هذا المنصب .. فدعوة المراة وانخراطها فى جيوشه هو مما لم تجربه « العادة » فى الأعصر الاسلامية السابقة ولم يعن ذلك «تحريم» اشتراك المراة ، عند الحاجة والاستطاعة ، فى القتال .. فهى قد مارسته وشاركت فيه على عصر النبوة .. بدءا من معاونة الجند ، وامدادهم بالسلاح ، الى مداواة الجرحى وتجهيز الشهداء ودفنهم .. بل وممارسة القتال ، كما حدث فى غزوة أحد وغزوات أخرى ، على عهد النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وصحابته ، عليهم رضوان الله .. « فالعادة » لا تحل حلالا ولا تحرم حراما ، لارتباطها « بالحاجة » المتغيرة بتغير الظروف والملابسات ..

ورابعا : إن علة اختلاف الفقهاء حول جواز تولى المراة لمنصب القضاء ـ فى غيبة النصوص الدينية التى تتناول هذه القضية ـ كانت اختلافهم فى الحكم الذى « قاسوا » عليه توليها للقضاء .. فالذين « قاسوا » « القضاء على » الامامة العظمى « التى هى رئاسة الدولة والخلافة ـ مثل فقهاء المذهب الشافعى ـ قد منعوا توليها للقضاء ، لاتفاق الفقهاء على جعل «الذكورة» شرطا من شروط الخليفة ، فاشترطوا هذا الشرط فى القاضى ، قياسا للقضاء على الخلافة والامامة العظمى ..

والذين اجازوا توليها القضاء فيما عدا القضاء فى قضايا « القصاص والحدود » ـ مثل أبى حنيفة وفقهاء مذهبه ـ قالوا بذلك لقياسهم « القضاء » على « الشهادة » ، فاجازوا قضاءها فيما اجازوا شهادتها فيه ، أى فيما عدا «القصاص والحدود» ..

أما الذين اجازوا قضاءها فى كل القضايا ـ مثل الامام محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ ٨٣٩ ـ ٩٢٣ م) وفقهاء مذهبه ـ فلقد حكموا بذلك لقياسهم « القضاء » على « الفتيا » .. فالمسلمون قد اجمعوا على تولى المراة لمنصب الافتاء الدينى ، وهو من أخطر المناصب الاسلامية ، فقاسوا القضاء عليه ، وحكموا بجواز تولى المراة كل أنواع القضاء ..

وهم قد عللوا ذلك بتقريرهم أن الجوهرى والثابت فى شروط القاضى إنما يحكمه القصد والهدف من القضاء ، وهو ضمان وقوع الحكم بالعدل بين

المتقاضين .. وبعبارة ابى الوليد بن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ ١١٢٦ - ١١٩٨ م) : فان « من راى حكم المراة نافذا فى كل شىء قال : إن الأصل هو ان كل من يأتى منه الفصل بين الناس فحكمه جائز ، إلا ما خصصه الاجماع من الامامة الكبرى » (١) والخلافة ورئاسة الدولة ..

وخامسا : فلم تكن « الذكورة » هى الشرط الوحيد الذى اختلف حوله الفقهاء من بين شروط من يتولى القضاء .. فمثلا : اختلفوا فى شرط « الاجتهاد » ، فاوجب الشافعى وبعض المالكية ان يكون القاضى مجتهدا ، قياسا على امية النبى صلى الله عليه وسلم .. (٢)

واختلفوا فى شرط كون القاضى « عاملا » - وليس مجرد « عالم » - باصول الشرع الأربعة ، الكتاب والسنة ، والاجماع والقياس .. فاشترطه الشافعى (٣) وتجاوز عنه غيره من الفقهاء ..

كما اشترط ابو حنيفة ، دون سواه ، أن يكون القاضى عربيا من قريش (٤) ! ..

فشرط « الذكورة » فى القاضى ، هو واحد من الشروط التى اختلف فيها الفقهاء .. اشترطها البعض باطلاق ، ورفض البعض اشتراطها باطلاق ، واشترطها البعض فى بعض القضايا دون البعض الآخر .. فليس عليها إجماع فى « الفكر الفقهى » ، كما انه ليس فيها نصوص دينية تمنع أو تقيد اجتهاد المجتهدين والمفكرين .. واذا كانت الشريعة مقاصد ، والهدف من التشريع هو تحقيق المصالح والغايات للأمة ، فان توافر الاهلية والكفاءة لاقامة العدل بين المتقاضين هى محور الشروط التى يجب توافرها فيمن يلى منصب القضاء ..

● ●

لكن بعض الذين اشترطوا « الذكورة » فيمن يلى منصب القضاء قد أضافوا الى علة قياسهم القضاء على الامامة العظمى والخلافة العامة ، أضافوا « الاحتجاج » ببعض الاحاديث النبوية التى رويت فى المراة ، رغم انقطاع الصلة بين المراد بهذه الأحاديث النبوية وبين تولى المراة للقضاء وأهليتها كى تتساوى بالرجل فى هذا الأمر وفى أمثاله من الأمور ..

● فالماوردى (٣٦٤ - ٤٥٠ هـ ٩٧٤ - ١٠٥٨ م) ، مثلا ، يورد - فى معرض رفضه مذاهب الذين يجوزون قضاء المراة - يورد حديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم الذى يقول : « ما افلح قوم اسندوا أمرهم الى امرأة » (٥)

ولعل من الأهمية بمكان ان نقف وقفة تجلى المراد النبوى بهذا الحديث - الذى شاع كسلاح يحاول الكثيرون به حرمان المراة من الحقوق باسم السنة النبوية الشريفة .. وليس سوى معرفة ملابسات قول الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، لهذا الحديث سبيلا لفقه المعنى المراد منه والغرض المقصود .. إن الصحابى « ابو بكرة » ، رضى الله عنه يروى هذا الحديث فيقول : « قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

- من يلى أمر فارس ؟

- قالوا : امراة

- قال : ما افلح قوم يلى أمرهم امراة (٦)

فهذا الحديث كما يتضح من سياق قوله هو نبوءة سياسية من الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بفشل الفرس المجوس ، اولئك الذين ملكوا عليهم امراة وليس حكما بتحريم ولاية المراة للقضاء .. فلا ولايتها العامة ولا ولايتها الخاصة كانت بالقضية المطروحة على النبوة كى تقال فيها الاحاديث ! ..

● وحديث آخر يورده الماوردى فى هذا المقام ، هو قول الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عن النساء :

« اخروهن من حيث اخرهن الله »

وهو يستدل به على وجوب تاخير النساء عن منصب القضاء ، لأن الله قد أخرهن !

ونحن عندما نرجع الى مصادر السنة النبوية الشريفة ، ونطالع الحديث كاملا وفى سياق قوله وملابسات هذا القول وأسبابه ، نعلم يقينا أن لا علاقة لهذا الحديث بتولى المراة للقضاء .. فهذا الحديث هو أمر تنظيمى لصفوف المسلمين والمسلمات عندما يصلون بالمسجد ، خلف الامام .. فقديما ، وفى معابد بنى اسرائيل كانت النساء يصلين مختلطات بالرجال .. وفى البداية الاسلامية كان المسلمون يصنعون ذلك ، فنهى النبى ، صلى الله عليه وسلم ، عن ذلك ، وطلب تقدم صفوف الرجال وتاخر صفوف النساء ، حتى لا ترى الرجال عورات النساء من « الأزر » الضيقة ! .. وقال فى الحديث الذى رواه ابو سعيد الخدرى ، رضى الله عنه : « ... وان خير الصفوف صفوف الرجال المقدم وشرها المؤخر ، وخير صفوف النساء المؤخر ، وشرها المقدم . يا معشر النساء ، اذا سجد الرجال فاغضضن ابصاركن ، لا ترين عورات الرجال من ضيق الأزر ! » (٧)

بل وحتى هذا الحديث الذى يورده الماوردى نجد مقدمته التى يقدم له بها راوية عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ، تقول : « كان فى بنى اسرائيل الرجل والمراة يصلون جميعا » .. الأمر الذى يكشف عن المراد بهذا الحديث ، الخاص بتنظيم صفوف الرجال وصفوف النساء فى الصلاة بالمسجد ...

فاين من ذلك أهلية المراة للقضاء ؟ ! .. وما علاقة هذه الأحاديث بتوليها الفصل بين الناس فى المنازعات ، اذا هى حصلت شروط العدل فى فصل الخصومات ؟ ! ..

● ●

وهكذا .. فسواء انظرنا الى القضية فى اطار النظرة العامة التى نظر الاسلام بها الى المراة .. أم من خلال « الفكر الفقهى » الاسلامى ، الذى اختلف ائمته حول هذه القضية .. او بالنفاذ الى فقه النصوص التى أوردها البعض حولها ... فاننا سنجد ولاية المراة للقضاء واحدة من القضايا التى خضعت للخلاف والاجتهاد ، والتى يجب أن تبحث مجددا على ضوء تغير واقع المراة المسلمة وتطورها ، وما أحرزت فى عصرنا من أهلية وقدرة لم تكن لها فيما تقدم من العصور .

هوامش

(١) (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) جـ ٢ ص ٤٩٤ ، طبعة القاهرة سنة ١٩٧٤ م ، وانظر كذلك : الماوردى : (أدب القاضى) جـ ١ ص ٦٢٥ - ٦٢٨ . طبعة بغداد سنة ١٩٧١ م و (الأحكام السلطانية) ص ٦٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٣ م .

(٢) (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) جـ ٢ ص ٤٩٣ ، ٤٩٤ .

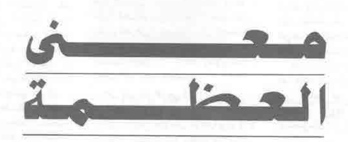
(٣) (ادب القاضى) جـ ١ ص ٦٤٣ .

(٤) محمد محمد سعيد (كتاب دليل السالك لمذهب الامام مالك) ص ١٩٠ . طبعة القاهرة سنة ١٩٢٣ م .

(٥) (ادب القاضى) جـ ١ ص ٦٢٧ .

(٦) رواه احمد بن حنبل .

(٧) رواه ابن ماجة وابن حنبل .



بقلم: فؤاد كامل

نقول عن سقراط إنه فيلسوف عظيم ، ونقول عن نابوليون : كان قائدا عظيما ، ونقول عن جيته وشكسبير ودانتى وأبى العلاء المعرى : هؤلاء شعراء عظام ، ونقول عن بيتهوفن لقد كان موسيقيا عظيما ، ونقول عن ونستون تشرشل إنه سياسى عظيم .. الخ . فما هذه العظمة التى تسلك فى حبات عقدها هؤلاء الأشخاص جميعا رغم تفاوت المجالات التى لمعوا وبرزوا فيها ، ورغم تباعد الأزمنة والأمكنة التى نشأوا وظهروا فيها ؟ أهناك صفة واحدة أو عدة صفات يشتركون فيها وتنتظمهم جميعا ؟

والاجابة على هذا السؤال من أصعب الأمور : فمازالت عظمة هؤلاء جميعا سرا من الاسرار لا يستطيع أن يجلوه إلا عظيم مثل هؤلاء العظماء أتيح له ما أتيح لهم من سر ، وما أغدق عليه من مواهب .

على أن الله سبحانه وتعالى بما كرم به الانسان ، وبما سخر له من الكون ، وبما أسجد له من الملائكة ، بعد أن علمه الأسماء كلها ، واستخلفه فى الأرض ليمتلك زمامها ، ويطلق فيها يده ، وليبرز فيها مشيئة الخالق فى الابداع والتكوين ، والتركيب والتحليل ، والتحوير والتبديل .. «وسخر لكم ما فى الأرض جميعا» ، قد وضع فيه من الطاقات الكامنة ، والقدرات الهائلة ، والمواهب المذخورة ، والامكانيات الكثيرة بحيث يستطيع أن يكون أعظم الكائنات فى هذا الكون البديع المسخر له : «وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» و «اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين» فالانسان بحكم وضعه الكونى ، والروح الالهية التى نفخها فيه الله ، وبما سواه وقومه عظيم بالامكان دائما ، عظيم بالفعل احيانا : «فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ..» وهو «.. الذى خلقك فسواك فعدلك..» و «نفس وما سواها ..» .. و «لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ..» ولكن هذا الانسان نفسه يمكن أن يتردى فى حضيض المهانة والتحقير : «ثم رددناه اسفل سافلين ..» .

فالانسان كائن مزدوج يمكن أن يصعد الى أعلى عليين فيكون «قاب قوسين او ادنى» ، ويمكن أن يهبط الى الدرك الأسفل من الفجور والضلال : «.. فالهمها فجورها وتقواها ..» ذلك أن الانسان وهب سر المعرفة ، الذى رفعه فوق الملائكة ، كما وهب سر الارادة المستقلة التى توقفه موقف الاختيار .

ومع هذه العظمة الكامنة فى الانسان بحكم خلقه وطبيعته ، فان عظماء الناس نادرون ، فهل العظمة هبة من هبات الله سبحانه وتعالى يمنحها لمن يصطفيه من عباده ؟ أم هى نتيجة جهد مبذول وكد موصول ، وكدح طويل ، وثمرة للكسب والتحصيل ؟

وهذا سؤال آخر تختلف الاجابة عليه . ولكنى أميل الى القول بأن العظمة نعمة من نعم الله يمن بها على من يشاء من عباده . ولكنها فى الوقت نفسه ثمرة للكد والنصب . فما رأينا عظيما متوانيا أو كسولا ، أو مكتفيا بموهبته عن العمل المتواصل ، والسعى الدءوب ، وكم رأينا من مواهب بددها أصحابها فلم يصلوا الى أعتاب العظمة . بل ظلوا على أبوابها لا يدخلون !

وخلاصة القول أن العظمة لغز لم يسبر بعد غوره كالشخصية سواء بسواء .. فمازالت الشخصية الانسانية لغزا يحير علماء النفس وعلماء الاجتماع . فأولى أن تكون العظمة لغزا محيرا وهى الدرجة التى تتمثل فيها الشخصية فى أوج اكتمالها ، وذروة كمالها .

الخلفية التاريخية

شهد التاريخ منذ غابر ازمانه وعصوره أشخاصا ميزهم الناس عن سواهم ، ورفعوهم درجات عليهم ، واتخذوهم أسوة وقدوة .. بل لقد





سقراط





جوته



استحال هؤلاء الأشخاص الى كائنات اسطورية ، واحيانا الى ابطال قوميين يمجدهم البشر ، وفى الحقب البدائية من تاريخ الانسانية كان الانسان العظيم ، او البطل القومى جامعا لبطولة المحارب وحكمة المشرع ، وعقلية المخطط والمخترع ، وبراعة الشاعر والفنان والمفكر . كان هذا كله يؤلف شخصا واحدا ، فلا غرو ان تمجيد الابطال كان امرا منتشرا بين الشعوب فى المرحلة البدائية من التاريخ . (جلجامش عند الفرس ، وبتاح حقب عند المصريين ، وادون عند الاسكندنافيين) ، بل لقد ظل تمجيد الأبطال ظاهرة منتشرة عند بعض الاقوام حتى القرن الحادى عشر بعد الميلاد ، كما ترى ذلك عند اهل الشمال فى السويد والنرويج .

ولم يكتب الانسان التاريخ إلا عندما احس بالحاجة الى تخليد ذكرى عظمائه وابطاله ، والمؤرخون العظماء من امثال هيرودوت ولويخان – لم يكتبوا التاريخ إلا بعد ان اتصل الحديث بينهم وبين عظماء الانسانية فى الازمنة السحيقة ، معتقدين ان اتصالهم بهؤلاء العظماء وتدوين اعمالهم ، وتسجيل افعالهم ، إنما هو اتصال بكل ما هو عظيم ، وبكل ما تتمثل فيه عزيمة الانسان الأخلاقية ، وارادته المبدعة ، ونظرته الشاملة ، ووضوح رؤياه .. وهذه صفات تضرب بجذورها ، وتمتد اصولها فى الافراد العظماء .



نابليون

تشرشل

شكسبير



بتهوفن

ومنذ ذلك الحين السحيق اصبح التاريخ هو تاريخ من ظهر فى الدنيا من العظماء كما يقول كارلايل : «.... فهم الائمة وهم المكيفون للامور ، وهم الأسوة والقدوة ، وهم المبدعون لكل ما وفق اليه اهل الدنيا ، وكل ما بلغه العالم» .

ولكل شعب طريقته فى توقير العلماء وتبجيلهم . وهذه الطريقة التى تنسب بها العظمة هى التى تحدد مستوى هذا الشعب من الشعوب او ذاك ، وبالتالى تحدد الانسانية فى مجموعها . فالرجل العظيم لا يكون عظيماً فى شعبه وحسب ، بل يكون عظيما بالنسبة للانسانية جمعاء وهذا شرط من شروط العظمة .. وفى العظماء يتعرف كل عصر على نفسه ، فهم الذين يحددون معالم العصور واتجاهاتها ومبداها ومنتهاها . وقد ينسى الناس العظماء ، ولكنهم لا يغيبون طويلا ، بل يعودون الى الظهور ويراهم الناس فى صور اوضح ، ثم ينسحبون مرة اخرى ويحتجبون ويعاود التاريخ اكتشافهم وابرازهم ، فلا تاريخ بغير عظماء ، بل إن الوجود نفسه يظل تافها بغير دلالة إن خلا من العظماء .

ولقد كانت العظمة تحظى منذ اقدم عصور التاريخ بصنوف من التشريف والتكريم ،، وكانت تتمثل غالبا فى زعماء القبائل البدائية ، وفى

معنى العظمة

رهبان الهند الأسطوريين (الرتيشى) الذين ينطقون عن الالهام ، وفى بعض المفكرين الهنود الأوائل من امثال باجنا فالكيا وساندليليا ، وكابيلا) ، وفى مؤسسى العصور القديمة فى الصين ، وفى حكماء مصر من امثال امحوتب وبتاح حقب ، وابيورو ، وفى جلجامش فى بابل القديمة .. وهؤلاء جميعا يتخذهم الناس مرشدين لهم فى مجال الفكر والتقاليد والسياسة والاختراع .. الخ ، وتاتى بعدهم الشخصيات التاريخية الحقيقية ، وفى مقدمتها شخصيات «العهد القديم» والاغريق والرومان ، ثم بعض الصينيين والهنود المتفرقين ، من زعماء ومصلحين ونماذج للسلوك القويم ، ودعاة للخير والحياة السعيدة .

وكانت العظمة فى اول ظهورها مجرد واقعة بسيطة ، لكنها تحولت منذ نظم هوميروس ملحمته البطولية الشهيرة المعروفة باسم «الالياذة» الى موضوع للتامل والتفكير . واعلن هرقليطس قولته المشهورة : «شخص واحد يعادل عندى عشرة الاف شخص ، لو كان الأفضل» . وفسر السوفسطائيون وافلاطون وارسطو وبوزيدونيس العظمة على انها موهبة تدفعهم الى الحماس ، وتميزهم بكمال فى الذكاء فهى عبارة عن اتحاد اصيل لكل الملكات المبدعة فى الطبيعة البشرية .

وكان « لونجان » (القرن الأول الميلادى) اول من كتب تخطيطا للعظمة الانسانية ، ومن ضمن ما قاله إننا نعجب دائما بما هو خارق للعادة ، وعظماء الرجال لا يهتمون بالتفاصيل ودقتها ، بل يستهدفون دائما عظائم الأمور وجلائل الأعمال ، وبهذا يرتفعون فوق مقاييس الفانين ، ومن لا يرتكب خطا يعض من اللوم ، اما الرجل العظيم فيرغمك على الاعجاب .

وتعاورت على العظمة مفاهيم كثيرة مع التقلبات التاريخية ، ففى عصر النهضة مثلا تركز معناها على فكرة العبقرية ، وكان من مميزات هذا العصر تخلصه الواضح من التعصب لطائفة من العظماء دون طائفة ، بل كان تامل العظمة والتفكير فيها موضوعيا ، واشتمل البحث عن العظماء شعوب الأرض جميعا ، حتى الشعوب المعادية ، وهذه حسنة من حسنات ذلك العصر .

وشحذ هذا الاحترام الحقيقى للعظمة فى كل زمان من حساسية البحث ، وسمح بتمييز افضل لكل ما هو فريد ، ولم تعد هذه الحساسية تكتفى باعجاب مجرد لا يرتبط بشىء ، بل على العكس من ذلك ، اخذت ماخذ الجد ما تعرضه العظمة من مطالب ، وما تدعو اليه من تحد ، وما تدفع اليه من نظرة جادة كل الجد .

معنى العظمة

وشرع البعض فى اكتناه هذا اللغز المغلق ، وهذا السر المستغلق وكان كارل يسبرز الفيلسوف الالمانى المعاصر من ابرز المهتمين بالكتابة فى هذا الموضوع ، وهذا هو مجمل رايه :

« الرجل العظيم اشبه بانعكاس للكل فى الوجود ، وظهور الرجل العظيم فى العالم هو فى الوقت نفسه ثغرة تخترق هذا العالم ، قد تكون هذه الثغرة على هيئة شعاع جميل صادر عن انجاز جليل ، او على هيئة سقوط فاجع (تراجيدى) ، او بوصفه نوعا من الراحة او السكينة الملغزة فى الحركة الدائبة التى يصحب بها اعماق وجوده» .

وقد يرى بعض الناس العظمة فى العمل النافع ، لكنها فى حقيقة الأمر قد لا تكون عملا ، ولا نفعا ، ايا كانت كميتهما ، ذلك لأن العظمة لا يمكن ان تقاس ، إذ هى تتعلق بوجودنا كله ، وبالعالم كله ، وبالعلو ، والعنصر النافع فى التحقيق لا يصبح عظيما الا إذا تلقى معناه من شىء ابعد من ذلك كثيرا .. اعنى من الشامل .

وتظهر العظمة عندما يصير ما هو واقعى بواسطة ذلك الانعكاس البعيد ، رمزا للكل ، وحيثما وجدت العظمة ، كانت القوة ، بيد ان القوة ليست هى العظمة . وسواء اكانت هذه القوة طاقة حيوية دافقة فياضة لا تستنفد ، او كانت قوة روحية خلاقة مبدعة ، او قوة قاهرة لذهن متوقد ، فان فيها ــ بلا شك ــ شيئا ينتمى الى العظمة . ذلك ان الفاتر الرتيب الكئيب الشاحب الباهت السريع التبدد ، لا يمكن ان تكمن العظمة فيه . ومع ذلك فان الحيوية ، والخصوبة والغزارة فى الانتاج ، والذكاء ، وسرعة التصرف والقدرة على العمل .. هذا كله منفردا لا يصنع العظمة ولن يفعل ذلك إلا شاعت فيه وسمت به روح العلو .

ومع ان فى العظمة شيئا من الكلى ومن الشامل ، فان فيها ايضا شيئا فريدا لا يمكن استبداله من الناحية التاريخية ، فالشخصية العظيمة لا تذوب ولا تنحل فى الكلى الذى تجىء به الى العالم . فهى لا توجد عدة مرات بنفس الطريقة . فما كان من الممكن ان يحققه شخص اخر ايضا لا يمكن أن يكون عظيما . وكل ما يمكن اعادة صنعه ، وتعلمه ، واجادته ، وان كان الذى فعله فى البداية ، وبالضرورة ، شخص واحد ، مثل هذا العمل لا يمكن ان يكون عظيما . وعلى هذا يمكن ان نقول ان ما لا يستبدل هو وحده الذى ينسب الى العظمة .

بيد أن هذا الاستبدال لا يتصف بالعظمة من حيث هو فرد فى جزئية الفردية ، بل لابد ان يكتسب طابعا موضوعيا بواسطة وسيلة للتحقيق ، والانجاز ، اى لابد ان يخرج الى حيز العمل والفعل والابداع ، وعندئذ يصبح حقيقة امام الكل ، اوجدتها شخصية فريدة لا تتكرر . فالعظمة تفترض ان ما هو صحيح صادق حقيقى على نحو كلى ، يتخذ شكلا شخصيا من الناحية التاريخية . واتحاد الفرد الشخصى بالعمومية الموضوعية هو الذى يحقق العظمة . الفائق على الشخصى يتحدث فى العظمة بواسطة الشخصى ، وعندئذ يتخذ ما هو شخصى دلالة موضوعية .

كيف نتعرف على العظمة

وانا لا ارى اختلافا كبيرا بين نظرية يسبرز فى العظمة وبين النظرية الاسلامية اللهم الا فى المصطلح ، فهو يرى ان الانسان يكون عظيما بمقدار مشاركته فى العلو ، ومؤدى النظرية الاسلامية ان الانسان يكون عظيما بمقدار تحقيقه لاستخلاف الله له على الأرض .

ثمة حدود تقيد طبيعتنا الانسانية ، وفى المجهود الذى نبذله لتجاوز هذه الحدود نبحث عن رجال يكونون اعظم منا واعظم . وبينا نكون

● لا ينبغي أن يصل تبجيل العظمة إلى حدّ تأليه صاحبها .. فإن أعظم الناس وأندرهم يظل بشرًا مثلنا ، ومن طينتنا وجنسنا

في وعي بضالتنا ، نخوض في الوقت نفسه بالعظماء الذين نعرفهم تجربة ذلك الطلب المطلق الذى نحاول به توسيع حدود امكانياتنا البشرية وتعميق ابعاد طبيعتنا الفانية . فالعظمة تكون حيثما ندرك ـ فى تبجيل عميق ، ورؤية واضحة ـ ما يمكن ان نصبح به نحن انفسنا افضل مما كنا . ومن عظماء الرجال تشع قوة تجعلنا ننمو ونزيد بمحض حريتنا واختيارنا ، وهم يعمروننا بالعالم اللامرئى الذى يكشفونه ويستشفون شيئا مما فيه . إنهم بعظمتهم يكشفون لى عمن اكون . واما كيف اشاهد العظمة ، وكيف اتوصل معها ، فهذا ما يكشفنى لنفسى وكلما كانت الارادة اقوى ، وكلما كان الفكر انقى واصفى ، تحدثت الى ارادة العظماء بمزيد من الوضوح والبيان . فبفضل إمكانيات طبيعتى الخاصة استطيع ان ادرك معنى العظمة .

وتبجيل العظماء وتوقيرهم يحتم على احترام الكائن الانسانى ايا كان . فمن يحترم الانسان هو وحده القادر على رؤية العظمة المستجدة فى العالم الحاضر ، وكما تعطى لنا فى العصر الذى نعيشه . ومعاصرونا الذين ننظر اليهم بعين الاعتبار فى حب واجلال يزودوننا بالمعايير التى تعيننا على تقييم الانسان بوجه عام ، وتقييم امكانيته .

ولا وجود للعظمة حين يبهرنا ما هو كمى ، ذلك اننا ندرك بمقياس عجزنا وقصورنا قوة اولئك الذين يسيطرون علينا . فنحن لا نستطيع ان نرى العظمة عندما تحرمنا غريزة الخضوع فينا من مسئوليتنا ، وعندما تعكر رغبة العبودية الكامنة فينا رؤيتنا الواضحة ، فنخترع انسانا اعلى هو فى حقيقة الأمر انسان اسفل .

ولا وجود للعظمة ايضا عندما نقنع بالابحاث والتحليلات . إذ تغوص العظمة وتختفى فى خضم علم النفس وعلم الاجتماع ، ذلك ان طرائق التفكير فى هذين العلمين تطمس ملامح العظمة وتعمى عن رؤيتها ، إذ تذوب العظمة بواسطتها فى صفات وخصائص ، وفيما يمكن تقريره او اثباته موضوعيا وكميا بواسطة اختبارات ، ووقائع ... الخ .

ان وجود العظماء اشبه بضمان ضد العدم ، ومجرد رؤيتهم هو فى حد ذاته غبطة لا تضارع ، ولا مثيل لها . ونتساءل مع كارلايل : « الا يحس المرء ان فى إجلاله لمن هو ارفع منه رفعة لنفسه ؟ وهل جال فى صدر المرء إحساس هو اشرف من ذلك واعظم ؟ » .

ولا ينبغى ان يكون بتبجيل العظمة وتوقيرها تأليها للانسان .. ذلك ان اعظم الناس واندرهم واكملهم يظل بشرا مثلنا ، ومن طينتنا وجنسنا .

● الصغار وحدهم هم الذين يجدون متعتهم في إبهار الآخرين وانتزاع حريتهم

وقد وصف الرسول الكريم نفسه فى القران بانه بشر فيه كل ما للبشر من صفات النقص ، وانه ينزل عليه الوحى من ربه بين ان واخر ، ولكنه لا يتلقاه مباشرة عن الله ، بل بواسطة الملك « قل إنما انا بشر مثلكم يوحى الى إنما إلهكم إله واحد » « وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب » . وكان الرسول حريصا على ان ينفى عن نفسه صفة الألوهية . « قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا ؟ » وكذلك حرصت بقية الرسل ، «قالت لهم رسلهم إن نحن الا بشر مثلكم» ويؤكد القران الكريم هذا الامر تأكيدا قاطعا فيقول : «ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله» . كما يؤكد الرسول الكريم انه لم ير الله قط او يطلع على إسراره ، وانه لا يتنبأ بالغيب ولا يفعل المعجز وخوارق العادات ، بل هو عبد من عباد الله ورسول من رسله . هكذا كانت شخصية الرسول التاريخية ، حتى لقد صعب على معاصريه التصديق به وعجبوا من امره عندما انكر كل شىء خارق للعادة .

وتحويل الانسان العظيم الى اسطورة ليس هو ما يحفظه ويبقيه للاجيال ، بل النظر الى حقيقته نظرة نفاذة شاملة تحيط بجوهره ، وتقترب من مكنون سره . وربما انتشر هذا التأليه فى العصور البدائية عندما لم يكن التفكير منصبا على الشخصية العينية والفرد الواقعى الماثل امام الناس بقدر ما كان منصبا على القوى الروحية التى تفعل فيه وتحركه . ولم يلتفت احد الى مشاعره الباطنية او جوانيته او فرديته او عقليته المتميزة ، وانما كان الالتفات كله الى عمله والى المثل الذى يمثله . وخضوع الناس لفرد بوصفه سلطة عليا ، لم يكن بسبب طبيعته الشخصية ، ولكن للاعتقاد بانه إرادة عليا ، وقوة خارقة تتجسد فيه .

ومن واجب الفلسفة بل من اهم واجباتها ان تضع حدا لتمجيد الانسان عن طريق وضوح العقل ورؤيته ، وذلك لحساب احترام العظمة الانسانية نفسها ، ولم يتسامح العظماء قط فى تأليه الناس لهم حتى المسيح نفسه إذ يحاوره الله : « واذ قال الله يا عيسى بن مريم أانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق . إن كنت قلته فقد علمته . تعلم ما فى نفسى ، ولا اعلم ما فى نفسك إنك انت علام الغيوب » .

فالعظماء حقا وصدقا فى كل زمان ومكان ، وضعوا علاقتهم مع الآخرين على نفس المستوى المشترك مع بسطاء الناس ، وان فعلوا غير ذلك ، فقدوا عظمتهم . ومن الحق ان بعض عظماء الفلاسفة قد تمتعوا فى حياتهم وبعد مماتهم بصنوف من التشريف والتكريم غير المألوفة عبر الأجيال . فكان افلاطون مثلا يسمى افلاطون الالهى ، وبمثل هذا استمتع زعماء المدارس الرواقية والابيقورية والافلاطونية المحدثة ، وكذلك كان كونفوشيوس وبوذا ولاوتسى بين اتباعهم . ويحدث هذا بصورة اقل لكبار الأساتذة فى الجامعات المعاصرة .

بيد ان هذه الظاهرة شىء مناف تماما للفلسفة وان كان من المقبول طبعا ان يحظى عدد قليل او شخص واحد ، باعجابنا واختيارنا دون الآخرين ولكن ينبغى ان يظل هذا الحب جزئيا دون ادعاء للكلية الشاملة . والمهم هنا هو التأثير الذى يمارسه هذا العظيم على تربيتنا الشخصية ، وان نضع فى اعتبارنا انه من المستحيل معرفة كثير من الفلاسفة بنفس الدرجة من العمق التى نعرف بها فيلسوفنا المفضل .

والواقع ان ما حدث لكبار الحكماء بعد مماتهم لم يكن شيئا يريده هؤلاء . والصغار وحدهم هم الذين يريدون ان يكونوا عظماء . وهم وحدهم الذين يجدون متعتهم فى ابهار المشاهد وانتزاع حريته ، اما العظمة الحقيقية فهى التى تسعى لحمايتنا منها ضد نفسها . واعظم الناس هم اولئك الذين يعتقدون انهم يتحدثون باسم روح اعظم منهم ، ويفعلون بتأثير ارادة اقوى منهم . ولا يستطيع انسان مهما بلغت عظمته ان يحتوى الكل ، او ان يكون كاملا كمالا مطلقا ، ولهذا ينبغى ان ننصرف عن البحث عن «الانسان الكامل» . لقد وجد العظماء لكى يوجد من هم اعظم منهم .

والانسان العظيم يظل انسانا ، وعظمته توقظ فينا ما يمكن ان يكون مشابها له . وفى مقابل القيمة التى تتمتع بها العظمة ولا يمكن ان يحل محلها شىء اخر ، هناك ما لا يمكن استبداله فى كل نفس انسانية ، وما يظل خافيا متسترا غير مرئى . ومن يدرك العظمة يحس بانه ينبغى عليه هو نفسه ان يكون عظيما .

فؤاد كامل

قــراءة فـي قصيـدة للشاعر الدكتور غازي القصيبي

بقلم: أحمد عبدالله متولي

الشاعر الدكتور غازي القصيبي

جميع المطارات عندى سواء
جميع الفنادق عندى سواء
وكل ارتحال قبيل الشروق
وبعد المســاء
ســواء

بهذا يستهل الدكتور غازى القصيبى قصيدته (فيم الغناء ؟) .. إيقاع كجدول رقراق يصب فى قافية (السكون) .. فيه شعور بالسام .. يذكرنى باستهلال صلاح عبد الصبور لرائعته (الظل والصليب) – رغم اختلاف الرؤيا والرأى للقصيدتين .. حيث يقول صلاح :

هذا زمان السام
النفخ فى الأراجيل سام

بداية فيها الشكل التقريرى .. المقصود والمتعمد .. مدخل حيث الالوان – فى لحظة ما – مختلطة .. لا فرق بين الاحمر والاخضر والأزرق .. الاحساس بالاعماق مختلط .. الساخن بالبارد .. والبارد كالساخن ! .. لا طعم للاشياء ! .. لا شعور بفرحة الوجود ، لا فرق بين الليل الوديع الساكن الحالم للشعراء .. او الشروق ، حيث خلق عالم جديد فيه الحركة والتجدد ...

ترى ما الذى يدفع شاعرنا دفعاً نحو هذا الشعور القاسى والمدمر ؟ –

يقول الدكتور غازى القصيبى :

وكل الوجوه
تطاردنى عند كل وداع
تلاحقنى عند كل لقاء
سواء

فى جو غير عادى ، تتسطح الاشياء .. ويستوى النور بالظلام .. والصواب والخطا .. نعم جو غير عادى لهذه الدنيا غير الصريحة ..

ولأن النفس مرهقة .. شديدة الشعور بايقاع الحياة .. وتوقيعاتها .. هنا يتحول الحب «الشكلى» و «الرسمى» الى مطاردة وملاحقة ! .

وما اتعس ان تختنق لحظات الوداع .. وما اتعس ان تموت لحظة اللقاء .. وما اشق على نفس تبحث عن الحق والخير والجمال ان يستوى الوداع باللقاء ، واللقاء بالوداع ، فيصبح الكل سواء .

ومن هذا الواقع ينبت الشعور بالسؤال : فيم الغناء ؟

الغربة والغرابة

الكل باطل .. فى لحظة يضيع فيها الشعور الحقيقى بالحب ، ويضيع اليقين فى غابات الوجوه ومئات الابتسامات المرسومة .. والورقية .. والقبلات الجاهزة المضمخة بالمصالح او بحكم التكلف او (التكليف) او – العادة على احسن تقدير .. عندئذ يتساءل الشاعر ، بايقاع مرير .. فيم الغناء ؟

تساؤل فيه الغربة والغرابة والاستغراب .. ممزوج بتساؤل العالم ببواطن الأمور . وكثير من المعرفة والمشاعر المرهفة يساوى كثيرا من الألم والمعاناة ! .

إن الوقوف على قلوب الناس ضرب من المستحيل ، والوقوف على مشارف الظن بهم عذاب .. وماذا يفعل القلب وسط دياجير الظلام ؟

أسير الى غابة الأمس واليوم
حيث تسيل الدماء
اصافح نفس الأيادى المليئة
بالعطر والمكر ، المح نفس الرياء
ونفس الخداع
ونفس الغباء
ففيم الغناء

صحيح ان الشعراء لا يلتزمون بأبحاث العلوم النفسية – وفى عصرنا اهتمام بذلك ، ولكن لا يمنع الأمر ان يعنى الشعراء بتحليل النفوس والعواطف والاهواء .. وها هو ذا الشاعر يقف وقفة او وقفات يركز بصره فى داخله الآف المرات .. وحوله الاف المرات ! ويرصد الخواطر .. المشاعر والاحاسيس والأفكار .. ويعصر افكاره فى الوجود ، الى تاملات نفسية .

ففى درب الحيــاة ، قد نســير فى درب ملوث بالدماء والظلم ، وقد نصافح ايادى قتلة وسفاحين ، ومن يرسمون البراءة والطهارة والرياء والخداع ، ويدهنون وجوههم المستعارة بألف لون براق .. ولسان ذلق حرير .

ولأن الشر والخير ، توأمان فى الحياة ، وفى

قلب الانسان .. وقد يستسلم الخير للشر احيانا فى قلوب البشر .. ويظل نموذج الانسان الثعلب او الانسان الذئب .. موجودا بيننا .. مطروحا فى الاسواق وفى المجالس وبين الاصابع فى الطعام .. وتحت اللسان ! .

وقد يطل اللؤم بين باقات الورود .. وقاعات الاستقبال ! .. ولكن روح الشاعر المرهفة تتالم .. رغم علم صاحبها ان الحياة فيها الاقدار المتصارعة ، صراع الأشباه ، وصراع الأضداد .. ودفع الناس بعضهم لبعض .. حيث الدئرة لا تنتهى ! .. إنها الأقدار .. والروح الشاعرة ، المرهفة ، تعرف ان المشكلة عويصة فعلا ..

هذا المعجم الخاص

هل تاتى رياح تنزع اقنعة النفاق ، وتعريها على حقيقتها ؟

يقول النبى محمد ، صلى الله عليه وسلم : (اذا رايتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب) ولكن الا يحتاج الأمر لوقفة .. لسؤال .. لماذا النفاق ؟ ذلك السم الرهيب ! فحين يتوارى الصدق خجلا ، ويتضاءل .. ويغيب القلب الشجاع .. ويرحل من دنيا القلب اخر شعور رحيم وفد الى داره .. يستحيل الغناء مستحيلا !

وحين يصير الدينار والدولار وثنا . الغناء مستحيل .

وحين يغيب الحب عن القلب .. مستحيل الغناء .

يقول الشاعر غازى القصيبى :

والهو بنفس القرارات
اهذى بنفس الخطابات
اسمع نفس الغناء
واضحك حين يشاء القضاء
واحزن حين يشاء القضاء
فقيم الغناء
فقيم الغناء

الشاعر يمشى ــ بكل وعيه ومشاعره الفياضة ــ فى غابة كثيفة بالأدعياء ، اصحاب الأقوال الجوفاء .. وتصبح الكلمات عارية ــ عن الحقيقة ــ وخالية من رنة الصدق .

وقرارات واوراق صماء .. بلا فعل .. لعله يذكرنا بالمثل الشائع .. اسمع جعجعة ولا ارى طحنا .

وفى عالم الشعراء ، يتعمق بكل حسه ، وينقل ما يشاهده او يبصره فى الكون يغوص فى باطنه وخفاياه .. فيتسرب تحت جلدنا .. وكاننا تحت سحر رائع .. إنه يسرى عنا .. يمتعنا .. يزيد وعينا بانفسنا .. يضيف الى حياتنا حيوات .

وحين تلبس الالفاظ اثوابا غير فضفاضة . ولا يلجا الشاعر الى الرنين والبهرجة اللفظية .. والابتعاد تماما عن الالفاظ الخلابة الفخمة ، يكون قد نجا من مصيدة اللفظ !

وهنا ــ واسمحوا لنا ــ تثار مسالة اللفظ ! . يطرح سؤال هل ينبغى لالفاظ القصيدة الابتعاد ــ او الارتفاع ــ عن نثر اللغة اليومية للناس ؟ او بطريقة اخرى هل يجوز لالفاظ القصيدة ان تترك برجها العاجى وتنزل للشارع ؟ النقاد العرب .. اجمعوا على ان يظل قاموس الشعر كما هو ، ولا يحق للشاعر ان يتجاوز هذا المعجم الخاص .

اللغة البسيطة

ولكن .. هل سكت الشعراء والتزموا بارادة النقاد ؟ .. اغلب الظن لا .

أبو العتاهية كان يرى ان من حق الشاعر الخروج عن اللغة الكلاسيكية القديمة ، الى لغة مشتقة من حياة الشارع ، لغة المجالس والطرقات والحياة العامة .

وليس وحده صاحب الدعوة ، ها هما ابو تمام وابن الرومى ايضا .. يخرجان عن طوق النقاد . وكل من خرج استحق غضب النقاد ولعنتهم !

ثار النقاد على ابى تمام وابن الرومى بحجة ان شعرهما اشبه ما يكون بالنثر ! ــ وما اشبه اليوم بالبارحة ! ــ نفس الكلام نسمعه حين يصرخ النقاد عن (القصيدة النثرية) .. هذا ليس بشعر .. سموه اى شىء اخر .. الا انه شعر !

لابد للشعر من قاموس .. وقالب ... يفضلونه عموديا .. منتظم القافية .. وهنا سؤال هل من الاصوب ان يسجن الشاعر نفسه فى الفاظ بعيدة عن لغة الناس ؟ فتصبح مكررة .. معادة ! .. الا يمكن ان نكف عن القصيدة المعملية ؟..

عفوا لهذا الابتعاد . لنعد الى قصيدة الدكتور غازى القصيبى وهو ينشد باسى :

افيق مع الفجر
اشرب شاى الصباح
اسير الى غابة الأمس واليوم
حيث تسيل الدماء
أصافح نفس الأيادى الملينة
بالعطر والمكر .. المح نفس الرياء
ونفس الخداع
ونفس الغباء
فقيم الغناء .

لغة بسيطة خالية من الزخرف اللفظى ، تشرح فى بداهة نفسها ، وهنا نشد على يد الدكتور غازى القصيبى ، ونحيى شاعريته الأصيلة ، لانه لم يستسلم لاغراء الالفاظ ــ وللالفاظ قوة رهيبة ــ إنها تعبر عن مداركنا ومعارفنا وكل ما فى الحياة .

إن البعد عن الغموض ــ فى عالم مضطرب متداخل وملىء بالمفاجات ــ مطلوب . إن ما يعاب فعلا على الشعر الحديث .. والموجة الجديدة بالذات ــ جنوح الكثيرين الى الغموض والابهام وكانهم يحملون الينا اشباحا تكلمنا .. وحين نقرا قصيدة فى الصباح ــ وفى ظنى ان القصيدة وسط أخبار السياسة والاعلانات واخبار الناس هى الوردة والبقعة المضيئة فى صفحة الجريدة ــ قصيدة مغلقة بالغموض ومسربلة بالابهام والضباب ، اكاد أصرخ فى صاحبها ــ او فى نفسى غالبا ــ لماذا الغموض ؟ هل لان الرؤية لدى الشاعر .. ناقصة او مضطربة ؟ ام انه يخاف الافصاح عن نفسه ؟ إذن الصمت اصوب ، حتى لا يزيد رصيد هؤلاء الذين يتكلمون كلاما هراء ! وهم المسئولون عن الدنيا التى تستحيل (سواء) .. ويستحيل الغناء !

لا نطالب الشعراء بالطبع ان يتكلموا بلغة المنطق .. او الدروس العلمية .. ولكن رفقا بنا .. وقليل من الابهام والغموض ايها السادة . فنحن قوم تشيع بيننا امية رهيبة ! ومثقلون بهموم العالم الثالث .. وضغوط العوالم الأخرى !

العناية باللغة الشعرية مطلوبة .. ولكن ليست اللغة مطلبا !

الموسيقى فى الشعر مطلوبة ولكن ليست الموسيقى هدفا .

و[illegible] ان يتحول الشعراء الى الانفعالات الموسيقية واثارة نفوس القراء .

هل المطلوب تحويل الشعر الى ذبذبات صوتية ؟ حتى لو ابتعدت عن معانيها العميقة ،



قراءة في قصيدة الشاعر الدكتور غازي القصيبي

وحوافزها النفسية .

فحين تقرا قصيدة مثل (اغنية الجندول فى كرنفال فينيسيا) للشاعر علي محمود طه . تجد حلاوة الالفاظ وثراء المادة اللفظية ولكن لا شيء اخر . لا فكرة او معنى وراء القصيدة .. وإنما الغناية باصوات الكلمات المنتقاة ، والموسيقى الخلابة !

يستوقفنى قول د. غازى القصيبى :

واضحك حين يشاء القضاء
واحزن حين يشاء القضاء
ففيم الغناء
ففيم الغناء

كل منا حين يتامل حياته ، يرى القدر يرسم له ابعادا كثيرة .. فنحن لا نختار لون جلودنا ، ولا عصرنا الذى نعيشه ، ـ وكان يمكن ان نولد فى فجر التاريخ او يستبد بنا العصر الحجرى فى عصور ما قبل التاريخ ـ ونحن لا نختار الام والاب ولا الميلاد والموت ! ، ولا التركيب العصبى الذى يتحكم فى مزاجنا . فنحن نخضع للبيئة والوراثة ومئات القوانين الاخرى !

ولكن يبقى سؤال عملاق بحجم الحيرة والعذاب لكل البشر :

الى اى مدى يتفاعل الانسان مع القدر ، فيصنع التاريخ (المقدر له بخيره وشره) ؟ .

الى اى مدى يحيا الانسان الواعى العارف ، الساعى ابدا للتقدم والتسامى فوق ترابيته ؟ ليصنع الأمل ..

القضاء والقدر فى صميم الحياة .. وكل مؤمن يسلم بقضاء الله خيره وشره .. ولكن قلب الشاعر الكبير .. يتامل الاشياء بحب كبير ... وينحنى للحب ..

يقول الشاعر د. غازى القصيبى :

ولا يعرف الفقر انى
سكبت دموعى عليه
ولا يعرف الحب انى
ارتميت ، لثمت يديه
ولا يعرف الظلم انى
تململت فى قبضتيه
ولا يعرف الناس انى
غضبت وقد عذب الأبرياء
وحاربت حين طغى الأدعياء

ففيم الغناء
ففيم الغناء

قلب كبير .. حب كبير .. يستوعب العالم كله .. يتعاطف مع الدنيا .. يلتصق بالبشر ، حتى الفقر يجد من يبكيه لغياب الحياة فيه . واللهفة الى دنيا الحب والوفاء والمودة والإخاء .. تستحق منه ان يرتمي يلثم يد الحب ، لعقيدة الشاعر ان فى الحب خلاص العالم . فكيف لا تهفو النفس الى الحب دائما ؟ وقبضة الظلم القاسية وهى تتحكم فى اقدار العالم بشراسة تدعو للتململ ثم الغضب وقد عذب الأبرياء . وطغيان الأدعياء .. لهذا العالم المسكون بروح ساديه .. يصرخ شاعرنا ويتالم ..

فيم الغناء ؟

انه رفض صريح لعالم مهترىء .. عالم مزور ، مدع ، تهفو الروح الى هواء نقى حيث تسترد اعلى حالاتها سموا وارتقاء . وهو حزن يختلف عن الحزن المرضى الذى انتاب ابا القاسم الشابى (مع حبى للشابى) ـ حين قال الشاعر التونسى :

لا تعنينى اغاريد الصباح
بلبل الأفراح
ففؤادى وهو مغمور الجراح
بتباريح الحياة الباكية
ليس تستهويه الحان السرور
واغانى النور

إن أبا القاسم الشابى يرفض غناء العصفور ! لانه لا يرسل الى قلبه حنينا ولا حبا عميت رؤيته عن الصباح ، وصمتت اذناه امام صوت البلبل الفرح ، وصارت الدنيا ظلاما ..

السواد يفرش اجنحته فوق دنيا ـ الشابى ـ وتعصف به رياح الذعر والخوف من ربوع العالم .. ويبقى الفزع مزروعا فى قاع القبور المرعبة ـ (ربما لمرض الشاعر بالقلب ، وابو القاسم الشابى الشاعر التونسى مات سنة ١٩٣٤ ولما يبلغ الخامسة والعشرين بعد صراع مع المرض . وهو فلتة من عصرنا الحديث فى حدة الاحساس وعمقه ، ودقته)

وظنى ان حب الحياة ـ كما ينبغى ان تكون ـ ذلك الحب العميق الذى يسطع فى كل حرف ونبض لشاعرنا د. القصيبى .. دائم البحث عن ينابيع الحب ، (ولا يعرف الحب انى ارتميت .. لثمت يديه) .

ويقف شاعرنا .. متاملا مشارف النهاية :

وحين اغيب .. وراء المغيب
يقولون كان عنيدا
وكان يقول القصيدا
وكان يحاول شيئا جديدا

نعم .. لاباس من التفكير فى الموت حتى ينطلق فى الحياة ، والموت يعطى المبدع الأصيل فرصة كبيرة للحرية والمزيد من الابداع . ويجدد عشق الشاعر للحياة . وليس كما فعل ابو حيان التوحيدى ـ الاديب الفيلسوف ـ الذى احرق كتبه وقال : حرام ان يبقى المعقول ويفنى العاقل !

والسؤال : فيم الغناء ؟ .. نابع من حب الحياة العظيم ، واستلهام اجمل ما فيها . وإذا كان القانون الأزلى فى الوجود ان نسقط ، فلا يصح ان نضيع كل حياتنا نتهيأ للسقوط ونتحول الى اوراق خريفية تكنسها الرياح فى خضم اللانهاية . وخير للانسان ان يتحطم من ان يعلن الهزيمة والاستسلام ، تماما كما صرخ الصياد العجوز فى «العجوز والبحر ـ رائعة همنجواى» . ان يحاول الانسان شيئا جديدا .. وان يمد يده لاخراج الليل من افق النهار .. والعمل على ظهور الفجر من عمق الليل .. يكفى ان يقال : مات وهو يحاول (وهو ارقى وسام فى الأساطير اليونانية) ..

وكان يحاول شيئا جديدا ..

إنها المحاولة الأبدية لكتابة التاريخ الجديد .. بالنور .. حتى يختفى السؤال .

فيم الغناء ؟ .. ليكون .. الى : الغناء .. والبناء

أحمد عبد الله متولى
الرياض

محمد
الفهد
العيسى

الفرح

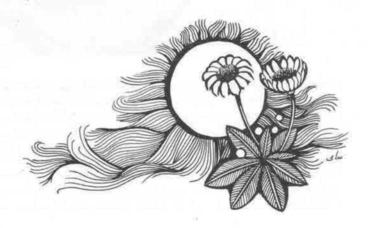
تَدَفَّقى شَلاَّلَ بَوْح ..
زَغْرَدَتْ فيه انثيالاتُ الفَرَحْ .
تألَّقى أفْوَافَ زَهْرِ الأقْحُوَان
والخُزَامى ..

(يا ربيعَ الوسْم) فى رَوْضِ الحَبَقْ
اشْرِعِى ابتسامةً تثلُ
ـ فيها غَيْمَة فلِّية المطَرْ ..
(يا هلا) ..

نهدةٌ تموجُ من جوانح وَلْهَى ..
الى اشْراقةٍ منسوجةٍ بمغزل
عذْبِ الصُّوَرْ ..
الدفءُ والحنانُ اجمعا

....

لا يبرحانِ منبعَ العَبَقْ
تدفقى فَرَح ..
مَهْمَا تَنَاغَتْ الحُرُوفُ ...
لن تَتِمَّ الملحَمَةْ





غاندي وجذوره الفكرية

بقلم: محمد العزب موسى

من بين قادة القرن العشرين جميعا قد يكون غاندى اكثرهم غرابة واقدرهم على تحريك الخيال والتامل . قال عنه انيشتاين فى عام ١٩٤٤ « ان الاجيال القادمة سوف تشك فى ان مثل هذا الرجل قد عاش فعلا بلحمه ودمه على الارض » . فهذا الرجل الذى تصدى لاعتى قوة فى عصره ، قوة الامبراطورية البريطانية فى اوجها ، والذى قاد الملايين من ابناء وطنه المهانين المطحونين الى الحرية والتسامح والكرامة ، والذى ايقظ ضمير العالم من سبات عميق .. هذا الرجل لم يكن يملك اية قوة مادية او عسكرية ، ولم تكن لديه اسلحة وجيوش ، وكان فقيرا لا يملك شيئا من المال ، ضعيفا يشبه هيكلا متهالكا من العظام ، حتى الثياب لم يكن يضع شيئا منها على جسده ، فهو عريان البدن إلا من مئزر يلفه حول نصفه الاسفل ، فى يده مغزل ينسج به ثيابه البسيطة ، والى جانبه عنزه يقتات على لبنها ، وعلى ارنبة انفه تقبع نظارة مستديرة الحجرين من الطراز القديم يعلقها على اذنيه الكبيرتين بينما تفتر شفتاه عن ابتسامة ودود باهتة كانه يريد ان يقول : واغفروا لى ايضا هذا القدر من الجلد والعظام فما احب إلا ان اكون روحا هائما لا تضيف شيئا الى اثقال هذه الارض !

عاش هذا الرجل فى عالم لا يفهم غير لغة القوة ولا يؤمن بغير منطق الحديد والنار ، ولم يكن غافلا عن هذه الحقيقة وانما كان ثائرا عليها ، كانت لغة العصر واضحة بما يكفى فى اذنيه الكبيرتين ، فعندما بدأ كفاحه فى اوائل هذا القرن كانت ثورة ١٩٠٥ تهز روسيا بعنف ولم يلبث ان ظهر لينين رافعا راية الثورة الحمراء ، وتلاه ماوتسى تونج فى الصين على طريق الزحف الطويل ، ثم اخذت رياح الفاشية تتجمع فى سماء اوربا الباردة لتلد عما قريب زوابع النازية والفاشية فى المانيا وايطاليا واسبانيا واليابان ، وبدأ المسرح العالمى يهيأ لأكبر حربين فى تاريخ البشرية ، وسباق التسلح يبدو صمام الامن الوحيد ، والاستعمار الغربى فى اوج طغيانه وجبروته .. كل ذلك كان يعرفه غاندى حق المعرفة ومع ذلك لم يتردد فى إعلان ثورته السلمية واعتماد عدم العنف طريقا وحيدا مقدسا للنضال .

ولكن يخطىء من يظن ان غاندى لم يكن قويا فى عالم الاقوياء ، لقد كان غاندى قويا وثائرا وايجابيا الى اقصى حد ، غير ان قوته كانت مستمدة من الروح لا المادة ، كان كجميع الثوريين يرى ان الواقع يجب ان يتغير ، ولكنه يؤمن بان التغير يجب ان يبدأ من الداخل ، فالثورة السياسية يجب أن تعتمد على التحول النفسى الداخلى قبل أن تعتمد على المعطيات والظروف الخارجية ، ولم يكن نضاله يهدف الى تحرير الهند سياسيا واقتصاديا فحسب ، وإنما يهدف فى المحل الأول الى ايقاظ روح الهند الأصيلة ، وايقاد جذوة الحق والكرامة فى نفوس الهنود البسطاء . ومن هنا كانت ثورة غاندى ثورة روح اساسا . وكان هو بمثابة الروح العظيمة لبلاده او « المها ـ اتما » وهو اللقب الذى اطلقه عليه بحق ـ رغم استياء غاندى ورفضه ـ شاعر الهند الكبير رابندرانات طاغور .

وقد فهم البعض خطأ ان « الساتيا جراها » ـ وهى حركة غاندى النضالية ـ تعنى المقاومة السلبية . والحقيقة انها كانت نضالا ايجابيا فى سبيل الحق . والفرق بين المقاومة السلبية بمعناها الحرفى والمقاومة السلمية المرتكزة على الساتيا جراها ان الأولى تفسح المجال للالتجاء الى السلاح فى الفرصة المناسبة اما الثانية فتستبعد العنف كاثم حتى فى احسن الظروف الملائمة لاستخدامه ، الساتيا جراها معناها « قوة الحق » وكان غاندى يقول ان من الخطأ اعتبارها قوة وجدت ليستخدمها الضعفاء ماداموا غير قادرين على مجابهة العنف بالعنف . فالضعفاء حقا لا يستطيعون استخدام هذه القوة وانما يستخدمها الاقوياء بالروح الذين يدركون ان فى الانسان شيئا اسمى من الطبيعة الوحشية الكامنة فيه .



المهاتما غاندى

هذا هو جوهر الفلسفة النضالية لدى غاندى ، ان تعلو الروح على المادة ، ان ينتصر الداخل على الخارج ، ان تحسم المعركة فى ساحة الحق ـ كما فعل كريشنا وارجونا فى كتاب غاندى المفضل البهاجافاد جيتا ـ وليس المقصود بالساتيا جراها مواجهة العدو وانما تحويله الى صديق ، ان تكسبه لا ان تضره ، لذا كانت كل تدابير الساتيا جراها علنية ، فهى حركة لا تعرف الوسائل التآمرية او نشاطات حرب العصابات .

الطفولة والشباب

من يريد ان يفهم غاندى عليه ان يصحبه فى طفولته وشبابه ، اذ يقول مؤرخوه الهنود والغربيون ان كل افكاره الأساسية التى شكلت مواقفه السياسية والروحية فيما بعد قد تكونت لديه فى مراحل حياته المبكرة ، وحتى ثقافته العامة استكملها فى النصف الأول من حياته ولم يضف اليها شيئا مهما فى النصف الاخر .

ولد موهانداس كرامشند غاندى يوم ٢ اكتوبر ١٨٦٩ ، وكان الابن الذكر الثالث لكرامشند غاندى من زوجته الرابعة بوتليباى التى كانت تصغره بثلاثين عاما ، وكان مولده فى مدينة بورباندر على الساحل الغربى لشبه الجزيرة الهندية المطل على بحر العرب مما جعل من هذه المدينة مركزا للنشاط التجارى والثقافى الاسلامى ، ولكن عندما بلغ الطفل السابعة انتقلت الأسرة ١٢٠ ميلا شرقا الى مدينة راجكوت حيث تلقى موهانداس تعليمه الابتدائى والثانوى ، دون ان تقطع الاسرة روابطها القوية مع مسقط راسها بورباندر .

وكانت اسرة غاندى منذ الاجداد الاول تنتمى الى طبقة التجار (بانيا) غير ان الجد المباشر لغاندى ويدعى اوتامشاند عين لنجابته فى بلاط الأمير رنا خيماجى حاكم بورباندر ثم تلاه ابنه كرامشند فى وظائف الديوان الاميرى وظل يترقى حتى اصبح كبيرا لوزراء الولاية .

ولم يكن الاب كرامشند على قدر كبير من التعليم الاكاديمى ، ولكنه كان وافر التجربة متعدد المعارف والاصدقاء ، يصفه غاندى بانه كان « بارا باسرته صادقا شجاعا كريما ، ولم يكن يهمه جمع المال ، وعندما مات لم يترك لنا شيئا ذا بال » . ولكن بيته كان ملتقى للمثقفين المحليين ، وكثيرا ما كان الطفل موهانداس ينصت فى شغف الى مناقشات ضيوف ابيه من النساك الجانيين والرهبان الزرادشتيين والشيوخ المسلمين ، او يستمع الى فصول من « الرامايانا » و « المهابهارتا » تتلى بين الحين والاخر فى المنزل وكانت ديانة الأبوين الهندوسية على مذهب « فشنو » اما الام بالذات فكانت تنتمى داخل هذا المذهب الى طائفة « براناسى » التى تمزج بين العقائد الهندوسية والاسلامية ، وفى معابد هذه الطائفة كان القرآن الكريم يحتل مكانا رفيعا الى جانب كتب الفشنا المقدسة ، ومن تعاليم هذه الطائفة الحب والسلام والتسامح بين جميع العقائد والأديان الى جانب الحض على بساطة العيش وتحريم اللحم والخمر والتدخين والصيام فى مواسم معينة ، وقد تشرب غاندى هذه المبادىء فى طفولته ، فنشا باحثا عن الحقيقة المجردة بغض النظر عن اختلاف المذاهب ، مقاوما لسيطرة الجسد ونزعاته وقد غذته امه بالذات بهذه المشاعر والتعاليم ، وكانت امرأة تقية متدينة يمكن اعتبارها نصف هندوسية ونصف مسلمة ان صح التعبير ، لا تتخلف يوما دون التردد على المعبد الخالى من الاوثان . وقد ذكرها غاندى وهو فى الثانية والستين قائلا « ان كل ما ترونني اتحلى به جاء من امى وليس من ابى » .

نشا غاندى طفلا مطيعا لوالديه محبا لهما وقد تاثر بشدة بشخصية الغلام الاسطورى « شرافان بتريباكتا » الذى تصوره الحكايات الشعبية القديمة مضحيا بلا حدود من اجل والديه الشيخين الضريرين الفانيين ، فكان يحملهما فى خرجين يعلقهما بسيور من الجلد على كتفيه ويقطع بهما مئات الأميال لزيارة الاماكن المقدسة . ومن حب الوالدين تعلم غاندى إطاعة المدرسين ثم توقير الكبار بصفة عامة ، ولما كانت الفضائل تلد الفضائل فان حبه لوالديه علمه فضيلة الصدق ، وراح فى احلام يقظته يتصور نفسه ايضا تجسيدا للامير الأسطورى الصادق هاريشاندرا الذى ضحى بمملكته من اجل البحث عن الحقيقة . وانقذته فضيلة الصدق من كثير من الرذائل والاخطاء . فقد حدث ان اغراه زميل له باكل اللحم ، وهى معصية لا تغتفر فى عقيدته ، وقصدا معا إلى مكان منعزل على شاطىء النهر



حيث اكلا لحم الماعز ، وقضى غاندى ليلته تلك يعانى الغثيان والاشمئزاز « كنت اشعر كانى اسمع ثغاء العنزة فى بطنى » ولكنه تمكن من التغلب على اشمئزازه وعاود اكل اللحم بعد ذلك مرات حتى كاد ان يستطيبه غير ان شيئا واحدا كان يقض مضجعه ، ذلك انه كان يضطر للبحث عن مبررات كاذبة يبدد بها شكوك امه حين يرفض دعوتها لتناول الطعام مع الأسرة ، واخيرا قرر التوقف عن اكل اللحم حتى لا يضطر الى شيء من هذا الكذب .

وكان التدخين انحرافا خطيرا اخر فى تلك الفترة من مراهقة غاندى ، فبدأ مع صديق اخر يجمعان أعقاب السجائر التى يلقى بها عمه ليدخناها سرا ثم اخذا يسرقان عملات صغيرة من خادم الأسرة كى يبتاعا بها السجائر ، وكانا يدخنان كذلك سيقان بعض النباتات ذات المسام . وفجاة تيقظ ضمير الولدين فقررا الانتحار داخل المعبد بقطع شرايين معصميهما وفى المعبد خانتهما الشجاعة فلم يستطيعا الانتحار ، ولكن غاندى قرر من تلك اللحظة الامتناع عن التدخين ولازمته كراهيته الى اخر حياته .

وفى سن الثالثة عشرة تزوج غاندى من طفلة تصغره سنا جريا على عادة اهل الهند فى زواج الأطفال . كانت طفلة تدعى كاستربای وهى ابنة احد اصدقاء الأسرة من بورباندر ، وقد اثر هذا الزواج المبكر فى نفسيته وجعله يثور فيما بعد على عادة زواج الأطفال ويحاربها بشدة ، بيد ان زواجه المبكر هذا لم يكن فيما يبدو خاليا من اى نفع ، إذ حاول غاندى جريا على ما يشاهده من عادات الرجال الكبار ان يفرض سيطرته على زوجته ويحرمها من اللعب وزيارة اهلها . وقاومت الزوجة الطفلة سلطةزوجها فى هدوء وتصميم حتى اجبرته على احترام ارادتها . قال غاندى فيما بعد « لقد تعلمت اول درس فى عدم العنف من زوجتى الطفلة . كنت اريد ان ارغمها على ارادتى وكانت مقاومتها الهادئة المصممة تجعلنى اخجل من حمقى وغبائى ، وفى النهاية اصبحت زوجتى هى استاذتى الأولى فى فن المقاومة السلبية » .

تسبب الزواج فى ضياع عام دراسى كامل على غاندى ، ثم عاد الى مواصلة دراسته فى فتور ، والواقع انه لم يكن بالتلميذ النابه او النجيب ، اذ لم يبد تفوقا فى اية مادة علمية او نشاط مدرسى وكان خجله الفطرى يمنعه من ان يشق طريقه بمنكبيه بين اقرانه ، ولكنه كان يخفى تحت خموله الخارجى رغبة متاججة فى تحسين الذات ، لقد بدات معاركه الداخلية فى سبيل الحق والعدل والايمان ، وبينما كان زملاؤه يتنافسون للحصول على الجوائز والدرجات كان هو يشغل ذهنه بعشرات الاحاجى الفلسفية التى يخلقها لنفسه ويملا بها تفكيره .

فى بلاد الانجليز

اتم غاندى دراسته الثانوية فى عام ١٨٧٨ واغلق فى وجهه باب التعليم الجامعى فى بلاده بسبب ضعفه المزرى فى اللغة الانجليزية ، وهنا اقترح احد أصدقاء الأسرة ان يسافر غاندى الى انجلترا ليتعلم اللغة ويدرس القانون كى يعود ليشغل منصبا رفيعا فى بلاط الامراء المحليين شأن ابيه وجده من قبل .

واقتنع غاندى بالفكرة واخذ يستعد للسفر ولم يكن هذا القرار سهلا بحال بل قامت دونه عقبات كئود استطاع الشاب ان يتخطاها بصلابة فقد قرر كبار رجال الطائفة الهندوسية التى ينتمى اليها ان السفر الى انجلترا مخالف للدين . وامام اصراره العنيد عقدوا له محاكمة واصدروا امرا بحرمانه تماما كما كانت تفعل الكنيسة الكاثوليكية مع من يشقون عليها عصا الطاعة فى القرون الوسطى .كذلك كانت امه تعارض سفره بشدة خوفا من شرور مجتمع الغرب الاباحى ، ولم تمتثل فى النهاية إلا بعد ان قطع على نفسه يمينا مغلظة امام احد الرهبان الجانيين بان لا يقرب الشراب والنساء واللحم . اما العقبة المالية فقد تطوع اخوه الأكبر بحلها اذ تعهد فى كرم وشهامة ان يغطى نفقات سفره وإقامته . وبقيت عقبة اللغة وهذه تكفلت اقامته فى انجلترا بحلها .

ومكث غاندى فى لندن ثلاث سنوات استطاع خلالها ان يبر بقسمه لوالدته ، وقد ساعده على ذلك اكتشافه لجمعيات النباتيين فى انجلترا وانضمامه اليها . واصبح غاندى عضوا نشطا فى هذه الجمعيات وعليها قصر كل فكره ونشاطه .

وكانت قد سحرته الحياة الغربية فى اول الأمر ، فاقام فور وصوله فى فندق فيكتوريا الضخم . واشترى حلة بيضاء كلفته عشرة جنيهات كاملة . وقبعة مرتفعة . وساعة جيب ذات سلسلة ذهبية ، وبدا ياخذ دروسا فى الرقص واللغة الفرنسية وعزف الكمان . ولكن هذه المرحلة لم تدم طويلا . فما ان بدا يشعر بنقوده تتلاشى حتى تيقظ حسن ادراكه . فباع الة الكمان واستغنى عن مدرسيه ، وارتدى ثيابا رخيصة ، واقام فى غرفة متواضعة وقتر على نفسه فى الانفاق ، وكان على استعداد لان يمشى على قدميه عدة اميال ليوفر بنسا واحدا حتى استطاع تدريجيا ان يعيش بجنيهين فقط فى الشهر . وبذلك اصبح لا يرهق اخاه بطلب النقود .

كانت رياح التغير الادبية والاجتماعية والسياسية تعصف بانجلترا بشدة فى ثمانينات وتسعينات القرن الماضى ، ولكن غاندى لم يكن يبدى اى اهتمام بالحياة السياسية والاجتماعية والثقافية من حوله ، ولم يعرف اثناء اقامته التى استغرقت ثلاث سنوات شيئا عن ماركس او داروين او هكسلى ، وكذلك لم يبد اى تفوق ملحوظ فى دراسته الاكاديمية ، او بكلمة اخرى لم يكن فيه ما ينبىء بمستقبل باهر او استثنائى ، كان ما يهمه ويشغله هو شئونه الشخصية والاخلاقية . كيف يمكنه ان يبر بوعده لامه ويوفر النقود لاخيه .

ومع ذلك كانت ايام الدراسة فى انجلترا من اكبر المكونات الفكرية والثقافية فى شخصية غاندى ، فقد اتصل بالثيوصوفيين وقرا كتب « نبيتهم » مدام بلافاتسكى ، ولم تترك هذه الكتب تاثيرا كبيرا فى نفسه ولكن انصارها قادوه الى اكتشاف ثروات التراث الهندى العظيمة التى لم تكن تعنى بالنسبة له شيئا اثناء اقامته فى وطنه ، فراح يعب من كتب « الحقيقة » الهندية المترجمة الى اللغة الانجليزية ، او على حد تعبير توماس ميرتون « اكتشف الشرق خلال الغرب » لقد ذهب غاندى الى انجلترا ليعرف سر قوة الانجليز فاذا به يستجلى سر حكمة الاسيويين ، فقرا البها جافاد جيتا والمها بهارتا فى ترجمة سير ادوين ارنولد ، وقرا لنفس المؤلف قصيدته الطويلة المسماة « نور اسيا » ومنها عرف لاول مرة شيئا عن حياة بوذا وتعاليمه ، ثم بدا يدرس الكتاب المقدس فلم يعجب بالعهد القديم الذى راه مليئا بالحشو الممل بينما ترك فيه العهد الجديد تاثيرا عميقا ولاسيما موعظة الجبل « الحق اقول لكم لاتقاوموا الشر » .. وفى نفس المرحلة ايضا قرا ما كتبه كارليل عن النبى محمد واعجب اعجابا بالغا بحياة نبى الاسلام وتقشفه وخلقه ، وراح ذهنه يهضم فى هدوء هذه العقائد جميعا ويمزج فى نسيج واحد بين المسيحية والبوذية والهندوسية والاسلام .

وفى عام ١٨٩١ اتم غاندى دراسته القانونية وسجل اسمه فى نقابة المحامين بلندن ، وابحر فورا عائدا الى بلاده ، كان

حينئذ شابا فى الثانية والعشرين ، خجولا حييا غير واثق بنفسه ، ولكن تعتمل فى اعماقه نزعات قوية من الطهارة والاصالة ، ولم يكن بوسع اى مراقب محايد فى ذلك الوقت ان يتنبا لهذا الشاب الذى يحمل اجازة الحقوق بمستقبل باهر فى بلاده وخاصة فى مجال المحاماة .

يا ولدى .. فلتعرف الحياة

عاد غاندى إلى الهند ليجد ان كل عالمه الخاص قد تغير ، فقد ماتت امه ، وتضاءل نفوذ اسرته فى اعقاب وفاة ابيه من قبل ، ولم يجد لنفسه مكانا فى بلاط امراء راجكوت وبورباندر ، وكانت المدن الصغيرة فى الولايات ملاى بالمحامين ومساعديهم الذين يعرفون عن القانون الهندى والشريعة الاسلامية اكثر مما يعرف والذين هم ايضا على استعداد لتقاضى بخس الاجور نظير خدماتهم القضائية . وقرر غاندى بناء على نصيحة بعض معارفه ان يمارس المحاماة فى بومباى ، ولكنه منى هنــاك بفشل ذريع فعندما وقف لاول مرة يترافع امام المحكمة اصابه « خوف المسرح » فلم ينطق بكلمة واحدة ، فانسحب « راهب المعبد » من القضية مهزوما مهانا ، وغادر بومباى على الفور عائدا الى راجكوت يحاول يائسا ان يكسب عيشه بكتابة العرائض والمذكرات القانونية للمتخاصمين امام المحاكم المحلية .

ولكن إعجابه الشديد بالحياة الغربية الحديثة ظل يلازمه ، ومن دخله المحدود راح يقتنى تلك الأدوات المنزلية « الانجليزية » كالملاعق والشوك والسكاكين ، وظل شديد الاعجاب بالانجليز انفسهم الذين عايشهم فى انسانية وبساطة اثناء وجوده فى انجلترا : اتجاهاتهم الليبرالية ، ومؤسســـاتهم الديموقراطية ، وثقافتهم المتنوعـــة ، واسلوبهم فى احترام الغير ، فلم تكن قد اتيحت له الفرصة حتى ذلك الحين كى يعرف حقيقة المستعمر الانجليزى فى الهند .

ولم تلبث ان جاءت هذه الفرصة .. فقد حدث ان وجهت الى شقيقه الأكبر وصاحب الفضل عليه اتهامات سياسية معينة ووجد غاندى ان من واجبه ان يسعى لمقابلة المقيم الانجليزى العام فى راجكوت ليشرح قضية اخيه ، وكان غاندى يعرف هذا الرجل ـ ويدعى شارلس اوليفانت ـ اثناء اقامته فى انجلترا ، فقد التقى به عدة مرات فى بيوت بعض الأصدقاء وكانت بينهما احاديث ودية طويلة ، ولكنه استقبل بخشونة فى مكتب المقيم العام ، وافهم ان عليه ان يقدم شكواه بالطرق الرسمية المعتادة ، وعندما حاول ان يناقش طرد بالقوة من المكتب ، فكتب غاندى للموظف الانجليزى الكبير محتجا على المساس بكرامته فى مكتبه ، ولكن صديقه الجنتلمان القديم رفض الاحتجاج قائلا انه ليس من حق الهندى ان تكون لها كرامة يغضب لها .

وحدث فى هذه الاثناء ان وصل إلى راجكوت المحامى البارسى الشهير سير فيروز شاه مهتا فى زيارة قصيرة ، فشكا له غاندى الامه النفسى وطلب مشورته ، فرد سير فيروز شاه فى تلطف قائلا ان المحامى الشاب فيما يبدو لا يعرف الانجليز على حقيقتهم وعليه اذا اراد ان ياكل خبزه فى بلاده ان يحتفظ بما يتلقاه من اهانات فى جيبه ، وقد ذكر غاندى هذه الواقعة بعد ذلك فى مذكراته واضاف قائلا : « وقال لى عليك يابنى ان تعرف الحياة وكانت لنصيحته تلك وقع السم فى حلقى ، ولكنى قبلتها فى هدوء .. وقد غيرت هذه الصدمة مجرى حياتى » .

لقد علمته حادثة المقيم اوليفانت كيف يمكن ان تفسد العلاقات الانسانية عندما يحكم شعب شعبا اخر ، او تسيطر طبقة على طبقة اخرى ، ان اعظم ما فى الانسان عندئذ سوف يهان : كبرياؤه النفسى وكرامته الانسانية . وقد جاءت ثورة غاندى اساسا من اجل الكرامة الانسانية ، وهذا هو المفتاح الحقيقى لشخصيته .

جحيم التفرقة العنصرية

اصبحت الحياة فى الهند مستحيلة فى نظر المحامى الشاب ، اذ ادرك الى جانب فشله فى المحاماة ان عليه ان يتعامل خلال محاكم يشرف عليها اوليفانت وامثاله ، اى ان يستمر فى تحمل اهانات لا تحتمل ، وفكر ان يبحث عن مكان اخر يعيش فيه فقد ضاق به الوطن على اتساعه ، وحانت له الفرصة على نحو غير متوقع عندما عرض عليه بعض التجار المسلمين فى بورباندر ان يسافر الى جنوب افريقيا ليساعدهم فى قضية منظورة هناك ، فقبل غاندى على الفور وابحر من بومباى فى شهر مايو ١٨٩٣ دون ان تكون لديه فكرة واضحة عن مهمته فى ديربان ودون ان يدرى بالطبع انه اتخذ بذلك اهم قرار فى حياته .

وفى جنوب افريقيا تلقى غاندى اول دروسه فى التفرقة العنصرية عندما دخل قاعة المحكمة فى ديربان بان يخلع تلك العمامة التى لا تليق بهيبة المحكمة ، ولكن غاندى رفض بادب وانسحب خارج القاعة ، ثم كتب إلى إحدى الصحف المحلية يفسر موقفه ، وجذب المقال انتباه الأوربيين والهنود على السواء ، فرد بعض البيض على هذا التطاول فى قحة وغضب ، فى حين نظر الهنود فى دهشة واشفاق الى هذا القادم الجديد الذى لا يعرف شيئا عن حقيقة اوضاع مواطنيه فى جنوب افريقيا .

كان الهنود فى جنوب افريقيا ـ كغيرهم من السود والملونين ـ يخضعون لتفرقة عنصرية مقيتة يزيد من وقعها انهم كانوا اقلية متخلفة جاهلة ، اقلية يستهان بها كما وكيفا ، فعددهم فى اواخر القرن الماضى لم يكن يتجاوز ٧٥ الفا يعيشون بين مليونى افريقى اسود وثلاثة ارباع مليون مستوطن اوربى ، اى ان نسبتهم لم تكن تتجاوز ٣٪ من السكان ، وقد قدم معظم هؤلاء الهنود من ولاية تاميل الهندية للعمل فى مزارع الموز التى يملكها الاوربيون ، وكان على العامل الهندى ان يستمر فى هذه السخرة خمس سنوات قبل ان يسمح له بالاستقرار فى البلاد كفرد « حر » وعندئذ كان يستطيع ان يبعث فى إحضار زوجته واولاده ، وهكذا نشات مستوطنات الهنود فى جنوب افريقيا ، وجاء فى اعقاب هؤلاء المستوطنين الفقراء طبقة هندية اخرى من التجار المســـلمين و «الكتبة» البارسيين ، ولكن هؤلاء كانــوا يحتقرون مواطنيهم التامليين الجهلاء فينكرون قوميتهم الهندية ويسمــون انفسهم عربا او فرسا على التوالى ، وعندما ظهر غاندى فى هذا الوسط بعمامته الهندية البيضاء كان كمن يدمغ نفسه بالانتماء الى هذه الطبقة المهانة تلك التى يطلق على الفرد منها لقب « سامى » وهو تحوير تحقيرى لكلمة «سوامى» التى معناها « السيد » باللهجة التاميلية . وهكذا كان غاندى فى نظر المستوطنين البيض فى جنوب افريقيا مجرد « سامى حقير » اذ لم يكن فى استطاعتهم ان يميزوا بين عامل هندى فى مزارع الموز والقصب ومحام هندى يحمل درجة علمية من انجلترا .



داروين



وهكذا راح غاندى يتعرض لسلسلة من المواقف والحوادث وصلت الى قمتها فى رحلته الشهيرة من ديربان الى بريتوريا ، اذ كان عليه ان يسافر الى بريتوريا لتمثيل مصالح موكله دادا عبد الله ، واشترى غاندى تذكرة تخوله الجلوس فى مقصورة الدرجة الاولى بالقطار ، وانطلق القطار من الساحل مصعدا فى الجبال حتى وصل فى المساء الى بيتر ماريتز بورج عاصمة الناتال ، وهناك صعد راكب ابيض الى المقصورة ، وعندما ابصر غاندى خرج وعاد بمفتش القطار الذى امره بمغادرة المقصورة الى عربة البضائع ، ولما رفض ان يستجيب محتجا بانه يحمل تذكرة الدرجة الاولى طرده المفتش بالقوة من القطار ، وامضى غاندى ليلته يرتجف من البرد والغيظ فى قاعة الانتظار بالمحطة ، وفى الصباح سافر بدون صعوبة الى شارلس تاون ، ثم ركب عربة تجرها الخيول قاصدا جوهانسبرج ولكن حارس العربة رفض ان يسمح له بالجلوس فى الداخل وامره ان يجلس الى جانب السائق ، واستجاب المحامى الهندى صاغرا كى يتحاشى المتاعب ، وفى الطريق جاء حارس العربة واراد ان يجلس الى جانب السائق فامر غاندى بان يخلى مكانه ويجلس على حصيرة عند اقدامهما ، ولما احتج غاندى مذكرا الحارس بانه هو نفسه الذى اجلسه فى هذا المكان حاول الحارس ان يلقيه خارج العربة المسرعة ، ولكن غاندي تشبث باسوارها بقوة فضربه الحارس ضربا قاسيا حتى تدخل الركاب وخلصوه من قبضته ، وفى اخر مراحل الرحلة التعسة عندما اخذ القطار من جوهانسبرج الى بريتوريا كادت نفس الماساة تتكرر اذ اصر حارس القطار على عدم السماح له بالجلوس فى مقصورة الدرجة الاولى وحاول ارغامه على الخروج بالقوة لولا ان تدخل احد الركاب الانجليز هذه المرة وابقاه الى جانبه فى المقصورة ، ولكن حتى هذه الدماثة الانجليزية اكدت للمحامى المهان ان الهنود فى جنوب افريقيا ليست لهم من الحقوق او الحريات الا ما قد يسمح به البيض ، بل انهم كانوا اسوا حظا من الزنوج انفسهم اذ كان هؤلاء على الاقل فى مأمن من الطرد والترحيل الى خارج البلاد .

وسرعان ما تبين للمحامى القادم من الوطن ان الهنود فى جنوب افريقيا يفتقدون كل الحقوق ، فهم مكروهون كمنافسين ، محتقرون كملونين ، ليس لهم حق التصويت ، ويقيمون فى معازل لا يسمح لهم بتركها ، ويخضعون لضرائب باهظة وظالمة .

وفى بريتوريا دعا غاندى الى اجتماع عام للهنود ، ولاول مرة يتخلص من خجله الذى لازمه طيلة حياته ويستغل ثقافته ومهنته فى ابراز زعامته لمواطنيه وهو ابن الرابعة والعشرين ، فدعا الهنود الى تغيير عاداتهم كى يحترمهم الاوربيون ولا يعودون الى اتهامهم بالقذارة والكسل والاهمال ، ودعاهم الى تعلم اللغة الانجليزية حتى يمكنهم الدفاع عن حقوقهم ، وهكذا ربط غاندى منذ البداية بين فكرة تحسين الذات والحصول على الحقوق من الاخرين ، كما قاضى فى نفس الوقت ادارة السكك الحديدية وحصل على تعويض لحرمانه من السفر بالدرجة الاولى فى قطاراتها .

وفى ابريل ١٨٩٤ انهى غاندى مهمته القضائية التى جاء من اجلها الى جنوب افريقيا بالتوفيق بين الشركتين الهنديتين المتنازعتين ولكنه بدلا من ان يعود الى الهند قرر البقاء فى البلاد لمواصلة الدفاع عن حقوق الهنود .

لقد حصل المحامى على قضية حياته الكبرى .

الساتيا جراها

كانت السنوات الثلاث التى قضاها غاندى فى انجلترا هامة من حيث تكوينه الفكرى ولكنها ليست بالحاسمة ، ففى انجلترا وجد غاندى معالم الطريق التى قادته نحو فلسفته فى عدم العنف وهى بالتحديد « الجيتـــــا » الهندوسية و « موعظة الجبل » المسيحية ، ولكنه فى جنوب افريقيا لم يلبث ان تعرف على كتابات المؤلفين الغربيين الذين دعموا لديه هذه الافكار وامدوه بالاساس العملى لحركته .

وكان ابرز هؤلاء الكتاب تولستوى الذى قرا له غاندى كتابه « مملكة الله فى داخلنا » عام ١٨٩٣ ، واذا كان تولستوى قد بشر بفلسفة عدم العنف دون ان يمارسها هو او مواطنوه فان غاندى هو الذى حول كلماته الى عمل وافعال ، ومرة اخرى اذا كان تولستوى هو الذى ارشد غاندى الى « الساتيا جراها » فان جون رسكن هو الذى علمه فضيلة العمل اليدوى التى بدونها لا يمكن لفلسفة عدم العنف ان تحرز اى نجاح لان الذى لا يعتمد فى حياته على عمل يديه يكون محتاجا لغيره وبالتالى لا يستطيع ان يقاومه او يتخلص من تبعيته ، كما قرا غاندى فى نفس الفترة هنرى ديفيد ثوريو صاحب « العصيان المدنى » وتاثر بصدقه واخلاصه وحبه للطبيعة لقد اثر فيه هؤلاء الكتاب الغربيون الثلاثة تاثيرا عميقا يضاف اليهم فيلسوف هندى رابع ينتمى الى مذهب « فشنو » كان يعمل جواهريا فى جوجارات ويدعى رايشاندباى وكان اقرب الجميع الى قلب غاندى بحيث يمكن اعتباره المعلم الهندى الوحيد او « الجورو » الذى تتلمذ على افكاره المحامى الشاب .

والواقع ان غاندى لم يكن قارئا من طراز ممتاز ، ولعل فى هذا ما يفسر كيف ان بعض الاعمال القليلة الاهمية لتولستوى ورسكن وثوريو قد اثرت فيه هذا التاثير الكبير ، والواقع ايضا ان كل الكتب التى اثرت فى تكوين غاندى العقلى قد قراها فى النصف الاول من حياته واشتق منها قلة من الافكار العامة التى امضى بقية حياته فى تطويرها وبلورتها ووضعها على محك التجربة .

بدا غاندى كفاحه السياسى الجماهيرى فى جنوب افريقيا بتكوين المؤتمر الهندى بالناتال على غرار المؤتمر الوطنى الهندى الذى كونه الان اوكتافيوس هيوم فى الهند عام ١٨٨٥ ، وعن طريق هذا التنظيم الذى يمثل المستوطنين الهنود فى جنوب افريقيا راح يبعث بالعرائض الى المجلس التشريعى فى الناتال والى مكتب المقيم البريطانى مطالبا بتحسين احوال الهنود وفاضحا المظالم التى يتعرضون لها . ولكنه احرز فى كفاحه نجاحا جزئيا كان يكتفى به عادة . فمثلا استطاع ان يحتفظ للهنود بحق التصويت ـ وكان الاتجاه لالغائه ـ على ان لا تضاف اسماء جديدة الى قوائم الناخبين الهنود ، واستطاع تخفيض ضريبة الراس المقترحة من ٢٥ جنيها الى ثلاثة جنيهات فقط ، وهكذا ـ جريا على عادته فى قبول انصاف الحلول ـ استطاع تضييق نطاق التفرقة ضد الهنود دون ان يلغيها .

واصل غاندى نضاله فى جنوب افريقيا حتى ١٩١٤ لم يغادرها الا فترات قليلة الى الخارج سواء الى الهند او انجلترا ، وخلال هذه السنوات العشرين كان يشحذ اسلحة النضال التى سوف يستخدمها بعد ذلك فى الوطن الكبير : الهند ، وتنقسم هذه الفترة الى مرحلتين الاولى واصل فيها غاندى نضاله عن طريق تقديم العرائض واتباع الطرق القانونية والثانية وتبدا فى عام ١٩٠٤ تحول فيها غاندى الى تنظيم حملات « الساتيا جراها » بهدف تحدى السلطات وخرق القوانين التعسفية . ومما له دلالة خاصة ان كفاحه فى المرحلتين لم يكن يتعدى مصالح مواطنيه الهنود دون ان يشمل الفئات المضهدة الاخرى ، فمثلا عندما قامت ثورة الزولو عام ١٩٠٦ اكتفى غاندى بالتعبير اللفظى عن تعاطفه .

كما ظل يعتبر نفسه مواطنا فى الامبراطورية البريطانية على استعداد تام لاداء واجباته نحوها ، وعندما نشبت حرب البوير انشا غاندى قوة اسعاف هندية قوامها ١١٠٠ رجل لمساعدة الانجليز واسعافهم ، وعندما قامت الحرب الكبرى عام ١٩١٤ شارك فى انشاء كتيبة هندية محاربة فى صفوف الانجليز ، وكان يرد على منتقديه من الوطنيين الهنود قائلا مادمت اطالب بحقوقى كمواطن فى الامبراطورية البريطانية فعلى ان أؤدى واجبى نحوها . ولم يفطن إلا متأخرا فى اواخر الحرب الكبرى الى ضرورة انفصال الهند عن الامبراطورية على اساس انه من المستحيل تحقيق العدالة للشعوب المستعمرة طالما ظلت تحت نير الاحتلال .

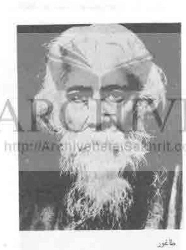
خلال المرحلة الأولى من كفاحه القانونى فتح غاندى فى جوهانسبرج مكتبا قانونيا للدفاع عن حقوق الهنود امام المحاكم ، ولكنه فى المرحلة الثانية اغلق المكتب وانشا صحيفة « الراى العام » التى كانت الأولى فى سلسلة الصحف التى انشاها بعد ذلك . كما انشا خارج جوهانسبرج مستوطنة زراعية اسماها « مزرعة فونيكس » عاش فيها كرب اسرة مع اتباعه من الهنود والأوربيين النباتيين وكان هذا التحول الى الحياة الجماعية بداية لسلسلة من التغيرات فى حياته استجابة لدواع روحية ودينية . ولم يلبث فى عام ١٩٠٦ ان قرر الامتناع عن مزاولة الجنس والبحث عن المال متخذا طريق « البراهما شاريا » او التقشف الكامل ، وبدا يعلم اتباعه فضيلة التحكم فى النفس التى كان يعتبرها ضرورة لا غنى عنها لاسلوب الكفاح السلمى الذى يدعو اليه مواطنيه ، لانهم اذا فقدوا هذه الفضيلة وانقلبوا باية حركة سلمية الى العنف ضاع كل شيء .

ولم تلبث أن ظهرت عمليا بالفعل الحاجة الى هذه الفضيلة ..

ففى عام ١٩٠٦ فكرت سلطات الترنسفال فى اصدار قانون يحتم على جميع الهنود تسجيل اسمائهم مع اخذ بصماتهم لاصدار هويات شخصية لهم ، ومثل هذا التشريع المقترح كان يعطى البوليس سلطة دخول منازل الهنود دون اذن او ابلاغ مسبق للتاكد مما اذا كان ساكنوها قد حصلوا على بطاقات الهوية ، وقد ثارت خواطر الهنود ضد هذا الاجراء واعتبروه ماسا بكرامتهم الانسانية وكان المسلمون منهم اكثر ثورة بسبب ان القانون كان ينطبق ايضا على النساء مما اعتبروه انتهاكا لمبدأ الحجاب الاسلامى .

وفى ١١ سبتمبر ١٩٠٦ دعا غاندى الى اجتماع فى المسرح الامبراطورى بجوهانسبرج اعلن فيه رفض الهنود لهذا القانون ولكنه حذر اتباعه من مقاومة السلطات بالقوة لما فى ذلك من سجن وخراب اقتصادى ، ومما له دلالة ان هذا الاجتماع اختتم بالهتاف للملك ادوارد وانشاد النشيد الوطنى البريطانى اذ كان غاندى لا يزال يعتبر ان ويستمنستر هى قلعة العدالة . ثم واصل غاندى السعى لدى مكتب المقيم البريطانى حتى حصل على وعد من الحكومة البريطانية بعدم اصدار القانون ، ولكن لم يكن ذلك الا انتصارا مؤقتا ، ففى العام التالى حصلت الترنسفال على الحكم الذاتى وانتخبت ادارة يسيطر عليها البوير برئاسة الجنرالين بوتا وسمطس واصدرت هذه الادارة القانون محل الجدال فى اول يوليو ١٩٠٧ .

وهنا قام غاندى باول حركة للمقاومة السلمية عمليا ، واختار لها « الساتيا جراها » ومعناه « قوة الحق » لانه كره تعبير « المقاومة السلبية » التى كان يراها سلاح الضعيف كما كره تعبير « العصيان المدنى » الذى كان يشتم فيه رائحة العداء والتحدى . لقد كانت المقاومة التى يريدها غاندى هى مقاومة اناس لا يخافون من اتباع طريق العنف ولكنهم يختارون عمدا طريق عدم العنف والمقاومة بقوة الحق لا بقوة البدن ، او بمعنى اخر « المقاومة بلا عداء » بهدف كسب الخصوم من الداخل لا اشعال غضبهم .


طاغور

بدات الحملة فى صيف ١٩٠٧ بتنظيم مظاهرات مقاطعة امام مكاتب التسجيل مع تعليمات مشددة من غاندى بعدم مقاومة عنف رجال الشرطة او التعرض لاى هندى يريد ان يدخل المكتب ليسجل اسمه وبصماته ، والواقع ان نسبة ضئيلة جدا من الهنود لا تتجاوز واحدا من عشرين هى التى امتثلت للقانون مما اثار حنق الحكومة فاصدرت سلسلة من التحذيرات ثم بدات تلقى القبض على المتظاهرين السلميين وتصنع منهم الابطال والشهداء ، وجاء الدور على غاندى فى يناير ١٩٠٨ حيث قبض عليه واودع السجن لقضاء عقوبة مدتها شهران ، ولكن شيئا غريبا حدث فجاة ، فبعد ايام من ايداعه السجن اقتيد من زنزانته الى حيث قابل الجنرال سمطس شخصيا ، واجريا محادثات سرية ، وخرج غاندى من الاجتماع يدعو مواطنيه الى انهاء الحملة وتسجيل انفسهم ، فقد فهم غاندى من سمطس انه اذا قبل الهنود ان يسجلوا انفسهم اختياريا فان القانون سوف يلغى ، وكان هذا سببا فى اول محاولة لاغتيال غاندى قام بها مجموعة من الوطنيين المتطرفين الذين لم يصدقوا وعود الجنرال وظنوا بزعيمهم الخيانة وقد صحت مخاوفهم بالفعل اذ ظل القانون قائما وانكر الجنرال سمطس انه اصدر مثل هذه الوعود !

ولما تبين غاندى انه خدع عاد الى المقاومة باشكال جديدة من التحدى السلمى ، إذ ارسل الهنود للمتاجرة فى الشوارع دون ترخيص من السلطات وذلك بهدف ان يقبض عليهم وتمتلىء بهم السجون مما يشكل ضغطا وارباكا للسلطات ، وفى اغسطس ١٩٠٨ حين اصبح واضحا تماما ان الجنرال سمطس لن ينفذ وعده قام حوالى ٣٠٠٠ من الهنود على راسهم غاندى باحراق بطاقات التسجيل الخاصة بهم فى ميدان جامع جوهانسبرج الكبير ، والقى القبض على غاندى بدعوى انه لا يحمل بطاقة تسجيل ، ثم تكررت بعد ذلك مرات اعتقاله وسجنه .

واستمرت لعبة « القط والفار » بين السلطات والهنود زهاء سنتين ، ثم جاءت الضربة القاضية من جانب الحكومة حين

غانـــدي
وجـــذوره الفـكـريـة

أصدرت المحكمة العليا فى جنوب افريقيا حكما باعتبار عقود الزواج بين المسلمين والبارسيين والهندوس غير صحيحة ولا يعتد بها ، وانه يتعين اعادة عقدها امام السلطات إذا اريد ان تكون لها حجة قانونية ، فرد غاندى بالتحول من المقاومة السلبية الى العصيان الايجابى ، فانذر الحكومة بانه سيدعو عمال المناجم الهنود الى الاضراب عن العمل ما لم تلغ ضريبة الراس ، وعندما رفضت حكومة سمطس الاستجابة للانذار جند غاندى النساء الهنديات للقيام بمسيرات جماعية الى مناجم الفحم فى الناتال لدعوة العمال الى الاضراب ، وردت الحكومة باعتقال مئات النساء اللاتى تحركن فى موجات متعاقبة ، فلجا غاندى الى عمال المناجم يناشدهم الاشتراك معه فى مسيرة الى الترنسفال للمطالبة بالافراج عن النساء المعتقلات ، واستجاب له الفان من العمال بدأوا معه مسيرة وجهتها « مزرعة تولستوى » التى انشأها غاندى فى عام ١٩١٠ ومرة اخرى تدخلت السلطات بوحشية فاعتقلت المتظاهرين جميعا وشحنتهم فى القطارات الى سجون الناتال وعلى رأسهم زعيمهم غاندى وبعض الأوربيين الذين انضموا له . وأثار الحادث بقية عمال المناجم وعمال المزارع فانفجروا فى اضرابات شاملة ، وهنا جن جنون الحكومة فلجأت الى العنف الدموى بلا حدود ، وهاجمت العمال المضربين بالرصاص والسياط .

ايقظت طلقات الرصاص الرأى العالمى فانهالت الاستنكارات والاحتجاجات بشدة على حكومة جنوب افريقيا من كل انحاء العالم ، كما احتج المقيم البريطانى على حكومة سمطس وأمرها بالتراجع ، وخرج غاندى من السجن مدعما بهذا النصر الأدبى فدعا الى عقد اجتماع شعبى لتأبين قتلى العمال الذين ارتفعوا الى مصاف الشهداء . وفى هذا الاجتماع تخلى غاندى عن ردائه الأوربى الذى



لازمه منذ رحلته الاولى الى انجلترا ، وظهر لأول مرة ـ والى آخر حياته الا فيما ندر ـ حليقاً حافى القدمين ملتفا بالمئزر الهندى .

ودعا غاندى فى اجتماع تأبين الشهداء الى مسيرة شعبية كبرى يشارك فيها عشرات الألوف من الهنود وانصارهم ..

ولكن المسيرة لم تتم ، وحلت محلها ضربة اخرى قاضية فى كفاح غاندى السلمى ، اذ حدث فى ذلك الوقت ان اضرب عمال السكك الحديدية البيض ، فاعلن غاندى على الفور الغاء مسيرته المقترحة على اساس ان « الساتيا جراها » لا يجب ان تنتهز فرصة سوء حظ الخصم ، وبهذه الروح الرياضية


تولستوى

الفريدة فى الكفاح السياسى كسب غاندى مزيداً من تأييد الرأى العام المحلى والعالمى ، وحوصرت حكومة سمطس واضطرت الى الدخول فى مفاوضات مع غاندى أدت الى صدور « قانون الخلاص الهندى » فى صيف ١٩١٤ . وفى هذا القانون اعترفت الحكومة بصحة عقود الزواج بين الهنود ، واسقطت ضريبة الراس ، وخففت تدابير الهجرة واعمال السخرة .

وبهذا النصر ضرب غاندى مثلا عمليا على قدرة حركة المقاومة السلمية ذات الاهداف المحددة الواضحة والتكتيكات المرنة على ان تحرج خصما يفوقها فى العدد والامكانيات والقوة المادية ، حقا كان هذا نصرا مؤقتا ومشكوكا فيه اذ لم تلبث سلطات جنوب افريقيا ان سلبت بالشمال ما منحته باليمين ولم يبرز بين هنود جنوب افريقيا بعد ذلك من يستطيع مواصلة كفاح غاندى ومتابعته الدعوية للموقف ، ولكن ما حدث كان نصرا عظيما فى حينه ، وشعر غاندى بانه اتم عمله وحقق رسالته ، فغادر جنوب افريقيا فى يوليو ١٩١٤ عائدا عبر انجلترا الى الهند تسبقه شهرته الواسعة كزعيم منتصر .

وعلى ارض الوطن بدأ غاندى متسلحا بخبرته العلمية وفكره الناضج كفاحه الاعظم من اجل تحرير الهند .. ولكن تلك قصـــة اخرى ..

محمد العزب موسى

«المقال التالي والأخير : غاندي وتحرير الهند

ذكريات

بقلم : جورج خوري

من اطرف الذكريات المدرسية أربع نوادر حدثت ونحن فى الصفوف الثانوية فى فلسطين

● ذهب الذين احبهم

كنا مرة فى صف مختلط ، حضر استاذ الخط العربي وطلب من الجميع إعداد أوراق للخط ، وكان من عادته ان يكتب بيتا من الشعر على اللوح الأسود لينسخه الطلاب بخط جميل ، حسب طلبه ، عشر مرات .

اتفقت الفتيات وقتها على الاضراب ، فما كان من الاستاذ إلا ان اخرجهن من الصف وتوجه غاضبا الى اللوح ليكتب بيت الشعر المطلوب نسخه ، ومن بين مئات الالوف من الأبيات الشعرية التى يزخر بها ادبنا العربى لم يخطر بباله الا البيت الجاهلى المعروف :

ذهب الذين احبهم
وبقيت مثل السيف فردا

فما كان من احد الطلاب الخبثاء الا ان قال : « ولكنك ، يا استاذ ، انت الذى اخرجتهن »

● هذا النشاط غير المتوقع !

كانت معلمة اللغة الانكليزية بريطانية الجنسية ولم تكن تعرف حرفا واحدا من العربية ، وكانت الأشعار الانكليزية التى تطلب من الطلاب حفظها ليست سهلة بطبيعة الحال لجميع الطلاب .. ظلت المعلمة تتذمر من كسل الطلاب وعدم اهتمامهم ، حتى خطر لاحدهم ان يكتب الشعر المطلوب باللفظ العربى على اللوح قبل دخولها ، وهكذا كان الطلاب يقرأونه بالعربية ويلقونه بلغة شيلي وبايرون وشيكسبير ، سرت المعلمة كثيرا لهذا النشاط غير المتوقع والذكاء الفائق الى ان لفت احد الطلاب نظرها الى ان الكتابة العربية على اللوح ليست لدرس اللغة العربية بل من الوسائل المساعدة لحفظ الاشعار الانكليزية ، وبعدها اصبح اهتمام طلابها اكثر تركيزا على اشعار المتنبى وابى تمام من اشعار بنى قومها المستعمرين !

سريع الغضب .. فى رقة شديدة

الطلاب يتصرفون كاطفال فى كل زمان ، وبالطبع فان الهواية الأولى لمعظمهم ، ورغم إحصاءات اليونيسكو وغيرها التى تقول عكس ذلك ، هى إغاظة المعلم .. ولاشك انهم ينجحون فى هذا المجال اكثر من نجاحهم فى اى من النشاطات الأخرى ، سواء كانت منهجية او غير منهجية .

كان احد معلمينا لبنانيا متمكنا من موضوعه ، ولكنه سريع الغضب ، وسرعة غضب الاستاذ ، كما يعلم الجميع ، من الصفات المحببة للطلاب ، اذ تساعدهم على ممارسة هواياتهم المفضلة ، المذكورة اعلاه .

كان الاستاذ المذكور كثير الحياء والأدب ولكنه عندما يستشيط غيظا من العفاريت الذين يحتلون معظم مقاعد الصف متنكرين كطلاب يقول بلهجته اللبنانية المحببة :

لا تؤاخذوني ، يحرق بيكم (اى لعن الله آباءكم) .

بالطبع كان الطلاب يتقبلون تلك اللعنة بصدور رحبة ، لانها مسبوقة بعبارة اعتذار رقيقة !



● مطلوب معاقبة المدير

كانت المدرسة تضم طلابا داخليين الى جانب طلابها الخارجيين ، وكانت محاطة ببساتين تحتوي على مختلف انواع اشجار الفاكهة اللذيذة ، مما يشجع الطلاب ، رغم ولعهم بالعلم ، ان يتسللوا زرافات ووحدانا الى تلك البساتين ليقطفوا ما لذ وطاب من ثمارها الشهية .

وبالطبع كان ذلك مخالفا لنصوص إتفاقيات حسن الجوار وعدم الاعتداء على املاك الغير ، ولكن اتفاقيات كهذه ليست إلا حبرا على ورق كما يعلم كل من يقرأ الصحف ويستمع للراديو .

كانت ساعة التسلل المفضلة هى فسحة تناول الغذاء عندما يتوجه جميع المعلمين والطلبة الداخليين لتناول طعامهم فى عمارة تبعد عن بناية المدرسة حوالى المائتى متر .

صمم الشيخ الوقور صاحب اكثر البساتين تعرضا للهجوم ان يلقى القبض على اولئك المعتدين لتقديم شكوى رسمية ضدهم إلى إدارة المدرسة مدعومة بالمستندات الرسمية ، طالبا تطبيق العقوبات المعروفة فى هذا الشان .

ما كادوا يجتازون الحدود قليلا ويبداون بممارسة عمليات جني الثمار المحرمة حتى انطلق الشيخ من مكمنه محاولا اللحاق بهم والقبض على احدهم على الاقل ، ولكن دون جدوى اذ ان دروس الرياضة البدنية ساعدتهم على ، اتقان رياضة الركض .

تقدم منه احد الطلاب المحايدين مطيبا خاطره وقائلا انه سيكتب له اسماء جميع اولئك الجناة لينالوا عقابهم العادل عند عودة المدير ، سر الشيخ بذلك وامسك بالقائمة منتظرا عودة المدير بفارغ الصبر .

عندما عاد المدير ، أسرع صاحب البستان نحوه مطالبا بانزال كافة العقوبات بحق المعتدين وناوله قائمة باسمائهم ، فما كان من المدير الا ان انفجر ضاحكا عندما قرأها فقد كان اسمه يتصدر قائمة تضم بقية اعضاء الهيئة التدريسية .

التــــاريــــخ
هـذا الفضـولي المزعـج !

بقلم : الدكتور . عبد السلام العجيـلي

كنا نتحدث عن المناهج المدرسية واختلافها بين بلد واخر ، فقلت لصاحبي :

فى فرنسا ،وفى نهاية عام دراسى فائت ، نال فتى عمره ثلاثة عشر عاما وبضعة شهور شهادة البكالوريا بتفوق . لم يتابع هذا الفتى ، بل هذا الطفل ، دروسه فى مدرسة عادية بل تلقاها فى البيت ، على يدى امه . وتقول هذه الام ان طفلها لا يتميز عن غيره من لداته الاطفال بمواهب عقلية خارقة وان ذكاءه لا يتجاوز الحد المالوف . ولكن ام هذا الفتى ، وهى تعمل مدرسة للفلسفة ، اتبعت فى تدريس ابنها اسلوبا خاصا . فقد حذفت من برنامج دراسته كل فضول العلم وزيادات الدروس التى لا تدخل فى صميم حاجته الى المعرفة . وبهذا ، وبدون جهد خارق او دراسة فوق العادة ، استطاعت ان تضمن لابنها نجاحا متفوقا فى البكالوريا فى هذا السن المبكر. وما الذى الغته هذه الام ، مدرسة الفلسفة ، من برنامج دروس ابنها ؟ لقد لفت نظري قولها بانها الغت ، اول ما الغت ، دروس التاريخ . فان ذلك الصبى لم يتلق درسا واحدا فى هذا العلم ولم يحل ذلك دون نجاحه الباهر !

حدثنى صاحبى بكل هذا فهتف قائلا :

ـ ما اجمل هذا ! اذن من الممكن ان نلغى التاريخ من دروسنا ، ومن معارفنا ، ومن ثقافتنا العامة ، دون ان يقف ذلك عثرة فى طريق النجاح . بل انه بالعكس ، كما يتبين مما رويته لى ، يبدو ان هذا الالغاء يخفف العبء عن مداركنا ، فندرك به النجاح بسرعة ... قبل اربعة اعوام او خمسة ، من الموعد الذى الفنا فيه ان نصل الى غايتنا . اذا كانت غايتنا هى البكالوريا مثلا !

وسكت صاحبى قليلا ثم اضاف : ـ تلك فكرة رائعة . فماذا لو ناقشناها ، وبحثنا عن ميزان الخسارة والكسب فى تعلم التاريخ او تجاهله ؟؟

ماذا نكسب ؟

قلت انا : ـ لاشك فى ان اول مكاسبنا من الغاء التاريخ من تعليمنا ومن ثقافتنا هى المكاسب المكانية . تصور مثلا عدد الرفوف التى تخلو فى كل مكتبة من المكاتب العامة وفى مخازن بيع الكتب اذا القينا فى المحرقة ، او فى البحر ، كل ما كتبه المؤرخون وكل سير القادة والأبطال ، وكل كتب المذكرات ، وكل مجلدات الأرشيف ..

قال صاحبى : ـ والقصص والروايات اليست فى حقيقتها تاريخا لعوالم وهمية وانها تحتل مئات الالوف من الرفوف بغير حق ؟

فاضفت انا : ـ والمؤرخون ، اولئك الذين مزقوا طبلات اذاننا بقولهم المتكرر « التاريخ يعيد نفسه ! » . انه قول غير صادق . فالتاريخ يمضي الى غير عودة ، وهو لا يعيد نفسه ابدا ، اذن فالى المحرقة بهم ، وليتركوا اماكنهم الى اناس اكثر فتوة واكثر ضرورة للمجتمع ..

قال صاحبى : ـ اتدرى اننا لو فعلنا كل هذا ، اعنى لو اننا القينا فى المحرقة او الى البحر بكتب التاريخ ، وبالروايات والقصص بانواعها ، وبالمؤرخين واساتذة التاريخ ، فان ذلك يجعلنا اكثر انسجاما فى ثقافتنا مع سير الفكر الانسانى فى تاريخه العصرى ؟ ان فكر اليوم فكر يتطلع الى المستقبل ليبنى ، وليس لديه وقت يدير راسه فيه الى الوراء ليتامل ويذكر ويجتر . فاكتشاف العوالم المجهولة ، والسفر الى الكواكب السيارة والنجوم النائية ، وقهر الجراثيم ومعرفة اسرار الأمراض المستعصية ، كل تلك أمور تجرى فى المستقبل . اما الماضى الذى يدرسه التاريخ فما هو الا صخرة معلقة فى رقاب الباحثين او المكتشفين او المغامرين .

لذا فان اسقاط التاريخ من حساب علومنا العصرية هو اسقاط ثقل عن كاهل العلماء وتحقيق انسجام بين اعمالهم



وافكارهم ..

وهكذا مضينا ، انا وصاحبى ، نعدد للمكاسب التى تجنى من اسقاط التاريخ من ثقافة الناس ومن حياتهم . واتفقنا على ان اخلاق المجتمع جديرة بان تربح من هذا الاسقاط ، وضربنا لذلك مثلا ظاهرة التغلب فى الآراء والتذبذب بين الاحزاب والهتاف للزعماء فى يوم ثم رجم هؤلاء الزعماء انفسهم بالحجارة فى اليوم التالى . فان هذه الظاهرة اصبحت خصلة بشرية مالوفة لكثرة اتصــاف الناس بها مسوقين بالروح النفعية وبدافع المصلحة الشخصية . وكان يمكن لهذه الخصلة ان تكون امرا طبيعيا لا انتقاد عليه لولا ان التاريخ ، الذى يسجل المفارقات والتناقضات فى سلوك الافراد والجماعات، ينعت باللااخلاقية ظواهر التقلب والتذبذب ، انه يخلق النقمة فى نفوس الذين لا يستطيعون ، لسبب او لاخر ، ان يتقلبوا او يتذبذبوا . كما انه ينغص المتذبذبين فى التنعم بالطيبات ، التى يجنونها ثمرة لخصالهم هذه ، بما يثيره منهم من عوامل تبكيت الضمير ومما يرسب فى نفوسهم من العقد الاخلاقية ، دون ان يستطيع ان يغير سلوكهم او اجتثاث النفعية من نفوسهم . فلنلغ التاريخ نلغ معه تلك النقمة وهذه التنغيصات والعقد ! وليتذبذب الناس حينئذ احرارا كما يشاؤون ، يعتنقون رايا اليوم ويسفهونه غدا ، يعبدون موسولينى بالامس ثم يشنقونه من قدميه اليوم . يرفعون لستالين اضخم التماثيل ثم يحطمونها ليرفعوا مكانها تماثيل الحرية التى خنقها الطاغية ، يبصقون اليوم على من كانوا يغنون بامجاده الامس ! .. ليفعلوا ما يشاؤون ، فليس ثمة تاريخ يسجل او يثير النقاش والتساؤل ..

وفى الانسانية

واضفت انا قائلا :نستطيع أن نسمى كذلك مكاسب انسانية نستطيع أن نحصل عليها بنفس الطريقة . اذا لم نعلم أولادنا التاريخ . تامل فى الحروب التى ابتلى بها البشر منذ خلقوا فى مجتمعات ، هل لها سبب غير التاريخ ؟ ان الله قد خلق الأرض متشابهة الارجاء فى كل اصقــاع الدنيا . ولكن التاريخ جاء فقسمها الى أوطان . واعطى لبعض الشعوب حقوقا فيها ووصم شعوبا اخرى بانها معتدية ومغتصبة . فنشبت لذلك الحروب وما تزال تنشب . لولا التاريخ اذن لا ستقر المعتدى عليه ما اغتصب منه . الست معى فى ذلك ؟

قال صاحبى : نعم ، لولا التـــاريخ لانتفت الحروب . اعنى لنسى المظلومون حقهم .. لنسوا ارضهم المغتصبة ونسوا معها شرفهم ومثلهم العليا ، ولقرت عيونهم بانهم يعيشون فى أمن ودعة !

وسكت صاحبى سكوت المفكر . فقلت له ضحكا :

ـ اراهن على انك اخذت تتراجع عن تقديرك لقيمة المكاسب التى تحصل عليها البشرية فيما اذا اسقطت التاريخ من مناهج دراسة اجيالها المقبلة ..

قال : ربما كنت على حق . ان اسقاط التاريخ من ثقافة البشر يريحهم ، ولكن راحة الموت . الآن فطنت الى السبب الذى من اجله تحاول بعض الفئات ان تطمس تاريخ شعبها ، او تتنكر له ، او تنتقص من جهود اسلافها . ولماذا تزور التاريخ او تدير رؤوس الجماعات عن ماضيها بحجة ان الماضى لا قيمة له . ان التخلص من التاريخ يعنى التخلص من المسؤولية ، من اعبائها ومشاقها . كما يعنى تخلص المرء من مقارنته باسلافه . ومن حقه ان يفعل مثل ما فعلوا . او خيرا مما فعلوا . فياله من فضولى مزعج هذا التاريخ ! .. ولكننى مع ذلك لن أكون من صف صاحبتك مدرسة الفلسفة . انى افضل لابنى ان يتعلم التاريخ ولو تاخر خمسة اعوام لينال البكالوريا . صحيح ان الحيوانات التى لا تعرف التاريخ تعيش فى دعة وراحة بال ، ولكنى لا اريد لابنى عيشا مثل عيشها .. انى اريد لابنى ان يكون إنسانا .

شخصيات معاصرة من تاريخنا القديم:

"النشو"

يسعى في الناس بالشرّ ولا ينجو من أذاه أحد!

بقلم جمال الغيطاني

يفصلنا عن شرف الدين عبد الوهاب النشو سبعة قرون هجرية ، مات الرجل منذ زمن بعيد ، ولكنه لازال يسعى بيننا هذا ما تقوله سيرته وافعاله ، وما تقوله سيرة وافعال الكثيرين ممن يعيشون حولنا الآن .

والنشو لم يكن بطلا من أبطال التاريخ ، إنما كان رجلا عادياً ، بدأ حياته بخدمة الأمراء في زمن السلطان الناصر ابن محمد بن قلاوون ، كان مستخدماً عند ابن هلال الدولة شاد الدواوين ، وكان يتردد عليه كثيراً ويبالغ في خدمته ، واستخدمه ابن هلال الدولة في الأشغال ، واثناء ذلك تزوج الأمير انوك ابن السلطان من ابنة الأمير بكتمر الساقي ، وبدأ السلطان يفكر في شخص يعينه لخدمة ابنه ، ولابد انه فكر في النشو ، كان النشو قد وقف بين يديه اكثر من مرة ، وتحدث اليه ، وعندما كان يتكلم الى السلطان كان يركز كل حواسه ، ومواهبه ، حرصا على ان يترك اثرا ما في نفس السلطان . في صفر سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة هجرية ، التحق النشو بخدمة الأمير انوك ، وكان هذا أول صعوده ..

اصبح النشو قريبا من السلطان بحكم موقعه الجديد ، وصار يتردد كثيرا على القلعة ، ويخلو الى السلطان ، ويحادثه في امور الدولة ، ويبدي الحرص البالغ على اموال السلطان ، ومصالحه ، وسير العمل في الدواوين ، وفي اثناء ابدائه الحرص ، كان يرمي عبارات هنا وهناك في حديثه في البداية كان يلفظها بحذر ، ثم لاحظ ان اذني السلطان مصغيتان اليه ، فزاد من الدس والوقيعة ، وكان مظهره يساعده . إنه طويل القامة ، مليح الوجه ، حلو التقاطيع ، بريء السمات ، اثر كلامه في نفس السلطان حتى بات مقتنعا ان النشو بحرصه عليه يمكنه ان يحصل له مالا كثيرا ، فاصدر مرسوماً بان يتولى النشو نظارة الخاص ، اي يكون مسئولا عن اموال السلطان وممتلكاته . وهذه وظيفة هامة جدا ، ولكن النشو لم يهدأ ، ولم يتوقف ، اخذ يتحدث الى السلطان عن اولاد موظف كبير اسمه التاج اسحق ، راح يحدثه عن الأموال التي جمعوها بالباطل ، وكرههم له ، وكان احد هذين الولدين قد تولى وظيفته في نفس اليوم الذي عين فيه النشو ناظرا للخاص ، وهو شرف الدين موسى ، لم يمض إلا عشرين يوما فقط ، وعمل كلام النشو عمله في السلطان ، فاصدر مرسوما بعزل شرف الدين موسى من نظر الجيش ، وأمر بالقبض عليه ، وعلى شقيقته ، ومصادرة ثروتهما ، وكان اسلوب السلطان الناصر قلاوون غريبا في ضرب موظفيه



النشـــــو..
يسـعى في النـاس بالشـر ولا ينـجو من أذاه أحـد !

لقد استدعى ابن هلال الدولة ، واسر اليه أن يمضى ليحاصر بيوت اولاد التاج اسحق بمجرد دخول الامراء البلاط ، وبالفعل دخل الامراء وكبار موظفى الدولة ـ وبينهم شرف الدين موسى ـ الى السلطان ، عندئذ التفت السلطان الى القضاة واخذ فى الثناء على شرف الدين ، وقال فى اخر كلامه :

« انا رايت هذا وعملته كاتبى » .

فى هذه اللحظة بالذات كان الجنود يحيطون ببيته ، وبيت شقيقه ، وعندما خرج من البلاط ، واتجه الى مقر وظيفته ، كانت العيون تحيطه بالرهبة ، الم يثن عليه السلطان علنا ، ولكنه ما إن جلس بديوان الجيش حتى بلغه أن الحوطة قد وقعت على بيته ، وان رسل الديوان على باب الجيش ، وبلغ الخبر ايضا الى اخيه علم الدين ، وفى العصر صعد ابن هلال الدولة باوراق الحوطة (كشوف جرد المحتويات) وهى تشتمل على اشياء كثيرة جدا ، منها على سبيل المثال ، اربعمائة سروال لزوجة علم الدين . أمر السلطان بتسليم الاخوين الى ابن هلال الدولة للتحقيق معهما ، والتوصل الى الثروات المخفية ، واحضرت الات التعذيب ، من أسواط ، ومعاصير وسئل موسى عن صندوق ذكر انه اخذه من تركة ابيه ، فيه من الجواهر والذهب ما يبلغ مائة الف دينار ، وكان النشو قد افضى الى السلطان بوجود هذا الصندوق . فانكر موسى ذلك ، واقسم الايمان المغلظة ، فرق له ابن هلال الدولة ولم يعذبه ، وهنا استنكر النشو ذلك ، واخذ على ابن هلال الدولة هذه الرقة ، مع ان الرجل هو اول من استخدمه ، وهو ولي نعمته ، واضطر ابن هلال الدولة الى التضييق على موسى ، لينتزع منه كل ما لديه . إن النشو الآن لا يقيم وزنا لابن هلال الدولة ، إنه يتحدث الى السلطان راسا ، والكلام يخرج من فمه الى اذني السلطان راسا ، كما انه لم يكن يدع فرصة إلا ويظهر فيها إخلاصه وولاءه عند عودة السلطان من الحج ، تولى النشو الاشراف على مظاهر الاحتفال ، خرج الناس للقاء الناصر ، وغلقت الدكاكين والأسواق ، وجمع النشو من الأمراء الأبسطة ، والمنسوجات الحريرية الثمينة المشغولة بالذهب ، وبسطها فوق الأرض أمام القلعة ، وحتى مقعد السلطان ، وتمضى الأيام ، ونفوذ النشو يقوى ، ويتزايد ، يقول المقريزى فى كتابه السلوك لمعرفة دول الملوك :

«وفى هذا الشهر كثرت مصادرات النشو للناس ، فاقام من شهد على التاج اسحق انه تسلم من المكين الترجمان صندوقا فيه ذهب وزمرد وجوهر مثمن ، فرسم لابن الحسنى بعقوبة موسى بن التاج اسحق حتى يحضر الصندوق ، وطلب النشو ولاة الاعمال والزمهم بحمل المال ، وبعث أخاه لكشف الدواليب بالصعيد وتتبع مواشى ابن التاج اسحق ، فقدم قنقلى والى البهنسا ، وقشتمر والى الغربية وفخر الدين إياس متولى المنوفية ، وعدة من المباشرين فتسلمهم ابن هلال الدولة ليستخلص منهم الأموال ..

كان النشو اذا اضطهد شخصا فانه يتتبعه حتى يدمره تماما ، ويتتبع اى انسان يمت اليه .. هكذا فعل مع موسى بن التاج اسحق .

● يستعين بالأشخاص ذوى السمعة السيئة والأشرار

بدأ النشو يعتمد على اقاربه ، وارسل اخاه واسمه المخلص الى الصعيد فى مهمة ، عاد منها ليقدم اليه تقريرا عن ثروات مباشرى الوجه القبلى ، وطلع النشو الى السلطان ، راح يغريه بهم جميعا ، ويتحدث عن إتلافهم مال السلطان ، وهنا صدر مرسوم بالحوطة على جميع مباشرى الوجه القبلى ، واعتقالهم ، وطلب النشو تجار القاهرة ومصر ، وطرح عليهم عدة اصناف من الخشب والجوخ والقماش بثلاثة امثال قيمتها ، كان يبيع بضائع السلطان باسعار مرتفعة جدا ، وهكذا يحصل له على اموال طائلة ، فى الوقت الذى بدأ هو بتكوين ثروته ولكن فى حذر شديد . وكان السلطان الناصر يصدر أحيانا بعض المراسيم التى تتسم بالخير ، وهكذا اصدر مرسوما بمسامحة الامراء فى الاموال المدينين بها للديوان ، ولكن النشو لم ينفذ هذا المرسوم ، والزم مباشرى الامراء بتسديد هذه الاموال ، وركب الى السلطان ، واوضح له قيمة الاموال التى يمكن ان تضيع نتيجة لهذه المسامحة ، وان مال السلطان يضيع ويتبدد ، وان الدواوين تسرق بحجة مسامحة الامراء ، وتاثر السلطان بما سمعه ، ومكن النشو من عمل ما يختاره ، والا يسامح احدا بشىء مما عليه للديوان ، وشق ذلك على بعض الامراء ، فراجع الامير قوصون السلطان ، ولكنه لم يجبه الى شىء ، عندئذ كف الأمراء عن السؤال ، وعظم النشو فى اعين الناس .

واستعان النشو بالأشخاص ذوى السمعة السيئة ، استدعى الشمس بن الازرق وكان ظلوما غشوما ، فكتب له اسماء ارباب الأموال من التجار ، وفرض عليهم قماشا بثلاثة أمثال قيمته . يقول المقريزى :

«وعمت مضرة النشو الناس جميعا ، وانتهى اليه عدة من الاشرار ، ونموا على الكافة من اهل الوجه القبلى والوجه البحرى ، ودلوه على من عنده شىء من الجوارى المولدات لشغف السلطان بهن ، فحملت اليه عدة منهن بطلبهن من اربابهن ، وسعوا عنده بارباب الاموال ايضا ، فدهى الناس منه بلاء عظيم» ..

وبين الحين والآخر ، كان كبار رجال الدولة يفضون بشكواهم الى السلطان ، ولكنه كان ينهرهم ، ويبدى الثقة بالنشو ، واذن له فى عمل ما يختاره ، وان يتصرف فى امور الدولة كما يشاء والا يبالى باحد ، ووعده بتقوية يده ، وتمكينه ، ومنع من يعارضه ، بل ان السلطان استدعى اخوة النشو واقاربه ، وعينهم عند كبار الامراء ، فجعل المخلص أخ النشو مباشرا عند الامير سيف الدين الناق ، واستخدم اخاه رزق الله عند الأمير ملكتمر الحجازى ، واستخدم صهره ولي الدولة عند الأمير ارغون شاه ، وخلع عليهم .

انبسطت يد النشو ، واشتدت وطاته ، واستدار ليضرب اول شخص احسن اليه ، وكان بداية صعوده ، التفت الى ابن هلال الدولة نفسه .

● ابن هلال الدولة يلزم بيته بتدبير من النشو

اخذ النشو فى التدبير على ابن هلال الدولة ، رتب عليه انه اخذ من مال السلطان جملة ، وانه اهمل فى المحافظة على امور السلطان ، وانه بسببه ضاع مال كثير ، وانتدب لتحقيق ذلك ثلاثة ، امين الدولة بن قرموط المستوفى ، والشمس بن الازرق ناظر الجهات ، وشخص ثالث اسمه لؤلؤ الحلبى ، وحدد يوم للمواجهة ، بالطبع رتب النشو كل كبيرة وصغيرة ، انعقد المجلس فى القلعة ، وفى البداية برز قرموط ، وواجه ابن هلال الدولة بانه اهمل الامور ، وبرطل (رشا) بالاموال ، ولم يستمع السلطان الى الباقين ، بل امر ابن هلال الدولة أن يلزم بيته ، وعين شخصا اخرا بدلا منه فى وظيفته ، وامر بدر الدين لؤلؤ الحلبى باستخلاص الاموال ، قبض على ابن هلال الدولة ، وصودرت امواله ، وهكذا اجهز النشو على ولي نعمته ، والذى كان وجوده يذكره بايام الزمن القديم عندما كان موظفا صغيرا فى خدمته .

ثم اختار النشو شخصا قاسيا ، غتيتا ، هو ايدكين الأزكش لولاية القاهرة ، وبدا نشاطه بمهاجمة البيوت ، ومصادرة الاموال ، وصار يتنكر فى الليل ويمشى فى ازقة القاهرة ، فاذا سمع صوت غناء او شم رائحة خمر هاجم المكان واخذ من اهله اموالا طائلة طبقا لأحوالهم ، وكان النشو يوجهه ، وينفذ اغراضه من خلاله ، ولما

تزايد امر ايدكين ، طلع الامير قوصون وشكاه الى السلطان . وهنا تغير السلطان على قوصون وقال له :

- انتم كلما وليت احدا ينفعنى اردتم اخراجه ، ولو انه من جهتكم لشكرتم منه كل وقت .

وفى الحال اصدر مرسوما بان يتولى ايدكين ولاية مصر ، الى جانب القاهرة ، ولم يجمع الولايتين احد قبله . وعظم امر ايدكين . فى احد الايام خرج من القاهرة الى قرية النخيلة بالوجه البحرى ، وكانت متنزها للناس . هاجمها وقت الغروب فما قبض على احد إلا وسلبه ثيابه وتركه عاريا ، عرى البلدة كلها عن بكرة ابيها ، وجمع اموالا كثيرة .

غير ان ايدكين لم يستمر طويلا فى منصبه ، ففى اول سنة خمس وثلاثين وسبعمائة هجرية عزل ، ونفى الى الشام ، وكان السبب سعاية عدد من كبار الامراء ضده عند السلطان .

وفى نفس السنة لاحظ النشو ان مستوفى الدولة امين الدين قرموط يكثر من الاجتماع بالسلطان ، فخاف عاقبة ذلك ، مع انه هو الذى قدمه الى السلطان ، وبدا يتكلم فى حقه ، وقال انه جمع كثيرا من مال السلطان لنفسه ، فقبض عليه ، وعلى جماعة معه ، وعوقب قرموط وضرب بالمقارع سعيا لاستخلاص اربعين الف دينار منه ، ولكنه صمد للضرب ، عندئذ قيل انه حلف ، وانه لن يعترف إلا اذا ضرب ابنه امامه ، وجاءوا بولده وبدأوا بضربه فلما اشتد البلاء بقرموط ضرب نفسه بسكين فى حلقومه محاولا الانتحار ، ولكنهم انتزعوها منه ، واستمر تعذيبه ، وتعذيب ابنه .

فى هذه الفترة قدم الامير تنكز نائب الشام يوم الاربعاء الحادى عشر من رجب (٧٣٥ هـ) ، وسعى عند السلطان ليفرج عن ابن هلال الدولة ، وساعده الامير قوصون . وبالفعل استجاب السلطان لهما ، وافرج عن الرجل ، وكان النشو مسافرا الى الاسكندرية . وعند عودته فوجىء بالخبر ، وشق عليه الافراج عن ابن هلال الدولة ، وطلع الى السلطان ، وراح يتحدث عن ابن هلال الدولة وخطورته ، ومال السلطان اليه ، فامر الوالى باحضاره الى القلعة ، وخرج الوالى الى ابن هلال الدولة ، سبه ولعنه ، وابلغه عن السلطان انه متى اجتمع به احد شنقه . فنزل واقام بالقرافة منقطعا عن جميع الناس .

واستمرت سعاية النشو فى الناس ، اتهم والى دمياط بانه خرب اساسا قديما فى البحر بين البرجين ، كانت عليه طلسمات تمنع ماء البحر المالح عن ماء النيل ، حتى تلفت الطلسمات وغلب البحر على النيل ، فتلفت بساتين ، وان الوالى نال من ثمن هذه الحجارة اموالا طائلة . واعتقل والي دمياط ، وعذب ، واستخرج منه وجمع اموالا كثيرة .

وقبض النشو على امرأة موسى بن التاج اسحق ، عاقبها وهى حامل عقوبة شديدة على احضار المال حتى طرحت ما فى بطنها ولدا ذكرا .

كان النشو يستخدم شرار الخلق ، وكانت له نساء عجائز يتجسسن فى البيوت الكبيرة ، وحدث ان احدى هؤلاء النسوة ابلغته عن اولاد ابن الجيعان ، وانه يسعى فى نظر الجيش ، والاخر يسعى ليتولى نظر الخاص ، عندئذ طلب النشو كاتب الاصطبل منهم ، وطلب منه ان يكتب حساب الاصطبل ، فامتنع ، ورد عليه بكلام خشن عندئذ سعى النشو عليه عند السلطان حتى قال له السلطان :

- لم لا تعمل حساب الاصطبل ، وتعطيه الناظر ؟

يقصد النشو ، فقال :

- يا خوند : بدل ان تطلب حساب الصبى والمقاود ، اطلب حساب الذهب الذى يدخل الى خزائنك .

واغلظ فى حق النشو ، وعندما قابله ، قال له :

- ونعمة مولانا السلطان اظهر فى جهتك مائتى الف دينار .

وهنا قامت قيامة النشو ، وانفض المجلس على ذلك ، فمازال النشو باولاد ابن الجيعان حتى سلمهم الى لؤلؤ ، فعاقبهم حتى هلكوا ، وصودرت ثرواتهم ، ولم يكتف النشو بذلك ، بل قبض على اقاربهم ، وصادر اموال عدد من اصحابهم .

● مملوك السلطان

فى هذه السنة ٧٣٥ هـ ، كثر شغف السلطان بمملوكه الطنبغا الماردينى شغفا زائدا ، الى درجة انه قرر ان ينشىء له مسجدا يحمل اسمه ، واختار موقعه خارج باب زويلة ، وكان لابد من ازالة عدد من البيوت بعد شرائها ، طلب السلطان النشو وكلفه بتحقيق ذلك ، عندئذ استدعى النشو اصحاب البيوت ، وابتاعها منهم بنصف قيمتها ، وتم بناء المسجد والذى لازال قائما حتى الان .

وفى نفس هذه السنة جرت محاولة للتخلص من النشو عن طريق الوقيعة ، إذ كتبت رقعة الى السلطان تذكر ظلم النشو ، وتسلط اقاربه على الناس وكثرة اموالهم ، وعشق صهره لغلام تركى ، استدعى السلطان النشو ، وبعد ان قرئت عليه القصة قال : انا اعرف من كتبها ، وحلف على براءة اقاربه من هذا الشاب ، وبكى ثم انصرف .

وحاول عدد من الامراء أن ينبهوا السلطان الى ثروة النشو الطائلة ، لكنه لم يستجب اليهم ، ولم يصدقهم ، كان النشو يحرص دائما على أن يبدو أمام السلطان فى مظهر الفقير المعدم حتى تزداد ثقة السلطان فيه ، ولكى يؤمن السلطان بفقره كان يقترض من كبار موظفى الدولة المتصلين بالسلطان ، مبالغ صغيرة من المال بين الحين



والآخر ليوهمهم انه لا يملك شيئا . ارسل ذات يوم الى رئيس الاطباء يطلب منه مائة درهم بحجة ان ضيفا نزل عنده وليس لديه ما يكرمه به ولكي تجوز حيلته على السلطان انتهز فرصة وجود كبير الاطباء عنده ذات يوم . وشكا فقره للسلطان . وقد امن رئيس الأطباء على هذه الدعوى بحكم ما وقع بينه وبين النشو من قبل وامعن النشو فى تصرفاته التى لحقت الخاصة والعامة على السواء . فتدخل فى تجارة السلع الضرورية للحياة من لحم وفول واقمشة وكان يشترى منها باسم السلطان كميات كبيرة باسعار رخيصة ثم يبيعها للناس باثمان عالية .

وهنا لندع المقريزى يحدثنا من خلال كتابه السلوك عن وقائع النشو ..

● رسالة تتضمن الوقيعة فى النشو واقاربه

فى يوم الاربعاء سابع عشر ربيع الأول (٧٣٦) عزل الأمير سيف الدين بغا عن الدوادارية . واستقر عوضه سيف الدين كاجار الماردينى . ثم اخرج بغا على امرة عشر بصفد . فى ليلة الجمعة سادس ربيع الاخر . وسببه أن بعض تجار قيسارية جهاركس طرح عليه النشو ثيابا بضعفى قيمتها كما هى عادته . فرفع قصته للسلطان على يد بغا . واحضره بغا بين يديه فشكا حاله . فاستدعى السلطان النشو بحضور التاجر وقال له : كم تشكو الناس منك ! اسمع ما يقول هذا عنك من طرح القماش عليه باغلى الاثمان . فقال «يا خوند ! هذا ما يشتكى من امر القماش لكنه عليه للسلطان مبلغ ثلاثين الف دينار . وقد هرب منى وانا اتطلبه . وهذا المبلغ من إرث جارية تزوجها التاجر وهى من جوارى الشهيد الملك الاشرف خليل . ماتت عنده وخلفت نحو مائة الف دينار وما بين جواهر وغيرها . فاخذ الجميع ولم يظهر على السلطان شىء» .

ثم التفت النشو الى التاجر وقال له :

«بحياة راس السلطان ! ما كنت متزوجا بفلانة ؟» .

يعنى الجارية المذكورة . فقال «نعم» . فامره السلطان ان يسلمه لابن صابر المقدم حتى يستخلص منه المال . فاخذه ابن صابر وشهره بالقاهرة وعاقبه بالقيسارية مرارا حتى اخذ منه مبلغ خمسين الف درهم . ثم تحول النشو على بغا . وراح يقول عنه انه مرتش . وكان السلطان يكره الرشوة . فاثر فيه كلام النشو . فاخرجه . وسعى النشو ايضا بطقتمر الخازن حتى غير السلطان عليه .

.. وفى ليلة الثلاثاء ثالث عشر رجب قبض على ابن هلال الدولة . وعلى ناصر الدين محمد ابن المحسنى . واخرجا الى الاسكندرية بسعاية النشو .

النشـــو.. يســعى فى النــاس بالشــر ولا ينــجو من أذاه أحـــد !

.. واشتدت وطاة النشو على الناس . وابتكر مظلمة لم يسبق اليها وهى انه الزم اهل الصاغة ودار الضرب الا يبتاع منهم احد ذهبا . بل يحمل الذهب جميعه الى دار الضرب . ليصك بصكة السلطان . فجمع من ذلك مالا كثيرا للديوان . ثم تتبع النشو الذهب المضروب فى دار الضرب . فاخذ ما كان منه للتجار والعامة . وعوضهم عنه بضائع . وحمل ذلك كله للسلطان . وانحصر ذهب مصر باجمعه فى دار الضرب . فلم يجسر احد على بيع شىء منه فى الصاغة ولا فى غيرها . ثم ان السلطان استدعى منه بعشرة الاف دينار . فاعتذر عنها فلم يقبل عذره وتهدده فنزل النشو والزم امين الحكم بكتابة ما تحت يده من مال الايتام . وطلب منه عشرة الاف دينار قرضا فى ذمته . فدله على مبلغ اربعمائة الف درهم لايتام الدوادارى تحت ختم بهاء الدين شاهد الجمال . فاخذها منه وعوضه عنها بضائع . ثم بعث النشو الى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن ابى بكر بن عيسى الاخنائى المالكى فى تمكينه من مال اولاد (الامير) ارغون النائب . وهو ستة الاف دينار . وكانوا تحت حجره فامتنع وقال «السلطان ما يحل له اخذ مال الايتام» . فرد عليه «السلطان إنما يطلب المال الذى سرقه اخوك من خزانة الخاص حيث كان ناظرها . فان الحساب يشهد عليه بما سرقه من الخزانة» . وقام فى فورة الى السلطان . ومازال به حتى بعث الى القاضى يلزمه بحمل المال الذى سرقه اخوه من الخزانة . ويقول له «انت إيش كنت من مملوكى ؟» . فلم يجد قاضى القضاة بدا من تمكين النشو من اخذ المال .

.. فى ذى القعدة من نفس السنة . سقط طائر حمام بالميدان . وعلى جناحه ورقة تضمنت الوقيعة فى النشو واقاربه . والقدح فى السلطان بانه اخرب دولته . فغضب السلطان من ذلك غضبا شديدا . وطلب النشو واوقفه على الورقة . وتنمر عليه لكثرة ما يشكى منه . فقال : «يا خوند ! الناس معذورون ! وحق راسك لقد جاءنى خبر هذه الورقة ليلة كتبت . وهذه فعلة العلم ابى شاكر بن سعيد الدولة ناظر البيوت . كتبها فى بيت الصفى كاتب الامير قوصون . وقد اجتمع هو واقاربه» . واخذ النشو يعرف السلطان بما كان من امر سعيد الدولة فى ايام بيبرس الجاشنكير واغراه به حتى طلبه . وسلمه الى الوالى علاء الدين علي بن حسن المروانى . فعاقبه عقوبة مؤلمة . وطلب السلطان الامير قوصون وعنفه على فعل الصفى كاتبه . فطلبه قوصون وهدده . فحلف بكل يمين على براءته مما رمى به . فتتبع النشو عدة من الكتاب وجماعة من الباعة . وقبض عليهم بسبب ابن شاكر . ونوع العذاب عليهم بيد الوالى . وخرب دورهم بالمحراث . وقبض النشو على الموفق هبة الله بن سعيد الدولة . ثم افرج عنه بعناية الامير اقبغا عبد الواحد . وعذب ابن الازرق ناظر الجهات .

● ارباب الدواليب يتضررون من سطوة النشو

سنة سبع وثلاثين وسبعمائة .

.. وفيها اجدبت زراعة الفول . فالزم النشو سماسرة الغلال الا يباع الفول الا للسلطان فقط . فتضرر ارباب الدواليب (المقصود بالدواليب جميع الآلات المستخدمة فى الزراعة والصناعة . وهذه الآلات كانت تدور بالابقار . والابقار تعتمد على اكل الفول) .

وفيها صادر النشو جماعة من ارباب الدواليب بالوجه القبلى . واخذ من محتسب البهنسا واخيه مائتى الف درهم والفى اردب غلة . فرافع بن زعلزع من امراء الصعيد اولاد قمر الدولة عند النشو . فاقتضى رايه مصادرة ابن زعلزع لكثرة ماله . واوقع الحوطة على موجوده . وكتب الى والي البهنسا ليعاقبه اشد العقوبة . فلف والي البهنسا على اصابعه الخروق وغمسها فى القطران واشعل فيها النيران . ثم عراه ولوحه على النار . حتى اخذ منه ما قيمته الف الف وخمسمائة الف درهم . ووجد له اربعمائة فرجية بفرو . ومائة وعشرين جارية . وستين عبدا . ثم كتب عليه حجة بعد ذلك بمائة الف درهم . واحتج النشو بمصادرته بانه وجد كنزا .

.. وفيها ارتفع سعر اللحم لقلة جلب الاغنام حتى بيع الرطل بدرهم وربع . وسبب ذلك ان النشو كان ياخذ الغنم بنصف قيمتها . فكتب الى نائب الشام ونائب حلب بجلب الاغنام . ثم ان النشو استجد للسواقى التى بالقلعة ابقارا . واحضر ابقارها التى ضعفت وعجزت مع الابقار التى ضعفت بالدواليب . وطرحها على التجار والباعة بقياسر القاهرة ومصر واسواقها حتى لم يبق صاحب حانوت حتى خصمه منها شىء على قدر حاله . فبلغ كل رطل منها درهمين وثلث . ورميت تلك الابقار على الطواحين والحمامات كل راس بمائة درهم ولا تكاد تبلغ عشرين درهما فبلى الناس من ذلك بمشقة وخسارة كبيرة .

.. واتفق ان النشو اغرى السلطان بموسى بن التاج اسحق حتى رسم بعقوبته الى ان يموت .

فضرب زيادة على مائتين وخمسين شيبا (الشيب سير السوط اى الكرباج) . حتى سقط كالميت . ثم ضرب من الغد اشد من ذلك ، وحمل على انه قد مات . فسر النشو بذلك سرورا زائدا ، وذهب ليرى موسى وهو ميت فوجد به حركة . وفى اثناء ذلك طلب السلطان الامير لؤلؤا فاخبره بان موسى قد بدا يئن . وبعد ساعة يموت . فرسم الا يضرب بعد ذلك . فشق هذا على النشو .

.. وفيها قل فرو السنجاب من الاسواق ، وذلك لقلة جلبه . فامر النشو باخذ ما على التجار من الفرجيات ذات الفرو ، فهوجمت حوانيت التجار والبيوت حتى اخذ ما على الفرجيات من السنجاب . فبلغ النشو دعاء التجار عليه فسعى عند السلطان عليهم . ونسب اليهم اخذ الربا ، وقال ان عندهم كميات كبيرة من الاخشاب والحديد واستاذنه فى بيعها عليهم . فاذن له السلطان فنزل وطلب تجار القاهرة ومصر وكثيرا من ارباب الاموال ، ووزع عليهم من الف دينار كل واحد الى ثلاثة الاف دينار ليحضروا بها ويأخذوا عنها صنفا من الاصناف ، فبلغت الجملة خمسين الف دينار ، وضرب من تخلف منهم بالمقارع . ويبدو ان احد هؤلاء التجار كان على معرفة بالست حدقة زوجة السلطان وام ابنه انوك ، فذهب اليها وشكا النشو ، وقال ان الخشب الذى فرضه عليه قيمته الحقيقية الفا درهم ، وطلب منه النشو الف دينار ثمنا له ،عندئذ تحدثت السيدة حدقة الى السلطان فى ظلم النشو للناس فطلب السلطان النشو ، وانكر عليه ذلك ، وتجهم له . فانصرف النشو وهو فى حالة شديدة من الغيظ ، وبدا يدبر انتقاما من ذلك التاجر . استدعى رجلا واتفق معه على الانتقام من التاجر ذهب الرجل الى التاجر وساله فى قرض مبلغ من المال ، فاخذ التاجر يشكو مما به من الزامه بالفى دينار عن ثمن خشب طرحه عليه النشو ، فقال له الرجل « ارنى الخشب فانى محتاج اليه » . فلما راه اعجبه واشتراه منه بفائدة الف درهم فى الشهر . امتلا التاجر فرحا ، واشهد عليه بذلك . ومضى الرجل لياتى بثمن الخشب . عاد الى النشو واخبره بما تم ودفع اليه بنسخة المبايعة . فقام من فوره الى السلطان واعلمه انه نزل ليرفع الخشب من حاصل التاجر فوجده قد باعه بفائدة الف درهم فطلب السلطان التاجر وساله عما رماه عليه النشو . فاعتر البائس واخذ يقول « ظلمنى واعطانى خشبا بالفى دينار يساوى الف درهم » فقال له السلطان « واين الخشب ؟ » قال « بعته بالدين » . فقال النشو « قل الصحيح فان هذه معاقدتك ببيعه » . فلم يجد بدا من الاعتراف . فحنق عليه السلطان وقال « ويلك . تقيم الغائة « تستغيث » وانت تبيع بضاعتى بفائدة ؟ » ثم امر النشو بضربه واخذ الالف دينار منه مع مثلها . وعظم النشو عند السلطان ، ثم عبر السلطان الى نسائه وسبهن وعرفهن ما جرى . وقال : « مسكين النشو ! ما وجدت له احدا يحبه كونه ينصحنى ويحصل مالى » .

وفى نفس السنة شكا المماليك من تاخر كسوتهم . فطلب السلطان النشو والزمه بحمل كسوتهم من الغد ، ومعها مبلغ عشرين الف دينار فنزل النشو والزم الطيبى ناظر المواريث بتحصيل خمسة الاف دينار ، وبعث المقدمين الى الاسواق ففتحوا حوانيت التجار واخذوا كسوة المماليك وحوائجهم واخفافهم ونعالهم وغير ذلك ، واخذوا مركبا فيه عدة بضائع طرحوها على الناس بثلاثة امثال قيمتها ، واحيط بتركة نجم الدين محمد الاسعودى ، وقد مات وترك زوجة وابنة ابن ، واخذت كلها ، واخذت وديعة من تركته لاولاد ايتام تحت حجره ، مبلغها نحو خمسين الف درهم ، وانفقت فى يومها على المماليك والخدام . وفتحت قيسارية جهاركس ، واخذ منها مقاطع الشرب « قماش رفيع من الكتان » برسم الكسوة . فارتجت المدينة باهلها ، وترك كثير من التجار حوانيتهم وغيبوا ، فصارت مفتحة ، والاعوان تنهب لانفسها ما ارادت ، فلم ير يومئذ بالقاهرة ومصر الا باك او صائح او نائح ، فكانا يومين شنيعين ، وعول ارباب الحوانيت على رفع ما فيها وخلوها . فعرف النشو السلطان ذلك فنودى « من اغلق حانوته اخذ ماله وشنق . ففتحوها » .

نعم ..

لم يبق فى مصر الا باك او صائح او نائح .

هكذا فى بساطة وقوة يلخص المقريزى ما وصل اليه حال الناس تحت سطوة النشو . وتمضى السنوات خانقة بظلمه ، يمضى النشو الى الاقاليم فيصادر الاموال ، واذا افرج عن انسان يشق هذا عليه ، ولا يهدا له بال حتى يعيده مرة اخرى الى السجن ، وفى هذا الخضم تجرى محاولة لاغتيال النشو . إذ حدث فى يوم الاثنين ثانى عشر رمضان ان اعترضه فارس ، ضربه . فاخطا سيفه راس النشو ، جرح كتفه فقط . فغضب السلطان غضبا شديدا ، ولم يحضر السماط ، وارسل الاطباء لمعالجة النشو ، واغلظ على الامراء بالكلام ، وما زال يشتد ويحتد حتى عاد القصاد بسلامة النشو فسكن ما به .



وتجيء سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ، ولا يكف النشو ، ولا يهدا ، يسعى فى الناس بالشر ، ولا ينجو من اذاه امير او طحان . وعندما يبلغه ان الوعاظ يدعون عليه من فوق منابر الجوامع ، يسعى عند السلطان حتى يمنع الوعاظ باجمعهم من الوعظ . وتستمر الاحوال على ما هى عليه فى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ، ياخذ النشو مال الاقباط مع انه كان فى الاصل قبطيا ثم اسلم ، ويستولى على حلى النساء . يقول المقريزى :

« وفيها كثرت مصادرة النشو للناس من اهل مصر والقاهرة والوجه البحرى والقبلى ، حتى خرج فى ذلك عن الحد »

ولكن لكل اول اخر ، ولكل بداية نهاية ..

● النهاية

سنة اربعين وسبعمائة .

فى يوم الاثنين ثانى صفر قبض على النشو ، وعلى اخيه شرف الدين رزق الله ، وعلى اخيه المخلص ، ورفيقه مجد الدين ، وعلى صهره ولى الدولة .

كيف ؟

لنصغ الى المقريزى محدثنا عن هذا الزمن البعيد .

« .. وسبب ذلك انه لما اسرف النشو فى الظلم بحيث قل الجالب للبضائع وذهب اكثر اموال التجار لطرح الاصناف عليهم باغلى الاثمان . وطلب السلطان منه يتزايد . خاف النشو العجز فرجع عن ظلم العامة . الى التعرض الى الخاصة ورتب مع اصحابه ذلك .

وكانت عادته فى كل ليلة ان يجمع اخوته وصهره ومن يثق فيه للنظر فيما يحدثه مذ مظالم فيدله كل منهم على داهية . ثم يفترقون وقد ابرم للناس بلاء يعذبهم الله به من الغد على يده . فكان مما اقترحه ان رتب اوراقا تشتمل على فصول يتحصل فيها الف الف دينار عينا . وقراها على السلطان . ومنها التقاوى السلطانية المخلدة بالنواحى من الدولة الظاهرية بيبرس والمنصورية قلاوون فى اقطاعات الامراء والاجناد وجملتها مائة الف وستون الف اردب . سوى ما فى بلاد السلطان من التقاوى ومنها الرزق الاحباسية على الجوامع والمساجد والزوايا وغير ذلك وهى مائة الف فدان (وثلاثون الف فدان) .

النشـــو.. يســعى في النــاس بالشــر ولا ينــجو من أذاه أحـــد !

ويمضي المقريزى فى سرد تفاصيل ما خططه النشو مع اقاربه للاضرار بكبار الأمراء وكان ماتفتق عنه ذهنه ، هو الزام متولى كل اقليم باستخراج التقاوى من ارضه وحملها الى خزائن السلطان ، ثم تباع من جديد الى الناس بمعرفة الخاصة السلطانية . انزعج الامراء من هذا القرار ، وقال احدهم للسلطان : « يا خوند والله ان النشو نضرك اكثر مما ينفعك

ويبدو ان السلطان امعن الفكر ، واحس ان النشو مكروه لدى الجميع ، ولم يكن اتخـاذ القـرار سهلا ، فكتب الى الامير تنكز نائب الشام يستشيره فى الامر ، ويخبره ان النشو اصبح مكروها من الجميع ، ولكنه يخدم السلطان وينفعه ، واجاب الامير تنكز مؤيدا سوء سيرة النشو ، وختم خطابه قائلا « ورأى السلطان فيه اعلى » .

وكثرت الاوراق التى كانت تلقى الى السلطان وتحوى ذما للنشو ، ومما قيل فى بعضها :

ايا ملكا اصبح فى نشــوة
من نشــوة الظــالم فى نشيه
انشيته فلتنشن ضغائنـــا
سترى غباوتها بصحبة غيـــه
حكمته فحكمت امرا فاســدا
وتوحشت كل القــلوب لفحشه
سترى بوارقها اذا ما اظلمت
وتحكمت ايدى الزمان ببطشـــه
ولتندمن ندامـــة كسعيه
يوما اذا ذبح الخروف بكبشـــه

وقرا السلطان فى ورقة اخرى :

امعنت فى الظلم واكثرتـــه
وزدت يا نشو على العـــالم
ترى من الظالم فيكم لنـــا
فلعنة الله على الظـــالم

* وحدث ان مرض الامير يلبغا ، وكان السلطان يثق فيه ، فاقام عنده حتى يطمئن عليه ، وخلال حديثهما قال يلبغا « يا خوند : قد عظم احسانك لى ووجب على نصحك ، والمصلحة تقضى بالقبض على النشو ، فالامراء جميعا يكرهونه ، ويكرهونك لحبك إياه ، وما من مملوك من مماليك الا يترقب غفلة منك ليقضى عليك انتقاما منك لانك تركت هذا الشخص يعبث بمصالح الناس »

وبكى يلبغا ، وبكى الناصر ، وقام من عنده مبلبل الخاطر ، ليصدر امرا بالقبض على النشو يقول المقريزى :

« وطلب السلطان المقدم ابن صابر ، واسر اليه ان يقف بجماعته على باب القلعة وباب القرافة ، ولا يدعو احدا من حواشى النشو واقاربه واخوته ان ينزلوا ، وان يقبضوا عليهم كلهم ، وامر السلطان الامير بشتاك والامير برسبغا الحاجب ان يمضيا الى النشو ، ويقبضا عليه وعلى اقاربه فخرج بشتاك وجلس على باب الخزانة وطلب النشو من داخلها ، فظن النشو انه جاء لميعاده مع السلطان حتى يحتاطا على موجود اقبغا عبد الواحد ، فساعة ما وقع بصره عليه امر مماليكه باخذه الى بيته من القلعة ، وبعث الى الامير ملكتمر الحجازى فاخذ اخاه رزق الله واخذ اخاه المخلص وسائر اقاربه . فطار الخبر الى القاهرة ومصر ، فخرج الناس كانهم جراد منتشر » .

خرج الناس كالجراد المنتشر !!

لحظة مديبة فى مسار الزمن ، عندما ينتهى الكابوس العام ، فيسرى الاثر الى كل انسان : التعيس ، الواعى ، الكبير ، الصغير ، لحظة الخلاص ، عندما يندفع الانسان الى خارج بيته ، يظن انه بمفرده ، واذا بالجميع فى الشارع ، هكذا خرج الناس كالجراد المنتشر عندما سمعوا بخبر القبض على النشو وزمرته ، وفى القلعة جلس السلطان ولازال فى نفسه شك ، انه يقول للامراء ،

« وكم تقولون النشو نهب اموال الناس ! الساعة ننظر المال الذى عنده » .

فى القاهرة يعم الفرح ، اغلقت الاسواق ، واتجه الجميع الى ميدان الرميلة تحت القلعة ، كما يتجهون الى ميدان التحرير فى العصر الحديث ، او ميدان العتبة ، او إلى منشية البكرى (ليلة التاسع من يونيو ١٩٦٧ ، وليلة وفاة عبد الناصر) ، جاء الليل والناس لم تنصرف بل اوقدوا الشموع ، يرفعون على رؤوسهم المصاحف ، وينشرون الاعلام ، وهم يضجون ويصيحون استبشارا وفرحا بقبض النشو ، والامراء يشيرون اليهم ان يكثروا مما هم فيه ، وقضوا الليل كله على ذلك ، وفيه زاد النيل بعد توقفه ، فقال علاء الدين الشاعر :

فى يوم الاثنين ثانى الشهر من صفر
نادى البشير الى ان اســمع الفلكا
يا اهــل مصر نجـــا موسى ونيلكم
طغـــا وفرعـــون وهو النشو قد هلكا

صباح الثلاثاء ، نودى فى القاهرة :

« بيعوا واشتروا واحمدوا الله على خلاصكم من النشو » .

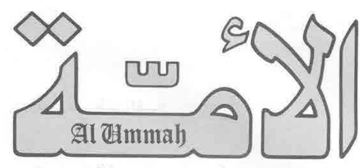
صباح الثلاثاء ايضا انتحر شقيق النشو ، واخرجوه فى تابوت امراة حتى دفن فى مقابر الاقباط خوفا عليه من العامة ، وتمت الحوطة على اموال النشو ، النشو الذى كان يتظاهر بالفقر والحاجة ، والذى كان السلطان يظن حتى اخر لحظة انه لا يمتلك شيئا ، فماذا وجدوا عند النشو ، فى بستان بجزيرة الفيل وجدوا امه وامراته واخته وولديه ، ومعهم ستون جارية ، ومائتا جنبه (كيس من جلد البعير) عصير عنب ثم حمل الامراء ثروة النشو الى السلطان ووضعوها بين يديه ، وضعوا خمسة عشر الف دينار ذهب ، والفين وخمسمائة حبة لؤلؤ قيمة كل حبة ما بين الفى درهم الى الف درهم ، وسبعين فصا بلخش قيمة كل فص ما بين خمسة الاف درهم الى الفين ، وقطعتين زمرد فاخر زنتهما رطل ونيف وستين حبلا من لؤلؤ كبار زنة ذلك اربعمائة مثقال ، ومائة وسبعين خاتم ذهب وفضة بفصوص متمنة ، وكف مريم مرصع بجوهر ، وصليب ذهب مرصع ، وعدة قطع زركش سوى حواصل لم تفتح ، فخجل السلطان لما راى ذلك ، واستمر الامراء ينزلون كل يوم لاخراج حواصل النشو ، فوجد له من الاوانى الصينى والبلور والتحف السنية الشىء الكثير ، ثم وجدت عنده مائتى برميل مملوئين بالملوحة سمك مملح ، وثمانين بالجبن ، واحمالا كثيرة من بضائع الشام ولحما كثيرا من لحم الخنزير ، واربعة الاف جرة خمر ، سوى مانهب ، ووجد له اربعمائة بدلة قماش جدد ، وثمانون بدلة مستعملة ، وزراكش ومفرجات (عباءات) ، وستون قفطانا نسائيا ، ومناديل زركش عدة كثيرة ، ووجد له عدة صناديق بها قماش سكندرى كان قد صنع لحساب ملكة المغرب ولكنه اختلسه وكثير من قماش الامراء الذين ماتوا او قبض عليهم ، ووجد له مملوك تركى كان النشو قد خصاه هو واثنين معه ماتا ، ثم وجدوا لاخوة النشو ذخائر نفيسة ، منها لصهره ولى الدولة صندوق فيه مائة وسبعون فص بلخش ، وستة وثلاثون مرملة (ظرف كان يوضع فيه الرمل الذى يستخدمه الكتاب لتجفيف الكتابة) مكللـة بالجواهر الرائعة ، واحدى عشرة عنبرية مكللـة بلؤلؤ كبار ، وعشرون طراز زركش ، وغير ذلك ما بين لؤلؤ منظوم وزمرد ، وكوافى زركش ، وقدر الجميع باربعة وعشرون الف دينار .

وفى نهاية هذه السنة ٧٤٠ هجرية ، مات النشو ، واندثر امره مات النشو عام ٧٤٠ هجرية بالتحديد يوم الاربعاء ثانى ربيع الاخر .

ولكن بعد انقضاء سبعة قرون على اختفائه ، هل يمكن القول انه اختفى من حياتنا ؟ » .

جمال الغيطانى





اسلامية . شهرية . جامعة

- في مطلع القرن الخامس عشر الهجري كان صدور مجلة "الأمة".

وقد استقبلها المفكرون والقراء في جميع أنحاء العالم بالاهتمام والتقدير لما تميزت به من الأصالة والمعاصرة في معالجة قضايا المسلمين والاهتمام بشؤونهم، وذلك بأقلام كبار الكتاب.

- من رسالة المجلة:

  - جعل المسلمين أكثر إحساسا بمتغيرات الحياة والعمل على اختصار فترة التخلف، وترشيد الطاقات الإسلامية.
  - مواكبة التطور على هدى من تعاليم الإسلام وقيادة البشرية إلى الخير.

رئيس التحرير

يوسف عبد الرحمن المظفر

- قراءة إسلامية للمشكلات الحضارية والثقافية المعاصرة.
- تحقيقات علمية واستطلاعات مصورة.
- تلتقي فيها مع كبار المفكرين والكتاب، في غرة كل شهر عربي

تصدر من قطر وتوزع في العالم

١٠٠ صفحة بالألوان

درويش مصطفى الفار

شجون ودروس .. من سيناء

إثر جلاء قوات الاعتداء الثلاثي (١٩٥٦) عن سيناء ، قرر المجلس الأعلى للبحث العلمي بالقاهرة ، بأمر من (جمال عبد الناصر) تكوين (لجنة) ترسم خطة لتعمير سيناء ، كي لا تقع فريسة للاحتلال مرة أخرى .. ودعاني رئيس اللجنة ، الدكتور رياض حجازي رحمه الله ، لحضور جلسة الافتتاح ، بحكم انني من ابناء سيناء .. فسمعت العجب العجاب التالي :

قال الخبير التعميري الأول ، ان اهل سيناء قوم يحترفون صناعة تهريب المخدرات (!!) فلن يصلحوا للقيام بمهام التعمير ، فرد عليه خبير ثان وقال : إننا سنعمر سيناء بقوم نرحلهم من الوادي لأنهم أهل علم بشئون الزراعة ، فبادره خبير ثالث ، ذو شعر أشد بياضا ، وفي فمه غليون معقوف ، وقال إن أهل الوادي سوف يذهبون الى سيناء ويتعلمون تهريب المخدرات ، فلا أمل في قيامهم بأي تعمير .. عند ذلك رفعت يدي مستأذنا في الكلام وقلت ، مادام الأمر هكذا ، والدولة تصر على تعمير سيناء ، حتى لا تقع فريسة للاحتلال تارة أخرى ، فأرجو النظر ايها السادة في موضوع (استئجار) بعض (الخواجات) للقيام بعمليات التعمير ، وتأكدوا أيها السادة ، ان سيناء ، ستحتل مرة أخرى ، مادمنا نفكر بهذا الأسلوب العقيم .. وهنا طلب الي (بغلظة) ان أغادر مكان الاجتماع (فورا) ، ففعلت ، بعد مشادة ..

وبعد اسبوعين ، أمرت مع زميلي المرحوم احمد الأدنداني ، وحافظ عابدين بدوي ، بدراسة منطقة (عيون موسى) ، فرفعنا لسطحها خريطة جيولوجية طبوغرافية من مقياس واحد الى عشرة آلاف ، وجدنا عليها المكان الصالح لحفر بئر عميقة بحثا عن الفحم .. ووجدت من المفيد أن أضع أيضا على تلك الخريطة ، مجموعة عيون الماء (الخمس والأربعين) التي يظن بعض المؤرخين (دون برهان علمي) أنها هي المقصودة في قصة خروج موسى عليه السلام من مصر .. وارسلت عينات الماء للتحليل الكيمائي مشفوعة بمذكرة للمساحة الجيولوجية برجاء دراسة إمكانية الاستفادة من تلك المياه الغزيرة الضائعة لاقامة عمران بأية صورة ، وانطلقت في مهمة لدراسة اعالي وادي العريش فيما بين التيه والعجمة في اغسطس سنة ١٩٥٧ إلى اغسطس سنة ١٩٥٨ .. ثم كلفت بدراسة رواسب الرمال السوداء بين بور فؤاد ورفح في شمالي سيناء ، وفي ديسمبر سنة ١٩٥٨ انتقلت للعمل في منطقة جبل المغارة بين الاسماعيلية والعريش ، وهنالك في سنة ١٩٦١ جاءتني الأنباء المتواترة على ألسنة الثقات تقول إن جهاز (تعمير الصحاري) قد كلف أحد (المقاولين) الكبار لانشاء شبكة من القنوات والخزانات (بالأسمنت المسلح) وقبض المقاول اجره ، ثم ، بمحض الصدفة ، خطر على بال (المسئولين) ان (يحللوا) التربة ، فاذا بالتحليل يقول بأن ارض عيون موسى (لا تصلح) للزراعة التقليدية !!! وظلت القنوات الاسمنتية شاهد إثبات على جريمة (لا مبالاة) مجهولة النسب ، حتى حطمتها المجنزرات سنة ١٩٦٧ .. وقبيل اكتشاف دلائل وجود الفحم ، بمعاونة أصدقائي من البدو (سويلم ابو نيفة ، وحميد زيدان الوط) في الطبقات الجوراسية بجبل المغارة بشمال سيناء في ابريل سنة ١٩٥٩ ، ورد الى خطاب (سري جدا) من الوزارة التي يتبعها العمل الجيولوجي ، يطلب مني تقريرا (مفصلا) عن تواجد خام الفيروز ، في جبل (مغارة) لأن شركة ما قد تقدمت الى الحكومة بطلب امتياز لاستغلال ذلك الخام !!! فما زدت على ان علقت على ذلك الخطاب بكلمات مفادها ، ان جبل (المغارة) الذي اعمل فيه هو غير جبل (مغارة) الواقع بفيروزه ونحاسه في جنوب سيناء ، وانه اقرب للقاهرة منه الى ، راجيا النظر (بفهم) في أرقام خطوط الطول والعرض ، التي كانت على الخريطة المرفقة بذلك الخطاب ..

● تلك مجرد عينات من علامات الطريق التي أدت تباعًا إلى هزائم السنوات : ١٩٤٨ و ١٩٤٩ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧

● أيها العرب إن بعد عودة سيناء ما بعدها .. فأجمعوا أمركم بوعي وإيمان بالله وعلم بحقائق العالم

واعترانى تساؤل ، كيف يمكن الاحتفاظ بسيناء ، بمثل تلك العقليات التى شاء قدرنا ان تكون (قيادية) ؟؟؟

وحدثت الكارثة ، سنة ١٩٦٧ ، ووقعت سيناء كلها ، مع فلسطين كلها والجولان كلها ، بفضل العقلية العربية (الواحدة) .. واستدعيت بعد خروجى من سجن غزة فى مايو سنة ١٩٦٨ لحضور الاجتماع الموسع لمجلس بلدى مدينة العريش ، حيث ابتدرنى (ضابط الاتصال) اليمنى الأصل ، يسألنى عن سبب فشل (جهاز تعمير الصحارى) فى اكتشاف الماء الذى اكتشفته شركة (ماكوروت) خلال الكثبان الرملية جنوب مدينة العريش ؟؟ فلما وجمت ومن معى من المقهورين ، قال الرجل ، انا ساشرح لك لماذا فشلتم فى اكتشاف هذا الماء الذى نجحنا (نحن) فى اكتشافه ، رغم انكم عملتم فى نفس البقعة بالذات .. لقد صدر الأمر لأحد (مهندسي) تعمير الصحارى عندكم (بمامورية) لمدة شهرين ، فوصل الرجل بخيله ورجله والاته واجهزته الى المنطقة وامر (العمال) بالبحث عن الماء ، وطفق هو يتحسس السبل ويستطلع المكان التى يستطيع من خلالها (تهريب) قائمة مطالب السيدة (زوجته) من مدينة غزة وما ادراك ما سوق غزة .. وما كاد يستوفى تلك القائمة من مصنوعات (ماكس فاكتور) وانواع الجوارب والملبوسات (النايلون) واجهزة (الترانزستور) حتى ياتيه البريد بخطاب مسجل من (اخت) السيدة زوجته ، يحوى قائمة حافلة بطلباتها وطلبات جاراتها وصويحباتها وسوق (الشواربى) .. وهكذا تنقضى أيام المامورية فى إعداد (القوائم) ولا يظهر الماء ، بل ينتفى وجوده ، طبقا لتقرير (فنى) من ذلك السيد المهندس ، الذى لا يوجد مثيل له ، قطعا ، فى شركة (ماكوروت) .. وعند هذا الحد طاطا كل الحاضرين من بنى يعرب بن قحطان والعدنانيين وانا منهم ، رؤوسهم الكريمة خجلا ...

تلك مجرد (عينات) من علامات الطريق ، التى ادت تباعا الى هزائم سنة ١٩٤٨ ، سنة ١٩٤٩ ، سنة ١٩٥٦ ، سنة ١٩٦٧ .. ولايخطرن ببال احد ان تلك العينات ، (وقف) على قطر عربى واحد بعينه .. لا .. إنها علامات مبثوثة شائعة تتشكل بصورة او باخرى فى كل الاقطار العربية بين المحيط والخليج .. ولعل اقل وصف لتلك العلامات انها (اللامبالاة) العربية المميزة لنا دون بقية خلق الله فى هذه الحقبة من التاريخ .. وكل ما يغمر المسرح العربى (كله) على سعته فى هذه الأيام العجاف ، نتيجة حتمية ، بعدل القضاء وحكمته ، لاتصافنا بتلك الصفة .. وطالما ظلت (ريمة ، بعاداتها القديمة) من اللامبالاة وعدم الجدية ، واتخاذ مختلف المشاجب لتعليق الادران والاخطاء ، فلا تغيير ، حتى ثمالة الكاس.

قد تعود سيناء فى ابريل (نيسان) القادم ، وقد اكون من اسعد خلق الله بعودتها انيا .. ولكن أؤكد بمنتهى الوعى والادراك ان سيناء ، سوف تقع مرة اخرى ولمدة قد تطول تاريخيا ، اذا ارتضينا (التغافل) عما هو مكتوب على باب (الكنيسيت) لشعار دولة اليهود الكبرى ، واذا لم نعمل جادين على إقامة (دولة فلسطين) الواحدة بعربها وغير العرب فيها ، على قدم المساواة ودون اى تمييز عنصرى ، عملا سداه الانتباه والتجرد ولحمته الصدق والاخلاص ومواجهة العدو والصديق بايمان بالحق ورغبة صادقة فى الاستشهاد فى سبيل ان تكون كلمة الله هى العليا ، وتجريد للفكر والقضية من كل ملابسات الدجل والتعمية والاتجار بالتاريخ والانفلات الصادق من ربقة الغرب والشرق على سواء .. ايها العرب ، إن بعد عودة سيناء ما بعدها ، فاجمعوا امركم بوعى وإيمان بالله وعلم بحقائق العالم ، والا فان لعنة التاريخ سوف تواكبنا (جميعا) إلى يوم الدين ..

درويش مصطفى الفار



الأمومة عند الحيوان

بقلم: الدكتور عزالدين فـراج

الامومة قبس من رحمة الله وعنايته بعباده ، أودعه فى قلوب الأمهات ، فاصبح فى قلب كل واحدة منهن شعلة من العطف والرحمة لا تخمد نارها ، وينبوعا متدفقا من البر والحنان لا ينضب معينه .

ولولا هذه الشعلة ، وهذا الينبوع ، لما تعاقبت الاجيال ، ولما رأينا هذا الكون الشاسع قد امتلأ بالانسان ونسله .

ولم تكن شعلة العطف والرحمة والحنان تضيء قلوب أمهاتنا نحن معشر بنى الانسان فحسب ، بل اودعها الله أيضا فى قلوب اناث الحيوانات ، حتى بتنا نرى بينها ضروبا من الأمومة الراقية لا تقل روعة عما نراه عند بنى الانسان .

ولا يبدأ حنان الأم عند الحيوان بمجرد رؤية وليدها أو فقسها لأول مرة ... بل يبدأ قبل ذلك وهو جنين فى أحشائها .. وقد يبدأ هذا الحنان بابتداء وضع البيض . فالحيوانات التى تضع بيضا كالاسماك والطيور ، تدفعها امومتها ورغبتها فى المحافظة على نسلها الى وضع بيضها فى مكان أمين ، بعيد عن الأعداء الطبيعية ، إنها تضع هذا البيض تحت صخر او فى داخل شق وبعض الطيور يبنى لهذا البيض عشا محكم الصنع . ولا تكتفى الأم بذلك .. بل تسعى جاهدة إلى وضعه فى البيئة المناسبة له .

وبعض إناث الحيوانات تخشى على بيضها من عوامل الفناء ، فلا تضعه فى الأرض او العش ، بل تحمله بنفسها . فسمك البلطى يحمل بيضه بين طيات خياشيمه .

ولكى يضمن الاباء لصغارهم الغذاء اللازم ، نرى الزنابير تجمع اليرقات وتخدرها بحقنها ببعض إفرازاتها .. ثم تضع فى كل واحدة منها بيضة ، حـتى إذا ما فقس البيض وجد نسله غذاء كافيا





فى جسم الفريسة التى اقتناها له ابوه . وهناك أنواع من الجعارين ، تخزن الغذاء فى شكل كور ، تضع بيضة واحدة فى كل منها .

ونرى بعض الحشرات تجمع الغذاء اللازم لصغارها ، وتجهزه فى عش محكم الصنع ، حتى إذا ما خرجت اليرقات وجدت ما تتغذى به ، كما هو الحال فى نحل العسل ، الذى يخزن الرحيق وحبوب اللقاح فى عيونه وخلاياه ، لتكون غذاء لصغاره بعد فقسها .

وإذا راقبنا البقرة الحامل ، لكى نقف على مدى عنايتها بجنينها النامى بين احشائها عند دخولها حظيرتها وسط قطيع كبير ، وجدناها تسير ببطء ، وتعمل ألف حساب لهذا الجنين ، بينما نجد الابقار العادية ، التى لا يرقد بين احشائها جنين ، تندفع إلى باب الحظيرة من غير مبالاة أو اهتمام .

وإذا ما ولدت البقرة وليدها ، نراها تلعقه لتنظفه مما علق بجسمه . هذا اللعق غريزة طبيعية عندها تاتيها دون تفكير .

وتدريب الأم لصغارها على الطيران والسباحة والعوم واقتناص الفريسة ، ضرب من ضروب الأمومة ، ومظهر من مظاهرها المتباينة . فالفراريج الرومية البرية التى تعيش فى بعض الغابات ، تظل شهراً كاملا بعد فقسها وخروجها من البيض عاجزة عن الطيران ، فتضطر أمهاتها إلى البقاء بجوارها ، لا عمل لها سوى قيادة صغارها داخل الغابة أو خارجها ، حرصاً على سلامتها ، حتى يشتد جسمها .

والبطريق طائر هادىء يعيش فى نيوزيلنده واستراليا وجزر المحيط المتجمد الجنوبى ... وهو هادىء الطباع يعيش معيشة اجتماعية راقية ، ومن ابرز خصائصه حنوه على صغاره . وامه اكثر الأمهات حنوا ورعاية لصغارها ، تضمهم إلى صدرها كما كانت تضمنا امهاتنا ونحن صغار او كبار .

وإذا ماتت الأم تكفل الأب بتربية صغاره ، وإذا مات الابوان تهافتت طيور البطريق الأخرى على تبنى هذه الطيور اليتيمة .

وتضع عادة انثى هذا الطائر بيضتين فى وكر من الحصى وتحتضنهما بالتناوب مع زوجها . ومتى فقس البيض وخرجت الصغار ، يذهب الوالدان إلى البحر بحثاً عن غذاء هذه الصغار ، فيصيدان له السمك بكميات وفيرة ، وكثيراً ما يكلفهما ذلك عناء ومشقة وجهداً .

وقد تداس الصغار عند غياب ابويها بالأقدام فى الزحام ... او تخطفهما الطيور الجارحة . ولدفع مثل هذه الاضرار تلجا طيور البطريق إلى طريقة اجتماعية عجيبه ، فتجمع الصغار فى مكان واحد ، ويتعهد فريق من الطيور الكبيرة بحراستها والدفاع عنها ، كما يتعهد فريق اخر بجمع الغذاء وأعداده . وقد يكون الفريق الأول ليس له صغار على الاطلاق ، وقد يقوم الثاني بتغذية صغار لاتربطه بهم رابطة دم أو صلة . وفي ذلك لون جميل من الوان التعاون والترابط الاجتماعى .

الأمومة عند الحيوان



والطيران والعوم والسباحة واقتناص الفريسة غرايز أسسها موروثة، ولكن لا سبيل إلى اظهارها إلا بارشاد الأمهات وتدريبهن ولهذا نجد البجع تزج بفراخها قهراً إلى الماء لأول مرة لتتعلم العوم .

ولهذا نجد النسر يدفع فرخه وهو في العش إلى تمرين عضلات اجنحته فاذا ما أجبر هذا الفرخ على التمرين الجدي خارج العش ، كان ذلك تحت اشراف ابويه ، فتجدهما يشجعانه على الطيران بطيئاً بالقرب منهما ، حتى لا يتسرب إليه الياس ، وتارة يحركان اجنحتها ليقلدهما هذا النسر الصغير ، وإذا وجدا أن صغيرهما على وشك الفشل ، مال أحدهما بجسمه تحت جسم هذا الصغير ، ودعمه وقاية له من شر السقوط .

والأسود أيضاً تروض أشبالها وتدربها ولهذا نجد رعاة الاغنام فى الجهات القريبة من مرابض الأسود ، لا يهدأ لهم بال مادام هناك أشبال تحت التمرين على مقربة منهم ، إذ أن أول دروس الشبل هى اقتناص الحمل من مراعاه القريب . حتى القطط فانها تعود أولادها على مداعبة وقنص الجرذان ، وكذلك حال ابن عرس فهو يحضر الفرائس الصغيرة الحية إلى العش ليتدرب عليها الصغار .

حتى العقارب التى نخشاها ونتقى اذاها تعرف الأمومة وتدركها إلى حد يثير الدهشة والحيرة ، فهى متى ولدت صغارها تبقى دون غذاء أسبوعاً كاملا ، وتحمل صغارها على ظهرها وتسير بها ، وإذا سقطت واحدة منها تناولتها باحدى يديها ووضعتها فوق ظهرها ، حتى إذا كبرت الصغار نوعاً وضعتها الام على الأرض ، وراقبتها من بعد لتحميها من الأعداء ، فاذا ما اشتد ساعدها تركتها وشانها ، تسعى لشانها وتدافع عن نفسها .

والدب من الحيوانات المعروفة بالحنان الزائد ... وتروى عن ذلك قصص عديدة كلها تنطق بتعلقه بابنائه وحنوه عليهم . ومن اروع هذه القصص ما نقله بحارة السفينة كاركاس التى تجمد حولها الماء فى الاصقاع الشمالية ، وتعطلت مدة من الزمن عن السير .

فذات يوم خرج هؤلاء البحارة من سفينتهم ، وراحوا يوقدون النار للتدفئة بقطع كبيرة من دهن الحوت ... وفجأة اقبلت نحوهم دبة وجروان صغيران ، وقد بدت عليهم علامات الجوع وطبيعى ان يفر البحارة امام هذه الدبة إلى سفينتهم التى كانت على مقربة منهم .

واقتربت الدبة الأم من النار ، ومدت مخالبها فى النار الموقدة معرضة نفسها للضرر والأذى ، واخرجت قطعة من دهن الحوت وأعطتها لولديها الجائعين .

وفجاة وهى تطعم الصغيرين ، أطلق بحارة هذه السفينة بنادقهم فاصابوها مع ولديها ... فهرولت نحوهما تضمهما وتلحس جروحهما . دون أن تفكر فى نفسها وما أصابها من رصاص قاتل . حاولت أن تقيم كلا منهما على قدميه . ولما عجزت عن ذلك همت بالمسير لتغريهما بالوقوف ومتابعة السير خلفها ، ولكن كان ذلك من غير جدوى ، فعادت إليهما فوجدتهما جثتين هامدتين فادركت ان هؤلاء البحارة هم المسئولون عن قتل ولديها ،فكشرت عن انيابها وصاحت فى صوت قوى كالرعد .. وجرت خلفهم والدماء تتدفق من جراحها ، لتنتقم من قتلة ولديها .. ولكن كان رصاص البحارة تكثر أذى واشد فتكا ، فوقعت على الأرض ، تشكو إلى الخالق ظلم الانسان للحيوان .

وحنان الفيلة وامومتها لا تقف عند حد رعاية صغارها والدفاع عنها ، بل تعمل على تاديبها إذا اقتضى الامر . ولقد ذكر أحد الرحالة قصة شاهدها بنفسه ، تصور هذه الناحية من الأمومة .

كانت الام تجر جذعا كبيراً من الخشب ، إلى جوارها صغيرها يسير بجانبها جنبا إلى جنب ، وكان جذع الشجرة مشدوداً بخطافين معلقين بسلسلتين مربوطتين فى طوق حول عنق هذه الام . ولما بلغت الأم منحدراً من الأرض ، راحت تستجمع كل قواها لتصعد هذا المنحدر . وفجاة حرك الصغير احد الخطافين ، فانكفات هذه الأم على وجهها ، ففر الفيل الصغير مذعوراً إلى الغابة المجاورة ، وانطلقت الأم وراءه حتى لحقت به ، وراحت تضربه بخرطومها مرة بعد مرة . واخيراً عاد وهو يمشى وراءها ممسكاً ذيلها بخرطومه ، وكانه بذلك يقدم لها فروض الخضوع والطاعة .

نزار قبّاني قمّة شعريّة

بقلم : علي حسن تقي



حليف الندى يدعو الندى فيجيبه
سريعاً ويدعوه الندى فيجيب
لو استبدلنا كلمة الندى بكلمة الشعر لانطبق هذا البيت على الشاعر نزار قباني . فنزار هو حليف الشعر يدعو الشعر فيجيبه سريعاً ويدعوه الشعر فيجيب . وذلك لعمري هو الشعر الحقيقى وذلك هو الشاعر الأصيل .

عندما قرأت نزارا لأول مرة أحببته من أول قراءة وذلك هو معيار الشعر الجميل الشعر اما ان تحبه لأول وهلة أو ان تكرهه من اول نظرة . الشعر الذى يحتاج إلى دراسة وتفكير وتقليب وتمحيص ليس شعراً الشعر الحقيقى هو الهام قبل كل شيء وانفعال ، والانفعال يأتى بسيطا ومباشراً لا يحتاج الى اكراه واغتصاب ولا يعتمد على الموضوع لكى يصبح شعراً جيداً . فكما قلنا فى مكان آخر فان الموضوع قد يكون من اتفه الأشياء ولكن الشاعر الحقيقى يطرقه فيضفى عليه جمالا ونبلا .

لقد طرق نزار قبانى مواضيع شتى وكل موضوع يطرقه يخلده ويجمله ، ولكن موضوعا واحداً خلده نزار قبانى اكثر من غيره وخلد نزار قبانى أكثر من غيره ، الا وهو موضوع المرأة . لقد قيل عن نزار انه شاعر المرأة وهل أجمل من هذا النعت ؟ وهل أخلد من هذا الموضوع والمرأة قد عالجها نزار من مختلف الجوانب وبارق الشعر . ولا داعى للدخول فى التفاصيل فدواوين نزار متوفرة وهى تروي ذلك ولكن ما نريد ان نقوله هنا بهذا الخصوص هو ان علاقة نزار بالمرأة هى علاقة خالدة وابدية . علاقة ود ومحبة . علاقة تفاهم وتجاذب . وهى علاقة بسيطة ومباشرة كشعره ليس بها تعقيد او عقد . لذلك جاءت امرأة نزار انسانا جميلا راقيا وجاء نزار عاشقا رقيقا . ان نزار قباني ظاهرة غير عادية فى شعرنا المعاصر ولولا اسلوبه وموضوعه المجدد لحسبناه من شعراء العصر العباسي فى قمته . ولوضعناه الى جانب ابي نواس وابن الرومي والمتنبي . هؤلاء الشعراء المميزون الذين رفعوا مكانة الشعر العربى وجعلوا منه شعرا عالميا خالدا . وهكذا نزار فهو شاعر عالمى بمعنى الكلمة . فليس من المبالغة فى شيء اذا ما قارناه بالشاعر الفرنسى الحديث لوي اراجون . بل ان نزار واراجون هما من جنس واحد من الشعراء . فاراجون قد جاء فى عصر كثر فيه انصاف الشعراء فى فرنسا وكثر فيه التعقيد والزيف بعد ان وصل الشعر الفرنسى إلى قمته فى القرن التاسع عشر اما نزار فانه يأتى فى زمن يخرج فيه العرب من عصر الانحطاط فيكثر فيه التخبط والتقليد .

هناك وجه شبه اخر بين اراجون ونزار . فكلاهما الى جانب حبهما للمرأة بكل ما فى ذلك من رقة وعذوبة وعطر قد طرقا موضوعا يختلف اختلافا كبيرا عن تلك الا وهو السياسة . فاراجون كان ولا يزال شاعرا ملتزما أما نزار فقد التزم القضية العربية . وكلا الشاعرين أجادا فى طرق هذا الموضوع إجادتهما فى طرق المواضيع الأخرى . وكلاهما لم يفقد رقته الشعرية المباشرة عند علاج موضوع كالسياسة التى يعتقد البعض انها معقدة .

لقد ظهر نزار قبانى فى فترة كانت فيه الأمة العربية فى امس الحاجة الى شاعر أصيل ومميز . ولكن يجب ان لاننسى الشعراء الاقل شأنا الذين سبقوا نزارا أو عاصروه فكل ادلى بدلوه بعد عهود الانحطاط الطويلة . وكل ما نأمله هو ان يكون نزار منطلقا نحو قمم جديدة تعيد الى الشعر العربى مكانته التى يستحقها فى التراث العالمى .

دعوة جريئة لناقد عربي كبير



الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي

الجزء الثاني

بقلم: الدكتور عبد الله الطيب

صورة اليوت

وجدت فى كتاب برنارد برغونزى عن ت.س.اليوت فى طبعته البريطانية الثانية سنة ١٩٧٢ م ص ١٤٣ (راجع الكتاب واسمه بالانجليزية: T. S. Eliot By Bernard Bergonzi
لشطارا هجاه بها احد نقاده ونصها كما يلى :

How unpleasant to meet Mr. Eliot!
With his features of clerical cut,
And his brow so grim
and his mouth so prim
and his conversation, so nicely
Reatricted to What Precisely
And If and Perhaps and But.

وترجمتها على وجه التقريب :

ما اسمج لقاء المستر إليوت
بسمت تقاطيعه الاكليروسى .
وبحاجبه جد الكالح .
وبفمه جد المتنطس
وبمحادثته الحريصة على ان
تتقيد بامثال ماذا تقول على وجه التحديد
وامثال إذا كان ويجوز ولكن .

ومع ما فى هذه الأشطار من سخرية ومرارة فان الصورة التى تطالع القارىء منها غير بعيدة الصفة والملامح جدا مما يطالع قارىء شعر اليوت من اثناء اسطاره وتعليقاته قبل ان يطلع عليها . وفى الذى قدمنا ما عسى ان يشهد بصحة ما نقوله فى هذا الصدد .

الأرض التى اقفرت

قال الشاعر الجاهلى احد اصحاب المعلقات ، لبيد بن ربيعة العامرى :

عفــت الديـار محلهـا ومقامهـا
بمنـى تابـد غولها ورجامهـا

وضعنا خطا تحت (عفت الديار) إذ لفتتنا قوة الشبه بين هذا التعبير وبين عنوان إليوت لمنظومته The Waste Land اى الارض التى جعلت عافية فاقوت واقفرت وعفت وعفتها السنون :

... وغير الايام والليالي ...
كما قال ذو الرمة .

فى قاموس الدكتور صمويل جونسون ان معنى Waste الصفة المشتقة من الفعل اولا يدل على تعفية المكان وجعله قفرا وثانيا يدل على الخلو مثل خلو الصحراء والبرية التى لا ديار فيها . وكلا المعنيين متضمن فى عنوان اليوت The Waste Land اى الارض التى اقفرت او الارض المقفرة او قل عفت الديار .

ولاليوت بعد هذا العنوان عنوان ثان لفصله الاول هو :

The Burial of the Dead

اى : دفن الموتى .

هذا ايضا لفت نظرى على بعد فى ذلك . شعراء العرب تبدأ فى باب الاطلال بذكر تعفية الديار ثم ذكر ان الرياح دفنتها بما اهالته عليها من غبار ثم جاءت رياح اخرى فازالت هذا

نشرت الدوحة فى الشهر الماضى القسم الأول من البحث الذى كتبه الناقد الكبير الدكتور عبد الله الطيب ، وتقدم الدوحة فى هذا الشهر الجزء الثانى من البحث ، ونحن نعتذر للقراء الأعزاء ونعتذر للناقد الكبير عن اضطرارنا لتجزئة البحث بسبب طوله ، مما لايحتمله عدد واحد ، وقد اثار الناقد الدكتور عبد الله الطيب فى الجزء الأول من بحثه قضية تأثير الشاعر الانجليزى الأمريكى الأصل « ت . س . اليوت » فى الشعر العربى المعاصر ، ودعا الناقد الكبير شعراء العرب إلى التخلص من اثر اليوت ، لأن فى هذا الأثر ضرراً عليهم وعلى مستقبل الشعر العربى ، وفى هذا الجزء الجديد من البحث يواصل الناقد الكبير شرح دعوته وتدعيمها بالحجج والأسانيد ، والدوحة تدعو الرأى العام الأدبى فى الوطن العربى إلى متابعة هذا البحث الهام ومناقشته ، وسوف تفتح الدوحة باب المناقشة بعد نشر الجزء الثالث والأخير من البحث فى العدد القادم .

« رئيس التحرير »



الغبار فبدت معالم الدار ظاهرة فيعرفها الشاعر بعد تأمل ، قال امرؤ القيس :

فتوضح فالمقراة لم يعف رسـمها
لما نسجتها من جنوب وشمال

وقال ذو الرمة وبائيته مما ترجمه الافرنج ونشروه وحققوه :

من دمنة كشفت عنها الصبا سفعاً
كما تنشر بعد الطية الكتب

وقال لبيد بعد قوله : (عفت الديار) الذى معناه كمعنى عنوان اليوت
: The Waste Land

فمدافع الريان عرى رسمها
خلقاً كما ضمن الوحى سلامها

أى كانت مدفونة فعرتها الرياح وعرتها السيول فاظهرتها ، وذلك قوله : ـ

وجلا السيول عن الطلول كأنها
زبر تجد متونها أقلامها

وبعد تعفية الديار ودفن الرياح لها ثم كشفها لها من بعد وتعريتها لرسومها حتى بدت كالنقش القديم على حجارة اثار الأمم الماضية ، بعد هذا يقول لبيد : ـ

رزقت مرابيع النجوم وصابها
ودق الرواعد جودها فرهامها
فعلا فروع الايهقان واطفلت
بالجلهتين ظباؤها ونعامها
والعين ساكنة على اطلائها
عوذا تأجل بالفضاء بهامها
وجلا السيول عن الطلول كأنها
زبر تجد متونها أقلامها

وموضع استشهادنا هو البيت الاول الدال على ان مدافع الريان التى دفنتها الرياح ، وهذا المعنى متضمن معروف ، قد عريت فبدت ملسنة عليها الآثار كالنقوش ، إما عرتها رياح معاكسة للتى دفنتها وإما عرتها السيول .

ورب قائل إن المعانى مشتركة والعواطف الانسانية التى تلابس المعانى متقاربة ، وخواطر البشر كثيراً ما تتفق ، ولذلك قديما ما قيل ، قد يقع الخاطر على الخاطر كما يقع الحافر على الحافر ، ويرد على مثل هذا القائل بان الصياغات والأشكال البيانية والرنات المعبرة المؤثرة هى التى يتفوق بها الشعراء والكتاب والخطباء ويتميزون عن غيرهم ، وهى التى يقع فيها التقليد والأخذ والتوليد والنظر والاغارة والاختلأس . ولقد فطن الى ذلك نقاد العرب القدماء وخصصوا له الابواب فى تصانيفهم . ومما تعمقوا فى الفطنة اليه والتنبيه عليه ان الأخذ يكون فى نوع الصياغة كما يكون فى المعانى . من ذلك مثلا ما ذكروه عن ابى عبادة البحترى انه سال النوبختى عن بيت ابى نواس : ـ

ولم ادر من هم غير ما شـهدت به
بشرقى سـاباط الديار البسابس

وهو اخر ابياته السينية الجميلة التى أولها :

ودار ندامى عطلوها وادلجوا
بها اثر منهم جديد ودارس

اتدرى من اين اخذ أبو نواس قوله ؟ قال النوبختى فقلت لا . قال من قول ابى خراش :

ولم ادر من القى عليه رداءه
ولكنه قد سل عن ماجد محض

قلت له : والمعنى مختلف ؟ قال : اما ترى حذو الكلام واحداً ؟ وأبو خراش من شعراء هذيل

● التشابه والتوافق وتوارد الخواطر في المعاني جائز .. أما الصياغات وأشكال الأداء فأمرها مختلف

والبيت من قطعة يذكر فيها ابو خراش مقتل اخيه عروة ونجاة ابنه خراش ويمدح رجلا القى على خراش رداءه ليجيره حتى نجا ولم يعرف هذا الرجل فهذا مراده من قوله : «ولم ادر من القى عليه رداءه» وفطن البحترى الى ان ابا نواس حذا كلامه على نهج كلام ابى خراش مع اختلاف المعنى والموضوع . وقد كان البحترى ناقداً ثاقب النظر (راجع الذخيرة لابن بسام ، دار الكتب مصر ١٩٣٩ م القسم الأول المجلد الاول ص ٥٩ ـ ٦٠) .

ومن امثلة حذو الكلام على الكلام مع شدة مراعاة الصياغة على تقلب المعانى قول المعرى يصف نار القرى :

حمراء ساطعة الذوائب فى الدجى
ترمى بكل شرارة كطراف

والطراف ضرب من بيوت البادية .

حذا المعرى كلامه على الآية : «إنها ترمى بشرر كالقصر» وقد نبه الى هذا الزمخشرى فى تفسير هذه الآية فى الكشاف .

ومن امثلة الحذو بمراعاة الصياغة مع تباعد المعانى قول المتنبى : ـ

فيا شوق ما ابقى ويا لي من النوى
ويا دمع ما اجرى ويا قلب ما اصبى

وهو فى نسيب قصيدته (فديناك من ربع وان زدتنا كربا) حذاه على منهج ليلى الاخيلية فى رثائها توبة بن الحمير حيث قالت :

فيا توب للهيجا ويا توب للندى
ويا توب للمستنبح المتنور

اهتم ابو الطيب كما ترى بمحاكاة الايقاع . (راجع التماسة عزاء بين الشعراء ص ١٢٢) .

وإنما استطردنا هذا الاستطراد للتنبيه على ان الاخذ لا يقع فى المعانى وحدها وان التشابه والتوافق وتوارد الخواطر فى المعانى جائز ، اما الصياغات واشكال الاداء فامرها مختلف ، ومتى وجدنا تشابها فيها وجب علينا ان نرجح اخذ المتاخر فى الزمان عن المتقدم وان نجزم بذلك متى ما وجدنا ما يدل على الصلات والوسائط التى يكون بها الاخذ . ورب حدس كترجيح وترجيح كجزم . والله تعالى أعلم .

ونحن إذ ذكرنا لبيداً والابيات الاوليات من معلقته نريد التنبيه على حذو إليوت على شكل القصيدة العربية بوجه عام وعلى اول معلقة لبيد بوجه خاص وكذلك حذا على نماذج من معلقة امرىء القيس ـ على انه لا ينبغى ان ننسى غموض إليوت والتواءات اسلوبه ولا شيئيته ذات السطح المتعمق .

سياق معانى لبيد هكذا : ـ

(١) تعفية الديار The Waste Land
(٢) اندفان الرسوم ثم تعريتها حتى وضحت معالمها The Burial of the Dead
(٣) هطول امطار الربيع وما نشا عنها من زيادة التعفية .

April is the cruellest month

جعلنا فى مقابلة سياق لبيد بعض عناوين إليوت وابتداءاته،سياق تاليف إليوت ينتهى بعد عنواينه ، Tre Waste Land
(الأرض المقفرة ، الارض التى عفت ، عفت الديار)

(اى دفن الموتى وقد تقدم كلامنا عنه) . بذكره الربيع وامطاره كالذى صنعه لبيد فى قوله :

رزقت مرابيع النجوم وصابها
ودق الرواعد جودها فرهامها

قال اليوت بعد العنوانين اللذين يشبهان طريقة بدء قدمائنا بعفاء الديار واندفانها (انظر منظومته من السطر ١ ـ الى ـ ٨ ص ٢٧) : ـ

April is the cruellest month breeding
Lilacs out of the dead land, mixing
Memory and desire, stirring
Dull roots with spring rain.
Winter kept us warm, covering
Earth in forgetful snow, feeding
A little 'ife with dried tubers.
Summer suprised us ....

تلفت النظر اول شىء الى لزوم إليوت فى خمسة من اسطاره هذه نظاما ذا شبه بالقافية العربية وهو الصيغة الصرفية (انق) ing .

وقد جاء بسجعة تامة فى (بريدنق ـ breeding

القاف مقاربة للكاف كنطقها فى دارجتنا ودارجة كثير من البلاد العربية) و feeding (فيدنق) وكالتامة فى Stirring (ستيرنق) وفى covering (كفرنق) وترجمة كلام إليوت الذى مر كما يلى على وجه التقريب :

ابريل اقسى الشهور ، منبتا
زهرة ليلى من الارض الميتة ، مازجا
الذكرى بالشهوة ، مثيرا
الجذور الفاترة بمطر الربيع .
كان الشتاء قد حفظنا فى دفء، مغطياً
الارض فى الجليد الناسى ، مطعماً
حياة قليلة بانابيش جافة .
فاجانا الصيف .....

قول إليوت : ابريل اقسى الشهور الخ بعد تعفية الأرض The Waste Land وبعد دفن الموتى The Burial of the Dead يشبه قول لبيد:

رزقت مرابيع النجوم وصابها
ودق الرواعد جودها فرهامها

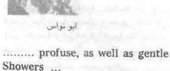
الجود بفتح الجيم وسكون الواو المطر الغزير والرهام بكسر الراء وهاء مفتوحة بعدها الف ثم ميم جمع رهمة بكسر الراء وسكون الهاء ، وميم مفتوحة بعدها علامة التانيث التاء المتحركة وهى الامطار الخفاف اللطيفة .

ترجمة هذا البيت كما ترجمه المستشرق الانجليزى السير وليم جونز :

The rainy constellations of spring have made their hills green and luxuriant: the drops from thunder clouds have drenched them with profuse as well as gentle showers.

مجمل معنى كلام لبيد ان امطار نجوم الربيع هطلت على هذا المكان المقفر فزادته توحيشا لتعفيتها كل اثر ولخلوه من الاحبة ولحلول النعام والبقر الوحشية وما اشبه فيه بعد عهدهم. هذه قساوة لا تخفى .

مع هذا علينا ان نتذكر ان السير وليم جونز جاء في ترجمته بكلمة.. showers ومعناها رش المطر وهموله فى قوله :





أبو نواس



المتنبي



أبو العلاء المعري

برتراند راسل

.... profuse, as well as gentle Showers ...

ليدل بذلك على معنى المطر الغزير (الجود) والامطار الخفاف اللطاف (الرهام) او كما قال لبيد : « ودق الرواعد جودها فرهامها » .

- قول وليم جونز هنا « ... Showers ينبغي ان يوقف عنده لأن هذه الكلمة كثيراً ما ترتبط في الذهن بالقول الانجليزي المعروف الجاري مجرى المثل :

March winds, April showers,
Bring fourth May flowers.

اى رياح مارس وامطار ابريل ،
تخرج بهن ازهار مايو .

(لايخفى أن مارس هو آذار وابريل نيسان ومايو أيار فمن شاء ان يضع ذلك مكان ما وضعناه فله أن يفعل) .

وابريل بحبوبة أشهر الربيع فذكره يدل عليه . واستشهدنا بترجمة وليم جونز لنشير إلى أنه لوصح ان إليوت اطلع عليها فانه يكون بنى قوله « ابريل اقسى الشهور » على كلمة Showers الواردة فيها . وقد سبق التنبيه منا على ان قوله : « ابريل اقسى الشهور » بعد عنوانيه الدالين على العفاء والاندفان شبيه في سياقه بسياق لبيد :

(١) عفت الديار محلها فمقامها ...
(٢) ... جلا السيول عن الطلول ..
(٣) رزقت مرابيع النجوم ...

ولا يقف الأمر عند هذا كما سيجيء من بعد ان شاء الله .

هنا نتساءل : هل اطلع إليوت حقاً على ترجمة السير وليم جونز للمعلقات ؟

أعمال مستشرق قدير

كان السير وليم جونز Sir William Jones من قدماء الاستشراق وجهابذتـــه تعلم في هارو واكسفورد (التي قصدها إليوت وتعلم بها) واتقن اللغات الكلاسيكية (اى اليونانية القديمة واللاتينية) مع الفرنسية ولغات أوربية معاصرة اخرى ودرس العربية والفارسية وكتب ملخصاً في نحوها وبعد درسه القضاء واشتغاله بالقانون عين قاضيا بالمحكمة العليا بفورت وليم (كلكتا) بالهند وتعمق في درس السنسكريتية (لغة الهند القديمة) وكتب رسالة عن الشعر الشرقي باللغة الفرنسية Traité sur la Poésie Orientale طبعت اول مرة بلندن سنة ١٧٧١م واعيد طبعها واعاد كتابتها بلغته الانجليزية ايضا اشاد فيها بمكان الشعر العربي ونبه على موضع معلقة لبيد وامرىء القيس ، واستشهد في ما استشهد بقول ابي تمام :

إن القوافي والمساعي لم تزل
مثل النظام اذا اصـــــاب فريدا
هى جوهر نثر فان ألفتـــــه
بالنظم صـــار قلائدا وعقودا

مترجما للبيتين من دون ذكر نصهما العربي . وله مختارات من أشعار العرب والفرس وأمم الشرق من ضمنها لامية المعري :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل
عفاف وإقدام وحزم ونائل

أعن وخد القلاص كشفت حالا
ومن عنـــد الظـــلام طلبت مالا

أوردها نموذجا لشعر المدح الذى استشهد على اهميته ببيتي أبي تمام المتقدمين . وكان أبو تمام من أوائل من عرفه المستشرقون وطبعت حماسته في المانيا سنة ١٧٤٨ وترجمت باللاتينية وقد تاثر جوتة الشاعر الالماني في ترجمته للامية المنسوبة إلى تابط شرا :

إن بالشعب الذى دون ســـلع
لقتيـــــلا دمــــه ما يطــــل

بترجمة فريتاغ اللاتينية في ما زعمه المستشرق الانجليزى السير شارلس ليال . (انظر ترجمته لها وتعليقه ص ٥٠ من مختاراته للترجمــــة من الشـــــعر العربي القـــديم Translations of Ancient Arabian Poetry تاليف شارلس جيمس ليال Charles James Lyall للوظف ببنغال طبع لندن ١٨٨٥ م) .

وترجمة السير شارلس ليال هذه ذكر هو نفسه انه صنعها متاثرا بترجمة المانية للحماسة .

ترجمة المعلقات السبع

وقد ترجم السير وليم جونز المعلقات السبع ترجمة حـــسنة ناصعة الاسلوب وجعل لكل معلقة مقدمة موجزة وافية تحدث فيها عن الوزن وما يقابله من اوزان الانجليزية وعن طريقة اسلوب الشاعر ومعانيه وتشبيهاته ومجازه وعناصر الوحدة في نظمه واردف ذلك بكتابة بالحرف اللاتيني بحسب النطق لكل مبالغة منه في التقريب . وقد تاثر به واقتدى ليال في كتابه المشار إليه انفا ونيكلسون في ترجمته التى ضمنها تاريخه للادب العربى . ولم يترجم ليال من المعلقات غير اخر لامية امرىء القيس وغير ميمية زهير وكانه اكتفى في هذا المجال بعمل السير وليم جونز لجودته . وترجمة السير وليم جونز للمعلقات في ٤٦ صفحة نشرت وطبعت بلندن سنة ١٧٧٢ م وسنة ١٧٨٣ م ومرات بعد تلك وتوجد من ذلك نسخ في مكتبة المتحف البريطاني رايتها ومن قبل اعتمدت على نسخة صورت لى منها وفى كمبردج نسخة من مجموعة مؤلفات السير وليم جونز صورت لى منها نسخة من رسالته عن الشعر الشرقي المشار اليها انفا ولا ريب في وجود نسخ من مؤلفاته باكسفورد وسوى ذلك من الخزانات الجياد وترجمة السير وليم جونز المستشرق في الجزء الثالث عشر من الموسوعة البريطانية ومكان اسمه في الفهارس عامر بما له من تصانيف ومن أهم تاليفه ترجمته للسكونتالة وهى من مسرحيات اللغة الهندية القديمة وترجح الموسوعة البريطانية (ج ١٣ ص ٢٤٤ طبعة ١٩٤٧ م) أن مؤلفها كالداســـــة Kalidasa من ادباء الهند القديمة عاش في المائة الميلادية الثالثة . وللسير وليم جونز كتاب في الموازنة بين تشريع الملكية الخاصة عند المسلمين وعند الهندوس وغير ذلك مما هو ادخل في حدود فلسفة القانون وعلوم الاجتماع .

صـلة إليوت بالاستشراق

إذا تذكرت أيها القارىء الكريم أن إليوت كان على جوينب من الاستشراق إذ قد درس لغة الهند القديمة سنتين بهارفارد وفلسفة الهند مدى سنة وهو يعد للدكتوراه ، ثم عدل عن ذلك لما وجد فيه من العسر وقد قال إن دراسته هذه ، معترفا بما

اصاب فيها من مشقة ، تركته فى حيرة مستنيرة enlighted myctification (راجع كتاب برغونزى ص ٢٣) ومع ذلك كان يزعم انه كان يتذوق الشعر السنسكريتى وقد ترك فى نفسه اثرا عظيماً . إذا تذكرت هذا واضفت إليه صحبته لازراباوند وتاثره به وكان هذا ذا ولع صادق فيه او كاذب بلغة الصين وادابها . وإذا اضفت ايضا ان إليوت اتصل بجماعة التصويريين (Imagists) - وكانوا يدعون إلى محاكاة اشعار الشرق واساليب اغانى العهد القديم العبرانية ، وزدت على هذا ان إليوت نفسه قد ذكر انه كان قرا فى صباه رباعيات الخيام المترجمة واعجب بها . (احسب ان إليوت نكر ان ذلك كان منه فى زمان الصبا انفة منه ان ينسب إلى الرومانتيكية وهو صاحب كلاسيكية فى زعمه وواقعية جادة ، ونذكر على سبيل الاستطراد فى هذا الصدد مقال برتراند رسل Bertrand Russel فى كتابه History of Western Philosophy تاريخ الفلسفة الغربية طبعة ١٩٧٤ ص ٦٥٤ حيث قال عن الرومانتكيين الالمان انهم كانوا شبابا وفى اوج شبابهم كان اجود تعبيرهم عن الروح الرومانتيكى ، اما الذين لم يسعدهم الحظ منهم بالموت فى الشباب كما قال فقد طاحت فرديتهم إذ طغت عليها فغطتها الكثلكة بما تتطلبه من خضوع وتسليم . فهل كان تراجع إليوت من مذهب أسرته وابائه البيوريتاني - والبيوريتانية طرف من المذهب البروتستانتى - إلى محافظة الكثلكة الانجليزية من دافع رومانتكى ياترى ؟) - هذا وإذا تذكرت مع ما تقدم ان إليوت اديب مثقف ناقد قارىء وذو دعوى فى ذلك طويلة عريضة ، الا ترجح معى حينئذ الا يكون قد خفي عنه مكان السير وليم جونز المستشرق فى معرفته باللغات الشرقية والصينية والسنسكريتية وادابها وفلسفة الهند القديمة مما زعم انه اثر فيه وإن يك قد وجد فيه عسرا وانصرف عن مواصلة درسه متحيرا مستنيراً كما زعم ، ولعل السكونتالة مع ترجمة فيلم جونز كانت من مقرر الدرس . وقد كانت رسالته الفرنسية واختها الانجليزية عن الشعر الشرقى معروفتين عند المستشرقين وقد ذكرنا انه نبه على المعلقات وعلى إمرىء القيس ولبيد وقد دافع عن شعر العرب وقطع بان الافرنج الأوائل إنما اخذوا القوافى عن عرب الأندلس .

لضف الى هذا ان اليوت كان معجبا بالبريطانيين وإمبراطوريتهم معتزاً بذلك ، وقد ترك بلاده التى كانت تعد من بلاد الرمز إلى الحرية لثورتها على الاستعمار فى سنة ١٧٨١م ولاعلانها حقوق الانسان ، وتجنس بالجنسية البريطانية وببريطانية اقام والى كنيستها

● من هو الذي فطن إلى أن إليوت أخذ من الأدب العربي القديم ؟!

الانجلوكثلوكية انتهى .

الشيء بالشيء يذكر

ونذكر من باب الاستطراد ان اليوت كان شديد الاعجاب بالشاعر المعاصر لزمان شكسبير جون دون John Donne

وكان غامض العبارة كثير الاشارة ملتوى عقد الاسلوب واسع الاطلاع عالما بالكوميدية الالهية لدانتى فى نصها الاصيل من اسرة متطرفة فى الكثلكة نشا كاثوليكيا ثم تحول الى كنيسة انجلترا الانجلوكاثوليكية واخلص فى خدمة الملك واتهمه بعض نقاده بانه كان فى نفسه منطويا على شعور بالخيانة لعقيدته وتراث اسرته فتلك جر عليه كثيرا مما اخذ به من عقد الاسلوب . وحمد النقاد لجون دون انه قارب برنة نغمه الشعرى ونبرات الكلام الذى يدور فى حديث الناس - هذا الشيء بالشيء يذكر فتامل .

ونعود الى ما كنا فيه فنقول لابد أن يكون اليوت قد اطلع على مؤلفات السير وليم جونز فى شعراء فارس والصين والهند وضروب تصانيفه فى هذا الباب الشرقى الفضى الذى كان فيه من اعمدة استاذيه شارلس لامان وجيمز وود (Charles Lammans and James Wood) استاذى السنسكريتيه والفلسفة الهندية بهارفارد بلا ريب . وهل تظن ايها القارىء الكريم انه إذا دعا واجب الدرس إليوت الطالب المعد للدكتوراه ان يتحير ويستنير بشعر السنسكريتيه - وهو امر اقر بمعرفته وادعى تذوقه وسكونتالة جزء منه ومعرفة ترجمتها متممة لتذوقه - هل تظن انه اذا اطلع على ذلك وعلى ما ترجم من أدب الفرس وكان اليه مائلا ولوليم جونز فيه من العمل ما قد قدمنا ذكره مع اختياراته من شعراء الشرق ومن بينهم حافظ الشيرازى ... هل تظن انه اذا فعل ذلك سيتجاهل كتاب وليم جونز الخفيف اللطيف الوافى الذى ترجم فيه المعلقات ؟ هذا مع العلم بان السير وليم جونز قد نبه فى رسالتيه الفرنسية والانجليزية عن مكان شعر المعلقات الرفيع ؟

المستشرقون قبيلة فكرية

إن مكتبات الاقسام الشرقية فى جامعات اوروبا كثيرا ماتكون فى موضع واحد ، وكثيرا ماتقع بين طلبة لغات الشرق الذين يختلفون اليها ضروب من التعارف وتبادل الاراء ، ويكونون اشبه بقبيلة فكرية واحدة ، فيشتاق من يقرا الهندية مثلا ان يقرا لمستشرق مشهور كتب فى اداب الفارسية او التركية أو العربية مثلا او كتب فى باب من ابواب الادب المحض ذى الطابع الشرقى القوى كالسير شارلس دواتى Sir Charles Doughty فى كتابة Arabia Desert (اى الصحراء العربية) ورديارد كبلنج Rudyard Kipling فى قصته (كم) Kim وغيرها واشعارها وكان اليوت به معجبا وقد عاصره ولعله لقيه وكان يقال له شاعر الامبراطورية الكبير ووصفه إليوت بانه كان من كتاب التراتيل الدينية العظام فيما ذكره روبسون (ص ١٧) a great human writer . وكان للمدرسة الهندية البريطانية فى المكتبة الشرقية مكان مرموق وقد قدمنا ذكر السير وليم جونز وكان فيها بمنزلة المؤسس وممن كان ينتمى اليها من كبار المستشرقين السير شارلس ليال صاحب ترجمة المختارات التى مر ذكرها ومن بينها شيء من المعلقات (زهير وامرىء القيس) وصاحب ترجمة المفضليات والشرح والتعليق الوافى (اكسفورد ١٩١٨) وراجع للمزيد فى هذا الصدد تاريخ كمبردج الصغير للأدب الانجليزى الذى مر ذكره فى الفصل الذى جعله للأدب الهندى الانجليزى من ص ٧٣٤ إلى ص ٧٤٤ . وقد نشر مكانتني على زمان اليوت شعر ذى الرمة ولعله لقيه وقد ترجمت بائية ذى الرمة من قبل . وقد ترجمت المعلقات بالفرنسية وبانت سعاد وترجم بالالمانية شعر عربى كثير وكان اليوت بالفرنسية والالمانية وغيرها عالما وقد درس بالمانيا كما درس بباريس .

إذا صح ما قدمناه من تعارف أسرة من يعرفون اللغات الشرقية وتقارب اسباب قبيلتهم فكيف يكون الامر إذ كان احد هؤلاء اديبا شاعراً طموحا موسوعياً ذا مقدرة ودهاء مثل إليوت واصاب ضالة نادرة فى موسوعى نادر مثل وليم جونز الذى لما وصل الى الهند كان مستشرقا ناضجا وزاد فيها نضجا وفتح الطريق لمن بعده ؟

على ان الاستشراق فى زمان إليوت فى هذا القرن الميلادى العشرين إلى قريب من اوساطه قد صارت تغلب عليه سمة التخصص مكان الموسوعية فاذا اخذ اليوت مثلا من الأدب العربى وهو غير معروف بانه درس لغة العرب وادابها ولكن معروف بان درسه إنما كان للغة الهند

القديمة ، فمن سيفطن الى انه اخذ من الأدب العربي القديم ثم يتهمه بناء على ذلك بالسرقة من ادب العرب ؟

بعيد جدا ان يتنبه احد الى السير وليم جونز صاحب ترجمة السكونتالة او الشاكونتالة Shakuntala (تاريخ كمبردج ٧٣٥) والمختارات من اشعار فارس والهند والصين هو ايضا قد كان طريقا سريا خفيا سلكه إليوت الى النظر او الأخذ او الاختلاس او السرقة من اسلوب المعلقات وشكل صياغتها ومعانيها وكتمان ذلك وإخفائه كل الاخفاء وحذفه كل الحذف ، كما قد حذف كلمة (العربية Arabian) واشارته الى وليم وردزورث وكلمة (جزيرة العرب Arabia) واشارته الى والتردي لامير . نعود بعد هذه الفذلكة الى ما كنا فيه من تتبع اسطار منظومة إليوت .

ليلاك او ليلك

اول ما ذكره إليوت من شواهد قساوة ابريل لنباته زهرة ليلى وهى التى يقال لها في الانجليزية (ليلاك lilac) ونقل برغونزي (ص ٥) ان الليلاك كان كثيرا فى سياجات هارفارد النباتية كانه يشرح بذلك وروده في شعره . وذكر إليوت هذه الزهرة الشرقية الاسلامية المعدن فى سياقه الذى يقرنها فيه بالذكرى والجنس عجب : (راجع قوله :

........., breeding
Lilacs out of the dead land, mixing
Memory and desire, ...

والترجمة : منبتا
زهرة ليلى من الارض الميتة ، مازجا
الذكرى بالشهوه)

إذ قد كان اشبه باساليب لغته وحضارته لو قد ذكر الورد وكان من ضروب نواوير اوروبا وبريطانية وامريكا ــ ام ليت شعرى هل فر من رومانتكية الورد وما بمجراه ؟

فى معجم اكسفورد فى تخريج كلمة (ليلاك Lilac) ان اصلها من (ليلك) العربية ولا وجود لهذا اللفظ (ليلاك او ليلك) فى العربية إسما لهذه الزهرة ، واصل هذا التخريج من المستشرق ر . دوزى R. Dozy (راجع المجلد الثانى ص ٥٦٢ من معجمه طبعة باريس ولندن ١٩٧٣ ــ واسم المعجم يدل على انه تكملة وملحق للمعاجم العربية : (Supplement aux Dictionaires Arabes)

ظن دوزي ان النيلج بكسر النون هو الليلاك lilac مع انه كان يعلم ان النيلج هو النيلة الزرقاء . وذكر الفيروزابادي (النيل) بلا تاء فى



دانتي

حافظ الشيرازي

اخرها فى مادة (وسم) فى تفسير لفظ الوسمة بفتح الواو وكسر السين او سكونها وبعدها ميم مفتوحة فهاء التانيث قال الفيروزابادى : « ورق النيل او نبات يخضب بورقه » واحسب ان الشك جاء الفيروزابادي من ان لفظ العظلم الوارد فى شعر عنترة يستخرج منه صبغ اسود او النيلة وقيل هو صبغ احمر وبيت عنترة هو قوله فى معلقته :

عهدي به مد النهار كانما
صبغ البنان وراسه بالعظلم

وذكر الفيروزابادي (النيلج) بكسر النون فى مادة (نلنه) وذكر طريقة استخراج (النيلج) بمعنى (النيلة) من العظلم . جاء هنا بالنيلة مقرونة بالتاء المتحركة علامة التانيث وفى شرحه لكلمة (الوسمة) ذكر النيل مثل اسم نهر النيل بلا تاء التانيث ، وكلمة (النيلج) بكسر النون غير عربية الاصل ولكن معربة مثل فالوذج لوزينج وعلم جرا ومعنى النيلج كما تقدم النبات الذى تستخرج منه النيلة الزرقاء .

واضطرب شراح بيت عنترة واكتفى السير وليم جونز برسم لفظ العظلم نفسه بالحرف اللاتيني من دون ترجمة له ، هكذا (Idhlim) والراجح عندى ان عنترة اراد الزرقة لا الحمرة يكنى بذلك عن الموت وذهاب حمرة دم الحياة . وقد نقل عن الازهرى انه اختضب بالعظلم يسود به شعره فهذا يقوى ما ذكره الفيروزابادي وعليه تفسير التبريزي فى شرحه ان العظلم هو الوسمة ولم يزد على ذلك . عنى عنترة ان عهده به ، وقد قتله ، وقد صار لون راسه كله ، والوجه من الراس ، ولون اصابعه ازرق هامدا بعد ان كان كل ذلك مشرقا ناضرا بالحياة . ولا يخلو عنترة فى قوله هذا من بعض التعريض الساخر المر ، كان يقال مثلا : « صار المسكين اسود مثلى انا العبد بعد ان كان حرا ابيض » : قال تعالى : « ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » . والله تعالى اعلم .

ليس (النيلج) بكسر النون هو الليلاك lilac

الليلاك شيء غير النيلج . الليلك lilac هو زهرة ليلى الفارسية وقد يقال له فى عربية اليوم زهر البنفسج وليس كله بنفسجيا ولكن منه ذو اللون البنفسجي وذو اللون الابيض . وفى معجم اكسفورد ومعجم وبستر ان الشبه المتوهم بين اللون الأزرق واللون البنفسجي هو مما جعل اسم « ليلاك lilac » يطلق على الزهرة المسماة باسمه اشتقاقا من كلمة (النلج الدالة على اللون الازرق وهذا اصله من دوزي وهو بعيد وليس بشيء . وفى معجم لاروس الفرنسي ان اصل « الليلاك » من بلاد الشرق الاوسط وانه يزرع من اجل نواويره البيض والبنفسجيات وذكر لاروس انه من اسرة Oléacées (اوليايسيه) التى منها الياسمين والزيتون .

ويظهر ان هذه الكلمة الفرنسية Oléacées (اوليايسيه) نفسها قد حرفت من الفارسية (جل ياس) تنطقها كالجيم المصرية بين الكاف والقاف وتكتب بالكاف المعقودة (كل ياس) .

و (جل ياس) اصلها من (جل ليلى) او (كل ليلى) اى وردة ليلى او زهرة ليلى ثم شبهوها بالياسمين فقالوا (جل ياس) او (كل ياس) . ونبئت ان (جل) بالجيم التى كالكاف معناها بالفارسية الورد وهى اصل الجل بفتح الجيم وضمها الواردة في شعر الاعشى :

وشاهدنا الجل والياسمو
ن والمسمعات بقصابها

قال الفيروزابادى : (وبالضم ويفتح الياسمين والورد ابيضه واحمره واصفره) ومن (جل ياس) اخذت كلمة Oléacées الفرنسية ومنها اخذت الكلمة الدالة على هذا الزهر فى الفرنسية الآن وهى : ليلا بكسر اللام بعدها ياء فلام الف (lilas) ــ راجع لاروس الكبير طبعة ١٩٧٥ م المجلد ٤ ص ٣٠٥٣ والمجلد ٥ ص ٣٧٦٠ . وراجع ايضا المعجم الفارسي المتوسط لمحمد معين طبعة طهران ١٩٧٥ ص 5243 فى المجلد الرابع وقد اطلعت عليه واستعنت بمن يعرف الفارسية ومنه افدت ما تقدم وذكر كلمة (ليلك) وهى ذات مدلول مختلف فى المجلد ٣ فى ص ٣٦٧٠ . وقد ذكر لين Lane فى معجمه العربي الانجليزي ان الجل من اصل فارسي واصاب (طبعة بيروت المصورة ١٩٨٠ م ٢ ص ٤٣٧) والعجب لبادجر Badger فى معجمه العربي الانجليزي تصوير بيروت ١٩٨٠ م ص ٥٧٦) إذ ترجم : (ليلاك lilac) بـ(لعلى) وهى لفظ لا وجود لـــه .

الجزء الثالث والأخير في العدد القادم

بدأ الاهتمام بتعليم الفتاة وتربيتها منذ ان قام رفاعة الطهطاوى بتاليف كتابه « المرشد الأمين للبنات والبنين » ، ثم تطورت قضية المراة العربية منذ الف قاسم امين كتابيه : « تحرير المراة » و « المراة الجديدة »
وقد اختلف المفكرون من قضية تحرير المراة ، فقالوا عنها ما قالوا ، وذهبوا فيها مذاهب ، وكان الممانعون فى تحريرها وتعليمها اكثر بكثير من المؤيدين لها . وقد دخل الشعراء ميدان المعركة مؤيدين ومعارضين فالهبوا ضرامها ..



بقلم : صبري أحمد نصره

ساند الشعراء فكرة تعليم المراة وتربيتها حتى تتمكن من تادية رسالتها على الوجه الأكمل لأن المراة هى الأم التى تغرس النبتة الأولى من التربية فى نفوس النشء ، وتضع الحجر الأساسي فى بناء اخلاقه ، وإذا كان نور المعرفة لم يشع على عقلية الأم ، فكيف يتيسر لها ان تمثل دورها على صورة نافعة ، ومن اين تغترف هذه الثقافة التى تحتم عليها رسالتها بان تبثها فى الطفل .

يقول الشاعر العراقي معروف الرصافي :

هل يعلم الشرقي أن حياته
تعلو إذا ربى البنات وهذبا ؟
وقضى لها بالحق دون تحكم
فيها وعلمها العلوم وأدبا ؟

ويقول شاعر العراق الكبير جميل الزهاوي :

إنما المراة والمرء
سواء فى الجداره
علموا المراة فالمراة
عنوان الحضاره

ويقول حافظ ابراهيم :

من لي بتربية النساء فانها
فى الشرق علة ذلك الاخفاق ؟
الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق ؟

ويقول خليل مطران :

هذب بنات الشعب إن شئت ان
تبلغه اقصى المنى من امم
إن لم تكن ام فلا امة
وإنما بالامهات الأمم

إن اغلب الشعراء قد ايدوا تعليم الفتاة من اجل ان تكون اما صالحة فقط ، ودون ان تشارك فى الأعباء الاجتماعية ، والحياة السياسية يقول العقاد :

« والواجب ان نعني اولا بتعليمها ما تنشا به امراة قادرة على النهوض بنصف اعباء الهيئة الاجتماعية » .

الحجاب والسفور

وقف الشعراء إزاء الحجاب والسفور فريقين : فريق يؤيد الحجاب ، وفريق يؤيد السفور ، فاما الفريق الاول فهو يرى أن سفور المراة مخالف للدين والتقاليد ، واعتبروا هذا نذيراً من نذر الشر . وأما الفريق الثاني فهو يتحمس لهذا السفور ويعده دعامة قوية من دعامات التقدم .

يؤيد شوقى السفور قائلا :

قل للرجال طغى الأسير
طير الحجال متى يطير ؟
اوهى جناحيه الحديد
وحز ساقيه الحرير
ذهب الحجاب بصبره
واطال حيرته السفور

ثم يقول شوقي إن حرية المراة كحرية الرجل على حد سواء :

حرية خلق الاناث
لها كما خلق الذكور

وكان الشاعر العراقى جميل الزهاوى من أجهر الشعراء صوتا بالدعوة الى تحرير المراة . فقد قال فى ذلك :

مزقي يا ابنة العراق الحجابا
واسفرى فالحياة تبغى إنقلابا
مزقيه واحرقيه بلا ريث
فقد كان حارسا كذابا

ومن المعارضين للسفور : الشاعر محمد بن عبد المطلب ، فهو القائل :


حافظ ابراهيم — هدى شعراوى

معروف الرصافي



خليل مطران

عباس العقاد

ما هذه الحبرات تهفو
في الخمائل والحقول ؟
نكر العفاف ذيولها
ومن الخنا قصر الذيول
اودى شفيف نقابها
بكرامة الام البتول
وانجاب جيب قميصها
عن وصمة الشيخ البجيل
وعلا رنين حجولها
اسفا على الذيل الطويل
فاذا مشت هتك النقاب
محاسن الوجه الجميل

أما حافظ ابراهيم فكان ذا موقف معتدل في الحجاب والسفور ، فهو القائل :

انا لا اقول دعوا النساء سوافرا
بين الرجال يجلن في الاسواق
يفعلن افعال الرجال لواهيا
عن واجبات نواعس الاحداق
كلا ، ولا ادعوكم ان تسرفوا
في الحجب والتضييق والارهاق
ليست نساؤكم حلى وجواهرا
خوف الضياع تصان في الاحقاق
فتوسطوا في الحالتين وانصفوا
فالشر في التقييد والاطلاق

لم تكن حرية المراة في مجموعها إيجابية ، بل كانت لها سلبيات ، وهذه السلبيات لم تكن من صنع دعاة حرية المراة ، بل ممن اخطان فهم هذه الحرية ...

الايجابيات

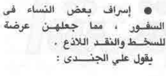
● اصبحت الحركة النسوية قوة وطنية يعتد بها وعاملا قويا من عوامل النهضة الوطنية ، فقد خرجت اول مظاهرة نسوية في مصر عام ١٩١٩م للاشتراك في الثورة القائمة انذاك ، وعن هذه المظاهرة يقول حافظ ابراهيم :

خرج الغواني يحتججن
ورحت ارقب جمعهنه
فاذا بهن اتخذن من
سواد الثياب شعارهنه
فطلعن مثل كواكب
يسطعن في وسط الدجنه

● أسست السيدة هدى شعراوي زعيمة الحركة النسائية في الشرق العربي جمعية الاتحاد النسائي ، وأصبح هذا الاتحاد يمثل في المؤتمرات النسائية التي تعقد في أوربا ، كما انشات هدى شعراوي مجلة نسائية بالعربية والفرنسية لتعريف الشرق والغرب بنساء العرب .

وفي صيف عام ١٩٣٣م احتفل نادى الاتحاد النسائي بتخرج اول فوج من فتيات جامعة القاهرة ، وكن خمس فتيات ، ودعي الشاعر خليل مطران ، فالقى قصيدة قال فيها :

انصفت يا (نور الهدى) ولحكمة
اذكيت شعلة عزمك المتوقد
نعم المثال مثالك الاعلى لمن
بك في الرياسة والكياسة يقتدى



ومن الآثار السلبية

● إسراف بعض النساء في السفور ، مما جعلهن عرضة للسخط والنقد اللاذع .
يقول علي الجندي :

قلت ياحسناء هذا الـ
حسن بالستر قمين
بات نهبا مستباحا
لعيون الناظرين
كان قبل اليوم في حصن
من الصون حصين

● استرجال بعض السيدات مثل إدمانهن التدخين . يقول على الجندى في قصيدة له تحت عنوان (الحسان المدخنات) :

قل للغواني عن نصيح
ضاق ذرعا بالغواني
: تلك الشفاه الحائمات
على سلافتها الأماني
النافحات إذا انفرجن
بعطر أزهار الجنان
الرامزات الى المحبة
والبراءة والحنان
في ورقه الورد النضير
وفي احمرار الأرجوان
تغني مراشفها ربيب
الكاس عن « بنت الدنان »
هانت ، وهان بها « لمى »
ما كان أهلا للهوان
عبث «الدخان» بحسنها
والحسن أولى بالصيان

● ● ●

وهكذا الشاعر منذ القدم نجده وثيق الصلة بالحياة ، ومسايرا للوعي القومي ، حافزا له ، معبرا عنه . مؤثرا فيه ومتاثرا به .

• قصـــــــة •



اشتياق

بقلم : فؤاد قنديل

عندما تنادى حفيدها الصغير :

ـ يا شمير .. يا ولد يا شمير .

يغرق اخوته فى بحر هادر من الضحك .. يتبعثرون فى كل اتجاه ، اجمل ما فى الدنيا ان يسمعوا جدتهم تنادى اخاهم الصغير . بفمها القطنى الفارغ ككيس نقود قديم شدوا خيطه .

العجوز وحدها فى الدار .. تبتسم فى أسى .. تتكىء على سنيها السبعين .. تتأمل خيمة الصمت تنسدل على الجدران .. تشمل الكون كله .

الكآبة وغياب الانفاس تنسج خيوط البرد .. تنهال اكوام الثلج على كل ركن .. فى جو الوحدة والشيخوخة تنبت أعشاب الغربة والوحشة .. لا يرغب فيك احد .. تلقى على قارعة طريق .. من يسأل عنك .. هذا زمن الفرد المتعجل يستهدف نفسه .

لم يبق من أهلها غير ابنتها وزوج ابنتها القاضى وأولادهما .. يسكنون الدور الثامن بعمارة فى نهاية نفس الشارع العملاق .. بينهما نصف ميل .

وحدها تعيش .. بلا انيس إلا قطة ضامرة مثلها تماما .. الوحدة والشيخوخة شيبا صباها .

منذ هذا الصباح وقلبها ياكلها عليهم لهفا .. لكنها لن تترك بيتها الذى ضم زوجها حلماً جميلا ملونا ، مازال يشع حتى الآن دفئاً تؤججه الذكريات .. انفاسه فيه .. شريك الأيام الصعبة .. لا تنسينا الأيام رفيق الغربة .. زميل الدرب المجهول .

زوج ابنتها قاض مجرب .. يقول .. صدقت كلماته :

ـ حتى لو ضحكت فى الوجه الأيام .. وتبسم للانسان وجه الزمان العابس وتغطينا بالمال والجاه .. لا يمكن أن ننسى زميلا فى ثلاثة .. الجيش والسجن والغربة .. والغربة ما اقساها لو كانت داخل وطنك .

احفادى .. انفاس جدكم فى بيتى .. لا اتركه .

صورته مرسومة على كل جدار .. هذه نظراته ترقبنى .. ترشدنى .. تسألنى .. يده تسندنى حين أهم بنقل الخطوات .. أسمع صوته وأرد عليه .. هل يملك لسانى الا يرد عليه ومن قبله قلبى .. لم يغيبه التراب ، فالتراب لا يخفى الأحباب .. لم يخفه القبر .. ولم تبعده السنون الخمسة .

الح عليها زوج ابنتها القاضى كى تسكن معهم :

ـ رائحة المرحوم .

ـ وكيف نطمئن عليك ؟

ـ تعالوا .

ـ القضايا بالليل والنهار .

ـ أدرسها عندى .

ـ مرتبط بالمراجع والكتب .. وكلها فى منزلى .

ـ دع ابنتى تزورنى والأولاد .

ـ مرتبطة بى .

ـ تمنع ابنتى عنى إذن .. تحرمنى منها .

ـ لا أقصد .. لكنها لازمة لتحضير ملفاتى ومذكراتى وترتيب المكتب ومطالب الأولاد .

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أرى أنك تقبلين يا امى لنفسك الارتباط بزوجك الميت . ولا تقبلين لابنتك الارتباط بزوجها الحى .. والحى كما تعلمين ..

ـ أبقى من الميت .. أليس كذلك ؟

على نفسها تحاملت العجوز ونهضت .. الح زوج ابنتها عليها بالبقاء .. قدم الأسف وأبدى الاعتذار واللاقصد .. تركتها ابنتها تخرج . تعرف أن اصرار أمها اقوى من الحديد . وعنادها بلا حدود .. واذا مسها تيار الغضب فلن تفلت من قبضته .

بعد يومين زارها القاضى والأولاد .. ومعهم كل ما يلزم لاقامة يوم جمعة كاملة فى شمس دارها .. التى لا تعرف دارهم .

مر أسبوع .. أسبوعان ولا خبر .. لعل المانع خيراً .. اليوم هو الجمعة منذ الصباح وقلبها ياكلها عليهم .. لو كان فى نيتهم الحضور .. لحضروا منذ الصباح .. الوقت الآن بعد العصر .

لا تستطيع الجدة العجوز مقاومة الرغبة الجياشة فى رؤيتهم .. لحظتها تحس بالانتعاش ، تحس بدم الصبا يجرى فى عروقها المتهرئة .

هل تذهب لتأخذ احفادها فى احضانها ؟ .. لا .. هل تترك المرحوم ؟ .. لا .. ما العمل ؟ .. يا لها من حيرة ؟ .. الأفضل ان تذهب .. الألم ينخر فى ركبتيها كالنمل .. يمتص رحيق العافية .. أين العافية ؟ يا للـه حسن الختام .

تنهدت .. نهضت .. يداها فوق ركبتيها .. هربت الحياة من عظامها .. كل شىء غارق فى بهمة السكون إلا زحف المداس .

مرت على حاجياتها فى البيت .. طبق مكشوف تغطيه .. بالذات الملح لأنه يحوى الأبراص ، لكن اللبن ستتركه مكشوفا .. لتلعقه القطة .. ستبيت غالبا عند ابنتها .. قلبها ياكلها عليهم منذ الصباح .. تلفتت الى الجدران الذاهلة فى غباء .. عن اذنكم يا أهل البيت سأعود فى الصباح .

اقفلت الشقة فى أناة .. استدار جسدها المقوس فى حركة آلية واهنة .. نزلت السلم واحدة واحدة .. طفل صغير .. يعود الانسان كما كان .. تاتا .. يداها

على السور ، درجة اخرى وتقف .. هبطت الادوار الثلاثة حتى الباب الخارجى .. الباب يبدو من الداخل ثغرة كبيرة فى كهف يفضى الى نور الشارع .. تقطعت انفاسها .

الشارع عملاق مهيب . الحركة فيه كيوم النشور .. سيارات تتسابق كانها تهرب من النار .. الناس يتدافعون بلا وعى .. ينطلقون كالآلات بلا بصيرة .. عربة بلا قائد .. ابواق تتعالى تصم الآذان .. التراب والدخان .. الشخص يقابل اخاه لا يعرفه .. عيناه فى عينه .. ولا يعرفه .

خطواتها وجلة . وقبل ان تنقلها . تنظر الى اليمين ثم تنظر الى اليسار .. الشارع فى المدينة الكبيرة غول يأكل الأطفال والعجائز .

ترتعد عند كل بوق . رمح يشق الجسد الهش . يهتز هزة الموت . تستعيذ بالله .. وصلت عند كشك فى منتصف الطريق تقريبا .. استدارت تنظر الى بيتها كانها ستفارقه .. كانهم سيخطفونه إذا واصلت طريقها .. بدا زوجها يلوح لها .. حسبت المسافة الباقية على العمارة الحمراء العالية .. هانت .

هذا الشارع كان ايام شبابها خاليا من المارة او يكاد .. والحركة فيه ضئيلة .. سيارتان أو ثلاثة .. تسير فيه معصوب العينين .. فلا تخاف ، تمشى ذاهلا عن احوالك ولا يهمك .. تحمل اكياسا وصناديق تحجب عنك الرؤية .. لاباس تمشى وامامك أولادك يجرون كقطيع الغنم .. لا خوف عليهم .. اما الآن فانت لا تامن على نفسك وانت فى قمة شبابك وفى منتهى القوة والنشاط .

بلغت العجوز باب العمارة .. ابلغها البواب ان الكهرباء مقطوعة .. يا نهار ابيض ! وكيف ستصعد الى الثامن ؟ .. جلست على مضض تنتظر .. كلها آذان صاغية لعودة الكهرباء .. الاولاد يقفزون فى قلبها .. ستصعد السلم ولا تنتظر .. يا أم العواجز .. درجة سلم وتقف .. درجة وتقف .. درجة اخرى وتقف ..

يدها على الجدار .. شهيق الأنفاس وزفيرها آخذ يعلو بصدرها ويهبط فى عجلة كذراع قطار قديم ..

العرق ينبت على جبهتها وتحت انفها كحبات من السكر .. الله يسامحك يا هيئة الكهرباء .. الله يسامحكم يا اولادى .. تضطروننى للمجىء وصعود هذه السلالم ..

فى كل دور ترتاح .. ترقع الأنفاس المقطوعة .

بلغت شقتهم .. ضربت الجرس وجلست منهارة على الأرض تنتظر .. لم تسمع له صوتا ولم يفتحوا .. دقته بالمداس .. لا مجيب .. يا خبر ابيض .. دقته .. دقته .. الشقة مهجورة .. سترجع هذا كله .. انتظرت وانتظرت ثم هبطت الدرجات من جديد .

سألت البواب . فأكد لها انهم فوق .. انهم فى الشقة المقابلة يحتفلون بعيد ميلاد ابن جارهم الطبيب .

اغرورقت عيناها بالدمع .. عيد ميلاد الصغير .. وانا أعانى من الوحشة .. تمسك الوحدة بخناقى ليل نهار .

استدارت لتغادر المنزل .. قفزت فى صدر البواب مشاعر الانسان .. رجاها أن تبقى حتى يدعوهم اليها .. جلست على اريكته تلتقط الباقى من انفاسها .. صعد البواب الطيب ثمانية ادوار .. ابلغ القاضى بحضور أم زوجته .

هبطوا جميعا اليها فى عجلة ولهفة .. وجدوها تتجه خارج العمارة .

ــ امنا .. امنا .. حمدا لله على سلامتك .

نظرت اليهم بعيون عاتبة .. قالت :

ــ الحى أبقى من الميت .. أليس كذلك ؟

تهدل جسدها وانهار .. حملوها الى شقتهم .. ودموعهم تتساقط على وجهها فتطفىء نارها .

فؤاد قنديل

طلعت حسن جاد الله



آداب التحية

ان اداب التحية وقواعد السلوك تختلف في بعض البلاد عنها في البلاد الاخرى .

لنذكر مثلا الصينيين ، فانهم عندما يرغبون في تبادل التحية يشدون على الأيدى .. ولكن على أيديهم هم بدلا من الشد على يد الصديق .. وهم في ذلك يقولون ان طريقتهم هذه اكثر ملاءمة للصحة وأكثر رزانة من طريقتنا نحن ، ذلك لانها تتجنب ملامسة أيدى الغير التي قد لا تكون نظيفة بدرجة كافية ، او يتصادف ان تكون حاملة للجراثيم ، او قد تكون غزيرة العرق ، او شديدة العنف ..

من عادة الغربيين أن يرفعوا قبعاتهم عند التحية . وترجع هذه العادة إلى عهد فرسان العصور الوسطى . فقد كان اولئك الفرسان عندما ينتقلون يرتدون حلة من المعدن تغطى كل أجزاء الجسم ، إذ كان العصر يفتقر إلى الثقة .. وعندما يتقابل فارسان كانت ثمة مشكلة في أن يتعرف أحدهما على الآخر ، وقد تدرع كل منهما بحلة معدنية تغطيه من قمة راسه إلى أخمص قدميه .. وكثيرا ما كان يحدث أن يتصايح الفارسان بصوت مرح فيقول أحدهما : « سلام عليك يا برتراند !! »

ويجيبه الآخر من خلف قناعه المعدنى بصوت يغلب عليه الضيق والتوجس .. ولذلك فقد اتفق الفرسان على أنه في حالة تلاقيهم يرفع كل منهم غطاء رأسه الحديدى .. وحتى من كان منهم شديد الريبة ، كان عليه أن يرفع الجزء المتحرك الذى يغطى الوجه .

ومـــرت قرون واختفت الخـــوذات والدروع ، ولكن الرجال الذين لبسوا القبعة حافظوا على عادة كشف الرأس . أما العسكريون فيكتفون بلمس حـــافة « الكاب » الامامية ، ولعل طبيعتهم المحاربة تجعلهم يحترسون من تعرية الرأس ! وبالمثل فان عادة مد اليد للمصافحة لها جذور واضحة : فان اليد الممـــدودة وهى مفتوحة ، كانت تعنى أن صاحبها ليس مسلحا ، وأن نواياه وديـــة .

ومما لاشك فيه أن طريقة التحية التى لدى سكان ساحل الذهب « الاسم القديم لغانا » لها أصول مشابهة ، فهم عندما يتلاقون يسقطون طرف قميصهم لتعرية الكتف . وفى البلاد التى لا تزال تستخدم السهام والحراب ، فان مثل هذا الأسلوب فى التحية ، يدل حقيقة على الثقة المتبادلة بين الشخصين المتلاقيين !

وفى إحدى القبائل الافريقية ، ثمة عادة أكثر طرافة ، فان المحـــارب إذا ما شاهد صبيا لأول مرة فانه يبصق عليه وتلك هى طريقته فى إظهار تقديره للصبى الذى يشعر عند ذلك بالسرور ، لأن هذا التصرف ممن هو « أكبر منه » ، يعتبر فى نظره مفخرة له ، ومعناه انه أصبح صبيا شجاعا وجميلا .



عبارات الـــوداع

ولا يقل عما ذكرنا تنوع الأساليب او التقاليد فيما يختص بعبارات الوداع . فاذا كنت فى بلاد التبت وكان لديك ضيف على وشك الانصراف ، وجب عليك أن تخرج له لسانك ... لتبين له انك قد نعمت كثيرا بتذوق افعاله ، والمقصود بذلك لطف حديثه .

أما فى غينيا الجديدة ، فهم أكثر تبسطا : فعندما يشرع زائر فى مغادرة القرية ، فان أهلها يأخذون فى النواح ، ويلطخون أجسامهم بالطين ، تعبيراً له عن حزنهم لفراقه .

ليس من المحتمل كثيرا أن تتاح لنا فرصة للقاء أحد سكان ساحل الذهب ، أو أن ننزل ضيوفا على أسرة من بلاد التبت ولذا فلن نواجه خطر ارتكاب حماقات نندم عليها ، بسبب جهلنا لتقاليدهم .

فنــــــون من التــــأويــــل

من بين صفحات تراثنا العربى سطور تمتلىء بالتعبير البليغ ، والصــــورة البيانية المشرقة ، نحتاج فى تذوقها واستيعابها إلى امعان نظر ، وفهم ثاقب لحقيقة الكلمة العربية ، بايحاءاتهــــا الفنيــــة .

يروون عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب انه لقى حذيفة بن اليمان فقال له عمر :

كيف اصبحت يا حذيفة ؟

قال : اصبحت احب الفتنة ، واكره الحق ، واصلى بغير وضوء ، ولى فى الارض ما ليس لله فى السماء . فغضب عمر غضبا شديداً ، ودخل عليه على بن ابى طالب وهو غاضب ، فقال له :

ـ يا امير المؤمنين ... على وجهك اثر الغضب .

فقال عمر : على حذيفة بن اليمان ، قلت له : كيف اصبحت .. فقال :

اصبحت احب الفتنة ، واكره الحق ، واصلى بغير وضوء ، ولي فى الارض ما ليس لله فى السماء . فقال له علي : صدق يا عمر ، انه يحب الفتنة يعنى المال والبنين لان الله تعالى يقول « انما اموالكم واولادكم فتنة » .. ويكره الحق يعنى : الموت : ويصلى بغير وضوء .. يعنى انه يصلى على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بغير وضوء فى كل وقت ، وله فى الأرض ما ليس لله فى السماء يعنى له زوجه وولد وليس لله زوجه ولا ولــد .

فقال عمر : اصبت والله يا أبا الحسن .. لقد ازلت ما فى قلبى على حذيفة بن اليمان ..

رسائل غير عادية

إلـــــى أم ...

بقلم : معـــروف رفيـــق

سيدتى .. اكتب إليك بمشاعر متميزة .. لانها خليط من الاحترام والتــكبير ، والاشفاق والحذر والحيطة . فانت ام ، إذن وانت ممن كانت الجنة تحت قدامهن .. وانت ممن عناهن الشاعر حين قال :

الام مدرسة إذا اعددتهـــا
اعددت شعبا طيب الاعراق

من هنا احترامى العظيم ، لك ، ولكل ام هى والمدرسة سواء ، هى والنبع سواء .. الحنان جزء منها ، والعطف قبس من قبسها .. وقلبها فسيح فسيح .. يتسع لكل شقاوة قام بها ولد ، منذ كان لأول ام ولــــد ...

ولكنى ياسيدتى .. الاحظ انك تزيدين من تدليل ولدك .. الى درجة اصبح معها لايطيق البعد عنك .. بينما الدنيا لا تدوم على حال ، لان دوام الحال من المحال فهل تظنين بعد هذا ، بدوام الدلال .!؟

إن التعريف الواقعى للمدرســـــة ، الحديثة ، يقول ان المدرسة مصنع يعد الأجيال للحياة .. واضع خطين تحت كلمة يعــد .. ذلك ان الاعداد هو من اتخاذ العدة لكل طارىء .. والحيـــــاة يا سيدتى مجموعة للطوارىء لا تنتهى .. وانت المدرسة الاولى للناشئين .. انت دار الحضانة بادىء ذى بدء ، وعليك يتوقف نجاح الصغير من فشله . لانه فى الحقيقة ، تلك الصفحة البيضاء الناصعة .. عليها تكتبين ما تريدين له .. فاما كتابة بيضاء .. واما كتابة سوداء .. فما اعظم واجبك واجله ..

اما الدلال ياسيدتى .. فانه اقرب إلى الضلال .. والطفل المدلل يبقى طفلا ولو وقف على شاربيه الصقر فيما بعد .. الم تسمعى قول القائل :

وينشـــا ناشىء الفتيان منــــا
على ما كان عـــوده ذووه

ناشدتك الله ياسيدتى .. ان تاخذى ولدك باصول التربية .. شدة فى غير عنف ، ولين فى غير ضعف .

تعويد على مواجهة الحياة أولا باول ، وتعويد على صعود درجات السلم واحدة واحدة .. لا نريدها طفرة تقود إلى الاحباط ، ولا نريدها قفزة تكسر القدم ، ولكننا نريدها على منهج واضح ، تتكامل فيها التربية بين بناء الأجسام والاحلام .. وتنسجم فيها العقول والأرواح ، لا يطغى جسم على حلم ، ولا نفس على جسد .. وانما هو اعتدال وعدل بين كفتى الميزان .. عين تنظر إلى السماء ، ويد تحفر الارض فى بحث دؤوب عن الخير ، وغدا ، عندما يشب ولدك على هذا النهج الحميد ، لا على نهج الدلال والتفريط .. ستقول له بكل فخر واعتزاز .. لله درك .. وحسبك هذا دعاء .. واسلمى للاجيال .

فنـــون من التـأويــل

من بين صفحات تراثنا العربى سطور تمتلىء بالتعبير البليغ ، والصـــورة البيانية المشرقة ، نحتاج فى تذوقها واستيعابها إلى امعان نظر ، وفهم ثاقب لحقيقة الكلمة العربية ، بايحاءاتهـــا الفنيـــة .

يروون عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب انه لقى حذيفة بن اليمان فقال له عمر :

كيف أصبحت يا حذيفة ؟

قال : أصبحت احب الفتنة ، واكره الحق ، وأصلى بغير وضوء ، ولى فى الأرض ما ليس لله فى السماء . فغضب عمر غضبا شديداً ، ودخل عليه على بن ابى طالب وهو غاضب ، فقال له :

ـ يا أمير المؤمنين ... على وجهك اثر الغضب .

فقال عمر : على حذيفة بن اليمان ، قلت له : كيف أصبحت .. فقال :

أصبحت احب الفتنة ، واكره الحق ، وأصلى بغير وضوء ، ولي فى الأرض ما ليس لله فى السماء . فقال له علي : صدق يا عمر ، انه يحب الفتنة يعنى المال والبنين لأن الله تعالى يقول « انما أموالكم وأولادكم فتنة » .. ويكره الحق يعنى : الموت : ويصلى بغير وضوء .. يعنى انه يصلى على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بغير وضوء فى كل وقت ، وله فى الأرض ما ليس لله فى السماء يعنى له زوجه وولد وليس لله زوجه ولا ولـــد .

فقال عمر : أصبت والله يا أبا الحسن .. لقد ازلت ما فى قلبى على حذيفة بن اليمان ..

رسائل غير عادية

إلـــى أم ...

بقلم : معـــروف رفيـــق

سيدتى .. اكتب إليك بمشاعر متميزة .. لانها خليط من الاحترام والتـــكبير ، والاشفاق والحذر والحيطه . فانت أم ، إذن وانت ممن كانت الجنة تحت قدامهن .. وانت ممن عناهن الشاعر حين قال :

الام مدرسة إذا اعددتهـــا
اعددت شعبا طيب الاعراق

من هنا احترامى العظيم ، لك ، ولكل أم هى والمدرسة سواء ، هى والنبع سواء .. الحنان جزء منها ، والعطف قبس من قبابسها .. وقلبها فسيح فسيح .. يتسع لكل شقاوة قام بها ولد ، منذ كان لأول أم ولـــد ...

ولكنى ياسيدتى .. الاحظ انك تريدين من تدليل ولدك .. الى درجة اصبح معها لايطيق البعد عنك .. بينما الدنيا لا تدوم على حال ، لأن دوام الحال من المحال فهل تظنين بعد هذا ، بدوام الدلال .!؟

إن التعريف الواقعى للمدرســـة ، الحديثة ، يقول ان المدرسة مصنع يعد الأجيال للحياة ،، واضع خطين تحت كلمة يعـد .. ذلك ان الاعداد هو من اتخاذ العدة لكل طارىء .. والحيـــاة يا سيدتى مجموعة للطوارىء لا تنتهى .. وانت المدرسة الاولى للناشئين .. انت دار الحضانة بادىء ذى بدء ، وعليك يتوقف نجاح الصغير من فشله . لأنه فى الحقيقة ، تلك الصفحة البيضاء الناصعة .. عليها تكتبين ما تريدين له .. فاما كتابة بيضاء .. واما كتابة سوداء .. فما اعظم واجبك واجله ..

اما الدلال ياسيدتى .. فانه اقرب إلى الضلال .. والطفل المدلل يبقى طفلا ولو وقف على شاربيه الصقر فيما بعد .. الم تسمعى قول القائل :

وينشـــا ناشىء الفتيان منـــا
على ما كان عـــوده ذووه

ناشدتك الله ياسيدتى .. ان تاخذى ولدك باصول التربية .. شدة فى غير عنف ، ولين فى غير ضعف .

تعويد على مواجهة الحياة أولا باول ، وتعويد على صعود درجات السلم واحدة واحدة .. لا نريدها طفرة تقود إلى الاحباط ، ولا نريدها قفزة تكسر القدم ، ولكننا نريدها على منهج واضح ، تتكامل فيها التربية بين بناء الأجسام والاحلام .. وتنسجم فيها العقول والأرواح ، لا يطغى جسم على حلم ، ولا نفس على جسد .. وانما هو اعتدال وعدل بين كفتى الميزان .. عين تنظر إلى السماء ، ويد تحفر الأرض فى بحث دؤوب عن الخير ، وغدا ، عندما يشب ولدك على هذا النهج الحميد ، لا على نهج الدلال والتفريط .. ستقول له بكل فخر واعتزاز .. لله درك .. وحسبك هذا دعاء .. واسلمى للاجيال ..

من كلمات قائد المسيرة

● « ان قضايانا ومصالحنا الاسلامية ليست اشتاتا متفرقة بل هى كليات مترابطة لا يمكن معالجتها الا بالعمل المشترك الذى لا يمكن ان ينبت نباته الحسن ، الا اذا ارتكز على اساس متين من تعاوننا الوثيق ، ابتغاء تقدير امكاناتنا الحقيقية اصح تقـــدير » .

● « طبيعى ، وقد جاء قرارنا انتهاج سبيل الاستقلال ، نتيجة للظروف السابق ايضاحها ، أن لا نجد انفسنا بحاجة الى تاكيد ان مثل هذه الظروف التى نرجو زوال اسبابها ، لا يمكن ان تؤثر على ايماننا الوطيد فى أن اتحادنا فى هذه المنطقة ضرورة مصيرية تحتمها مصلحتنا العليا المشتركة ، وتقتضيها كل تلك الروابط العميقة الجذور التى تربط بعضنا بالبعض الآخر ، والتى قل ان توجد بلاد فى العالم تجمع بينها روابط تضاهيها قوة وشدة واصالة » .

● « دولة قطـــر دولة عربية مسلمة ، وشعبها جزء من الأمة العربية » .

● « لقد اقتضانا الواجب الوطنى المقدس ، ان نقف منذ اللحظة الأولى لاندلاع معركة الشرف ـ شأننا فى ذلك شأن جميع اشقائنا العرب ـ موقف التضامن الكلي المطلق مع الشقيقتين مصر وسوريا اللتين هبتا هبتهما الجسورة » .

● « اما عن الانسان القطرى ، وهو فى ان واحد ، وسيلة كل تقدم ننشده وغاية كل رجاء نبتغيه ، فاننا نبذل اقصى الجهد ونسلك خير السبل لينهل شبابنا ، بقدر الامكان ، من العلم اكثره وانفعه لبلدنا ، ومن الخبرة اغزرها واكبرها فائدة فى ظروفنا ، كيما يستطيع ان يحتل كل منهم موقعه من المسؤولية العامة عن جداره ، ويدعم ـ بفكره الواعى وتجربته المستنيره فى ميدان تخصصه ـ الجهود الكبرى المثابرة التى نبذلها فى سبيل رفعة الوطن وقوته ومنعته »

● « اننا إذ نعمل على بناء دولتنا بناء قويا ، انما نفعل ذلك اداء لواجبين مقدسين متكاملين : اما الواجب الاول فهو واجبنا نحو وطننا العربى القطرى الذى يقتضينا ان نحقق لشعبنا غاية ما يمكن من اسباب الرخاء والارتقاء ، واما الواجب الثانى ، فهو واجبنا نحو وطننا العربى الكبير الذى يقتضينا ان نساهم باكثر ما نستطيع من قدرة وفعالية فى الذود عن حياضه ، ومساندة قضاياه والمشاركة فى دعم اسباب تقدمه وازدهاره » .

● « من المسلمات أن للنصر طريقاً واحداً ، هو طريق الحق الذى تدعمه القوة ، وحقنا ناصع ابلج ، ولنا من الامكانيات الهائلة المتكاملة ، اذا اتحدت كلمتنا وتضافرت جهودنا ، ما يؤمن لنا القوة الكفيلة باستخلاص هذا الحق كاملا غير منقوص باذنه تعالى » .

● « بين المبادىء الرئيسية التى تؤمن بها دولتنا الفتية ، ان الوطن مسؤوليتنا جميعاً وحقنا جميعاً » .

« واننا لنقف بكل ما تتيحه امكاناتنا من قدرة الى جانب الاشقاء العرب لحمل نصيبنا من مسؤولية استعادة اراضينا العربية المحتلة وفى مقدمتها القدس الشريف ، واسترداد حقوق الشعب العربى الفلسطيني وفى مقدمتها حقه فى وطنه ، وفى تقرير مصيره فوق ارض الوطن » .

● « .. ولقد كان التطلع الى حق التمتع بالمساواة والحرية والعدالة عنصراً رئيسياً من عناصر حياة الانسان والشعوب فى كل زمان ومكان ، ومن ثم كان الحرمان من هذا الحق اهم الدوافع لقيام الحركات الوطنية التحررية التى عرفها العالم عبر التاريخ » .

● « ليست حرب رمضان المجيدة ببعيدة ، فلقد بهرنا فيها العالم بترابطنا الشامل ، وكان تكاتفنا على كل صعيد وفى كل مجال خلال معاركها الضروس ، سمتنا البارزة وعلامتنا المميزة » .

● « ان دولنا اعضاء اوبيك دول نامية لا تعرف الطمع بطبيعة مبادئها واوضاعها ، وهى لا تكن إلا مشاعر المودة للجميع ، وتدعو مخلصة للتعاون الدولى لتحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية التى تنشدها الأسرة الانسانية » .

خليفة بن حمد آل ثاني
أمير دولـــة قطـــر



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
أمير دولة قطر

شبابنا وبناء الدولة العصرية

من اجل صنع حضارة الغد المشرق ، حرصت دولة قطر فى انطلاقتها طوال العشر سنوات الماضية على بناء الشباب واعداده ليتولى مسئولياته فى مختلف مجالات الحياة ، اعتماداً على ما اكتسبه من دراسة وخبرة ووعى وقيم رفيعة نابعة من الايمان بتعاليم ومبادىء ديننا الحنيف ..

وقد وفرت الدولة لشبابها كل ما يؤمن لهم احسن حياة وافضل غد ، حتى يكرسوا كل وقتهم لاكتساب المعارف العلمية والقدرات الفنية التى تجعلهم قادرين على المشاركة بدورهم فى مسيرة البناء والتعمير وتحقيق التطور المنشود ..

ومن اجل رعاية الوجدان الوطنى والقومى للشباب ، وتوحيد طاقاته ، وترسيخ إيمانه بالمثل العليا النبيلة ، وتثبيت اعتداده بعقيدته ، والنهوض بمستواه الاقتصادى والفكرى .. كان لابد من انشاء المجلس الاعلى لرعاية الشباب ، حتى يؤدى دوره الهام فى إرساء قاعدة التخطيط الضرورية التى تتابع الشباب وترعاه فى مختلف مراحل النمو ..

وعن أهمية تنمية قدرات الشباب واضاءة طريق المستقبل أمام جيل الغد ، قال سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع ورئيس المجلس الأعلى لرعاية الشباب :

« إن المرحلة التى نعيشها هى مرحلة بناء صرح الدولة العصرية وتامين الهناء والارتقاء للشعب الطموح .. وأنه ليس من سبيل لادراك هذا الهدف إلا برعاية الشباب رعاية توفر له افضل تكوين روحى وعـقلى وبدنى ، باعتباره محط الآمال فى تقدم الوطن واستقراره ومركز الأمانى فى اضطراد الرخاء والازدهار » ..

ورغم حداثة انشاء المجلس الأعلى لرعاية الشباب ، فقد حقق خطوات هامة نحو تحقيق أهدافه ، من بينها اصدار لائحته الداخلية لتنظيم الأنشطة الخاصة برعاية الشباب التى تقوم بها الأجهزة الحكومية والأهلية ودعمها وتوجيهها والتنسيق بينها حتى تعطى لنا باستمرار المواطن الصالح بدنياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً ، وحتى ترشد جيل الغد إلى كل ما يرفع مستواه المادى والمعنوى وكل ما يصونه ويحميه ويدعم روحه الوطنية والقومية ويقوى عقيدته الدينية ..

وإلى جوار اهتمام المجلس الأعلى لرعاية الشباب بمجالات البحوث والدراسات العلمية بالتعاون مع الهيئات المختلفة فى الدولة ، أعدت لائحة موحدة للأندية الرياضية والثقافية والاجتماعية لتحقيق الأهداف التربوية للشباب ..

وقد رأينا فى السنوات الماضية ـ فى ظل اهتمام الدولة بالشباب ـ حركة واسعة لنشر الوعى الرياضى بانشاء النوادى الرياضية والثقافية الجديدة فى كل انحاء البلاد .. كما رأينا تنظيماً شاملاً لرعاية الأنشطة الخاصة بالشباب كان من بينها تكوين الاتحادات الرياضية ، واللجنة الاوليمبية ، ومد الخدمات المكتبية إلى كل المدن حتى تتوفر أمام الأجيال الجديدة فرصة الثقافة والاطلاع على علوم العصر وتراثنا الخالد ..

وكانت مدينة خليفة الرياضية التى تضم استاداً يتسع لحوالى اربعين الف متفرج ، هى ابرز دليل على اهتمام الدولة بالرياضة ورعايتها للشباب ..

وفوق هذا الصرح الرياضى ، اقيمت فى العام الماضى الدورة الادارية الثالثة التى اشترك فيها خبراء فى التنظيم الادارى للأندية الرياضية والثقافية .. ورأينا فى العام الماضى أول معرض يقام لكتاب الرياضة والشباب ..

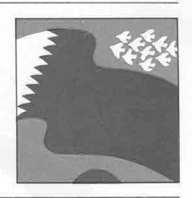
وكل ذلك وغيره ، إلى جوار تقديم المكافآت المالية للفرق الفائزة بالمراكز الأولى فى الدورى بمختلف درجاته ومسابقات الكأس ، حتى نرتفع بمستوى لعبة كرة القدم التى حققت بها دولة قطر نصراً عالمياً بحصول المنتخب القطرى للشباب على المركز الثانى فى تصفيات كأس العالم للشباب التى أقيمت فى استراليا ..

وهكذا نرى مدى حرص دولة قطر فى انطلاقتها الحضارية على بناء الشباب واعداده الاعداد اللائق الذى يتيح أمامه كل فرص العلم والعمل والتقدم .



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني
ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة

عشر سنوات من النهضة التعليمية



الاختيار الصعب والمستقبل المشرق



بقلم
الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم

أرجو أن أؤكد ــ بادىء ذى بدء ــ على أهمية التربية فى حياة الأمم ، فالتربية كانت ــ منذ كان الانسان ــ ولا زالت ، الوسيلة المثلى لاجراء حركة تغيير جذرى ، وتحول حضارى ــ مبنى على اسس سليمة ، ومعطيات موضوعية قويمة ــ فى أى مجتمع من المجتمعات البشرية ، ذلك لأن حركة التغيير نحو الأفضل ، لابد وأن تتم طبقا لجهد مدروس منظم يتمتع بالعمق والاستمرارية ، حتى تؤتى ثمارها فى المستقبل ، الذى هو رهن بما نقدمه للحاضر من جهود مخلصة مثمرة بناءة .

ولاشك فى أن اقدر الناس على القيام بهذه الجهود هم الشباب من ذوى الهمم العالية الذين حباهم الله الوعى والاخلاص ، والايمان والحماس ، والعلم والمعرفة ، فصقل الايمان ضمائرهم ، وشحذ الاخلاص مواهبهم ، وسدد العلم خطاهم ، وحفز الوعى عزائمهم فسمت أهدافهم ، وتطلعت الى المجد نفوسهم . ومثل هذا الشباب لن يتاتى لأى شعب من الشعوب بالمنى والأمانى ، وانما بناء على تربية شمولية متكاملة ، رصينة السياسة والأهداف ، حكيمة الاستراتيجية والتخطيط ، تتمتع بعمق المحتوى ، وسلامة الوسائل ، ويتميز القائمون عليها بالايمان والاخلاص من ناحية ، وبالعلم والوعى من ناحية ثانية .

من هنا تستقطب التربية اهتمام كل مواطن واع ، وكل عالم عامل ، وكل مصلح غيور ، وتوليها الأمم كل اهتمامها ، وجل جهودها وتفكيرها ، لأنه بتقدمها وتجددها وتطورها تزداد فاعليتها ، ويزداد عطاؤها ومردودها ، ويعمق تأثيرها على الأجيال الذين ستغدو بأيديهم مقاليد الأمور فى المستقبل ، وهم انما يصدرون عن مبادىء وقيم ومفاهيم تلقوها فى تربيتهم الأساسية فى المدرسة ، لذلك .. بقدر ما تكون صورة التربية مشرقة ، بقدر ما تشرق صورة المستقبل .

وانطلاقا من هذا المفهوم الواضح لأهمية التربية فى حياة الأمم والشعوب كان اهتمام دولة قطر بالتربية والتعليم منذ الأيام الأولى لنهضتها الحديثة . ومن هنا كانت أول وزارة انشئت فى البلاد على الاطلاق هى وزارة المعارف ، ولا يزال الاهتمام بالتربية والتعليم يزداد رسوخا على مدى الأعوام ، ويأخذ أبعادا وأعماقا جديدة مع الأيام .

الأصالة والتجديد

كثيرا ما تواجه المجتمعات النامية



احتفالات يوم العلم

ما يسمى بالاختيار الصعب بين الأصالة والتجديد وفى كثير من الأحيان تفقد بلدان اصالتها وانتماءها الى تراثها فى غمار البحث عن التجديد . ولكنا فى قطر تفادينا ذلك والحمد لله ، فمنذ البداية حرصنا كل الحرص على الا يؤدى التزايد المعرفى ، والتفجير العلمى ، والتسارع الحضارى فى العصر الذى نعيش فيه الى التاثير على أصالتنا ، والاخلال بالتوازن المستهدف بين الأصالة والتجديد .

اننا امة لها عقيدتها السامية التى تستمد عظمتها من عظمة مشرعها — سبحانه وتعالى وتستقى مفاهيمها من سنة وسيرة مبلغها صلى الله عليه وسلم وهذه العقيدة تتمتع بكامل الحيوية ، وتنتظم اخلاقا وقيما ومثلا لا تفنى ، وتستوعب نظما وتعاليم ومفاهيم لا تبلى ، وقد انتجت حضارة نبيلة قدمت للانسانية السعادة الحقيقية التى لم تعرفها فى تاريخها الطويل ، وان تاريخ امتنا العلمى يحتل انصع الصفحات فى سفر البشرية . لذلك فاننا حريصون على التمسك الكامل بهذا التراث النبيل بكل ما فيه من قيم ومثل وعمق واصالة .

المعاصرة الواعية

ونحن لا ننسى اطلاقا اننا نعيش فى عصر يتميز بسرعة الانجاز العلمى ، حتى اصبح يعرف بعصر الذرة وغزو الفضاء ، وقد تمكن الانسان فيه من استثمار خيرات الأرض ، وتسخير قوى الطبيعة ، وانطلق الى أجواز الفضاء يبحث عن المزيد . وكل يوم يحمل جديدا الى الحضارة الانسانية ، ويثرى التقدم العلمى والتكنولوجى .

ونحن لا نعيش بمعزل عن هذا العالم وانما نحن منه ، نتاثر به ، ونؤثر فيه ، ونتفاعل معه .

لذلك كان لابد من ان ناخذ الطوفان العلمي بعين الاعتبار ونحن نخطط لتطورنا التربوى . وبهذا جاءت مناهجنا متمتعة بدرجة عالية من المرونة ، مكنتها من القدرة على المحافظة على تراثها ، والافادة من معطيات العصر فى مجالات العلم البحت والتطبيقى والمعارف الانسانية ، وبذلك امكن هضم النظريات والأفكار الخصبة التى تجود بها الحضارة المعاصرة ، وتطويعها لمفاهيمنا ونظرتنا الاسلامية للكون والانسان والحياة ، بحيث يتواءم العلم والايمان ، ويحتفظ ناشئتنا بشخصياتهم المستقلة المتميزة كافراد فى مجتمع خليجى عربى اسلامي .

الاختيار الصعب والمستقبل المشرق



تكريم قدامى رجال التربية والتعليم فى يوم العلم

البعد الكمى للتطور

كان لابد وان يتطور التعليم تطورا ملحوظا من حيث الكم والنوع ، وتوضح المقارنة التالية مدى التطور الكمى فى التعليم ونسب التزايد التى حظيت بها الحقول الكمية المختلفة خلال السنوات العشر الماضية :

	العام الدراسى ٧٢/١٩٧٣	العام الدراسى ٨١/١٩٨٢	نسبة التزايد
أعداد الطلاب	٢٣٣٩٢	٤٢٧٢٠	٨٢ر٦٪
أعداد المدارس	٩٣	١٤٩	٦٠ر٢٪
أعداد المعلمين	١٣٧٤	٣٦٩٦	١٦٩ر-٪
أعداد طلاب البعثات	٥٨١	٣٩٢٥	٥٧٥ر٦٪
أعداد الخريجين	١٠٩	١٦٣٠	١٣٩٥ر٤٪
أعداد المعلمين القطريين	٣٨٩	١٢٩٢	٢٣٢ر١٪
محو الأمية وتعليم الكبار	٣٢٨٢	٨٦١٥	١٦٢ر٥٪

ولا تعطى الأرقام الجامدة مدلولات كبيرة ، وان ما نستطيع ان نؤكده ان نسب التزايد سواء فى الحقول المختلفة قلما يحظى بها مجتمع ما ، هذا وقد بلغت نسبة الطالبات الى الطلاب فى مدارسنا فى العام الدراسى الحالى ٨١/١٩٨٢ م ، ٤٨ر٦٪ وهى من أعلى النسب العالمية لتعليم الفتاة . كما ان التزايد المتلاحق فى أعداد الخريجين القطريين مكننا من تقطير الوظائف الادارية الرئيسية فى التربية والتعليم فى قطاعى تعليم البنين والبنات ، سواء أكان ذلك على مستوى الادارة التربوية (الوزارة) او على مستوى الادارات الميدانية فى المدارس ، ليتولى أبناء البلاد قيادة المسيرة التربوية ، لكونها متعددة أبعاد التاثير على مستقبل أبنائهم ومجتمعهم

البعد النوعى للتطور

ولم يقتصر التطور التربوى فى دولتنا الفتية على الكم فقط ، فمحدودية الكتلة السكانية فى بلدنا تجعل من الأهمية بمكان الاهتمام بالكم من ناحية للحفاظ على كل عنصر من عناصرنا المثقفة ، وفى نفس الوقت رفع نوعية الخريجين ، بحيث يتمكنون من تولى زمام الخطط التنموية الطموحة التى تحياها البلاد بكفاءة وقدرة وفعالية ، بحيث يؤدى النوع الى تعويض قصور أو نقص الكم

ولا يمكن استقصاء ما تم فى هذا المضمار لذلك نكتفى بالاشارة الى أهم المنجزات خلال السنوات العشر الماضية — مجرد اشارة فقط ، ومن ذلك :

- وضع سياسة تربوية لدولة قطر ، ووضع استراتيجية لتطوير التربية فى البلاد .

- تطوير شامل للمناهج والكتب المدرسية القطرية وبخاصة فى مناهج الرياضيات المعاصرة والعلوم المتكاملة ، والمواد الاجتماعية ، واللغة الانجليزية ، مع انجاز مجلدات فى الفاظ الطفل القطرى بغية تضامها الى مثيلاتها فى البلاد العربية بقصد وضع قاموس الطفل العربى .

- تطوير التقنيات التربوية ، والاتجاه الى التصنيع المحلى لمعظم الوسائل التعليمية ، مع انجاز تنميط الأسماء الجغرافية فى قطر ، وبدء العمل بمشروعى التليفزيون التربوى والاذاعة المدرسية .

اللقطتان : الأولى لمكتبة مدرسية تنمي في النشء حب الثقافة والاطلاع .. الثانية لطلبة فصل مدرسي يتدربون على تنمية مواهبهم الفنية





ـ تطوير اعداد المعلم وتدريبه : اذ اخذ اعداد المعلم لجميع المراحل يتم عبر الجامعة ، وانشىء لهذا الغرض نظام بكالوريوس التربية للمرحلة الابتدائية ، وشمل الاعداد تأهيل جميع العاملين فى المدارس تربويا فى برنامج متكامل لحصولهم على الدبلوم العام فى التربية ينتهى ١٩٨٥ م . والدبلوم الخاص فى التربية ينتهى ١٩٩٠ م . بالاضافة الى انشاء قسم لتدريب المعلمين فى أثناء الخدمة وامداده بكل الكفايات والفعاليات التربوية .

ـ تطوير المبنى المدرسى : حيث جرى تعديل جذرى فى المبنى المدرسى من حيث التصميم والتسهيلات التربوية وفعالية المبنى ومرونته ، وملاءمة المبنى للمرحلة المعد لها ، وتكامل البيئة المدرسية .

ـ تطوير النظم المختلفة : كما جرى تطوير معظم النظم التربوية ، من حيث نظم قبول الطلاب ، ونظم تدفق المعلومات التربوية ، ونظام الادارة التربوية ، ونظم تقويم الطلاب ، ونظم التقويم العامة .

ـ تطوير نظام الحوافز : ذلك بزيادة الحوافز المادية لتنمية اتجاه معين ، كالاتجاه العلمى ، والاتجاه الدينى ، والاتجاه للتعليم الصناعى والتخصصى وكذلك الحوافز المعنوية بتقدير المتفوقين فى كل مجال .

ـ رعاية المعوقين : حيث افتتح معهدا الأمل للبنين والبنات ، لرعاية المعوقين جسديا والمعوقين فكريا ، وتقديم التعليم الملائم لكل منهم .

جامعة قطر

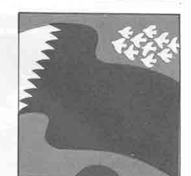
ولعل من ابرز نتاج السنوات العشر الماضية انشاء جامعة قطر التى بدأت بانشاء كليتى التربية للمعلمين والمعلمات ١٩٧٣ م . ثم اتسعت لتشمل خمس كليات هى : كلية التربية ، وكلية العلوم الانسانية ، وكلية الشريعة ، وكلية العلوم ، وكلية الهندسة .

فالجامعة صرح علمى وتربوى يدعم الاستقلال الفكرى والثقافى والعلمى للوطن ، وله دوره الفعال فى تطوير العملية التربوية والتعليمية بما يتاح للجامعة من كفايات علمية ، ولذلك يجرى تطوير العملية التربوية بتلاحم جهود كل من الاختصاصيين فى وزارة التربية والتعليم ، واساتذة جامعة قطر ، حيث يفيد الميدان من الفكر النظرى ، وتكتسب النظرية واقعيتها ابان التطبيق .

هذا غيض من فيض ما حظى به التعليم من تطور خلال السنوات العشر الماضية ، ولا يمكن استقصاء حيثيات هذا التطور فى هذه العجالة ، ولكننى اؤكد ان اعداد أجيال الغد يتم بكفاية وقدرة ووعى ، وباعداد شمولى متكامل ، يحفظ للناشىء عقيدته واخلاقه وقيمه ، كما يضعه على طريق البناء فى مجتمع نام متطور ، وعالم سريع التغير والتحول .

والله تعالى أسال .. ان يوفق بهذه الجهود ابناءنا ـ الذين هم اثمن مقدراتنا ـ لبناء مستقبلهم على اسس قويمة ليحققوا لوطنهم رجاءه ولشعبهم اماله ، ولامتهم ما تصبو اليه . انه تعالى من وراء القصد ويهدى السبيل .

محمد بن حمد آل ثاني



سياسة قطر الخارجية:

حرّية ورخاء للأمّة العربية
صفاء ومحبّة بين شعوب العالم



بقلم
الشيخ أحمد بن سيف آل ثاني
وزير الدولة للشئون الخارجية

بعد ان حصلت دولتنا الفتية على استقلالها فى الثالث من شهر سبتمبر عام الف وتسعمائة وواحد وسبعين ، واثر تقلد سمو امير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، لمقاليد الحكم فى الثانى والعشرين من شهر فبراير عام الف وتسعمائة واثنين وسبعين ، بدأت تجربتنا السياسية فى التبلور والنضوج والرسوخ وكان محتما على قيادتنا الواعية ان تمضى بمسيرة بناء وطننا قدما الى الأمام ، من خلال الوفاء بكافة الالتزامات الوطنية والعربية والدولية . وعلى هدى من توجيهات سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى امير البلاد المفدى بدأ نشاطنا السياسى يتنامى ويتطور . على مختلف الأصعدة وفى شتى المجالات .

وداخليا ، صدر فى ١٩٧٢/٤/٢٣ امر اميرى بتعيين اعضاء مجلس الشورى فى دولة قطر . وكان عدد أعضائه عشرين ثم اصبحوا بعد صدور قرار فى ١٩٧٥/١٢/٩ ثلاثين عضوا ، فتعززت بذلك مسيرة الديمقراطية فى بلدنا الأمين الذى يؤمن ايمانا عميقا بان المواطن والوطن هما اثمن ما نحرص عليه . ومن هذا المنطلق بدأت عملية تنمية شاملة لمقدراتنا ولشبكة علاقاتنا الدبلوماسية على المستوى الخليجى والعربى والاسلامى والدولى .

مع الأشقاء فى الخليج العربى

ومنذ فجر استقلالنا ، سعت دولة قطر الى التكامل والتعاون مع دول الخليج . وقد اكد سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى هذا النهج السياسى وأوضح ابعاده ، فى خطابه السامى أمام مجلس الشورى فى دور انعقاده العادى العاشر حين قال :

«وفيما يتصل بعلاقاتنا العربية الاقليمية ، تنطلق سياستنا من طبيعة روابط الأخوة الحميمة التى تجمعنا فى صعيد واحد بدول الخليج العربية . تلك الروابط التى تنفرد بظاهرة الجوار ، وتعززها حاجتنا الخاصة المشتركة الى التنسيق بين مستوياتنا التى تتميز بالتشابه فى كل المجالات . ولا ريب أن هذا التنسيق هو اسلم السبل المؤدية الى تعاوننا الايجابى الشامل الضرورى لبناء قوتنا الذاتية الجماعية الكاملة التى ننشدها من اجل توفير المزيد من عوامل امننا واستقرارنا ورفاهنا . وهو فى ذات الوقت اقوم سبيل لقطع الطريق على كل تدخل أجنبى فى شؤوننا ، واحباط كل محاولة لاضعاف موقفنا الثابت على اصرارنا على عدم الانحياز لأى من القوى



سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير دولة قطر على رأس وفد بلاده فى مؤتمر القمة العربية فى عمان

العظمى ...» .

وتمشيا مع هذه الرؤية السديدة ، والنهج السياسى الحكيم ، بادرت دولة قطر خلال العشر سنوات الماضية الى المساهمة الايجابية فى كل نشاط خليجى ، من خلال الحرص على المشاركة فى كافة المؤتمرات والندوات والاجتماعات التى تقوم بها دول المنطقة .

وقد شهد العام المنصرم ، حضورنا الفعال سواء من خلال اجتماعات وزراء خارجية مجلس التعاون فى كل من الرياض ومسقط وابو ظبى ، او من خلال مشاركتنا فى قمتى مجلس التعاون الخليجى اللتين كانت أولهما فى أبو ظبى والثانية فى الرياض .

يداً بيد مع أمتنا العربية

اما توجهنا السياسى فى اطار علاقاتنا العربية ، فان دولة قطر تؤمن تماما بان «أمتنا العربية يربطها بعضها ببعض اشتراك المصالح والأهداف والمخاطر والآلام والآمال واتحاد اللغة والعقيدة والفكر والنضال ، والايمان العميق بحتمية العمل العربى المتكامل» .

كما تؤمن دولة قطر ، بانه «ليس ثمة مأساة أفدح من تمزق أمتنا على النحو المهلك الذى تعانيه ، رغم اجتماع سائر العوامل لجعلها كيانا واحدا متماسك الأجزاء» .

ومن هذا المنطلق بذلت دولة قطر اقصى الجهد فى مجال دعم الشعب الفلسطينى فى نضاله العادل ضد الاحتلال الصهيونى ، كى يتمكن هذا الشعب الأبي المقاتل من استرداد كافة حقوقه المشروعة ، وأولها حقه فى العودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطنى .

كما أيدت دولة قطر كافة الجهود العربية الرامية الى الحفاظ على وحدة لبنان وصون عروبته واستقلاله .

وشاطرت الأمة العربية فى السلم والحرب كافة الأعباء والواجبات . وشاركت فى كل مؤتمر عربى عقد فى ظل جامعة الدول العربية ، سواء على مستوى وزراء الخارجية أو على مستوى القمة التى كان آخر مؤتمراتها القمة الثانية عشرة التى عقدت بمدينة فاس فى ١٩٨١/١١/٢٥ .

ولزيادة توثيق عرى روابط الأخوة مع الأشقاء العرب ، ولدعم التضامن العربى قام صاحب السمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ولي العهد ووزير الدفاع فى ١٩٨١/٩/٩ بجولة شملت كلا من الأردن والمغرب وتونس .

ونظرا لازدياد فاعلية الدور السياسى لدولة قطر ، على المستوى العربى ، فقد غدت الدوحة ذات وزن سياسى مرموق ، الأمر الذى تجسد فى قيام جلالة الملك حسين بزيارتين متتاليتين لدولتنا الفتية الأولى فى مايو والثانية فى شهر أكتوبر كى يبحث مع اخيه صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى امير البلاد المفدى مختلف جوانب الأوضاع العربية الراهنة والسبل الكفيلة بتجاوز الأزمة العربية .

كما رحبت دولة قطر بالسيد / ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية خلال زيارتين متتاليتين الأولى فى مايو والثانية فى نوفمبر .

وفى نهاية شهر سبتمبر من العام الماضى كان صاحب السمو امير البلاد المفدى على راس مستقبلى شقيقه ، فخامة الرئيس / حافظ الأسد . وقبل ذلك استقبل سموه الأخ الرئيس علي ناصر محمد الذى زار الدوحة فى منتصف شهر نوفمبر من العام الماضى .

دعم للعالم الاسلامى

شهدت العشر سنوات الماضية ، تكثيفاً متواصلاً للقاء مع قادة الدول

حرية ورخاء للأمة العربية
صفاء ومحبة بين شعوب العالم



سمو أمير البلاد المفدى أثناء حضوره مؤتمر القمة الاسلامى الثالث بالطائف

الاسلامية فدولة قطر «تؤمن ايمانا عميقا بما يقرره القران الكريم من ان امتنا الاسلامية أمة واحدة» هذا ما أكده صاحب السمو أمير البلاد المفدى ، كما أكد : «ان واجبنا يقتضينا ان نوحد صفنا الاسلامى ، وأن نعتصم بحبل الله لنناضل فى سبيله . أقوياء باتحادنا أشداء بتكاتفنا . وللأسف فان عالمنا الاسلامى يعيش مأساة محزنة من الانهيار، مردها الفشل فى تنسيق امكاناته الذاتية الهائلة» .

ومن منطلق الحرص على مصالح الأمة الاسلامية ، شاركت دولة قطر فى كافة المؤتمرات الاسلامية ، والتى كان اخرها مؤتمر القمة الاسلامى الثالث الذى عقد فى الطائف ومكة فى الخامس والعشرين من يناير من العام الماضى .

وقد استقبلت الدوحة ، أميرا وحكومة وشعبا فى العام الماضى ، سيادة الرئيس الباكستانى الجنرال ضياء الحق والرئيس السنغالى عبده ضيوف . كرمزين لبلدين تربطنا معهما روابط اسلامية وثيقة .

تضامن مع التحرر الافريقى

ودولة قطر ، فى مجال علاقاتها مع افريقيا ، فانها تحرص أشد الحرص على تعزيز التضامن العربى الافريقى وتساند شعوب افريقيا المضطهدة ، سواء فى ناميبيا أو فى ارتريا ..كما ان دولة قطر تقدم كافة المساعدات الممكنة للدول الافريقية الصديقة .

وقد استقبلت دولة قطر عددا من رؤساء الدول الافريقية ومبعوثيها خلال السنوات العشر الماضية .

مع الأسرة الدولية

إن نهجنا السياسى يرتكز على «ان السلام والأمن الدوليين اللذين تنشدهما البشرية ، لامكان ارساء اسس تعاون وثيق فى جو من الصفاء والمحبة بين شعوب العالم كافة . سيظلان محل التهديد والاحتلال حتى تؤتى جهود الانسانية ثمارها فى تحقيق امانيها فى تصفية الاستعمار بكل اشكاله ، نهائيا وبصورة شاملة فى كل مكان . كما انهما يتطلبان تهيئة الفرص العادلة لتمكين جميع الامم من ان تنعم بكامل استقلالها القومى وحرية ارادتها الوطنية . ويحتمان اشتراكها كلها على قدم المساواة فى اقامة نظام اقتصادى واجتماعى جديد منصف على انقاض النظام الحالى المجحف» .

ومن هذا المنطلق ، التقى صاحب السمو أمير البلاد المفدى خلال العشر سنوات الماضية بعدد من رؤساء دول العالم .

وقد تم بحث مختلف القضايا العربية والدولية ، معهم والسبل الكفيلة بحلها حلا عادلا .

علاقات دبلوماسية متينة

رافق نمو دور ووزن دولة قطر ، سياسيا ، سواء على المستوى الاقليمى ، أو العربى أو الدولى نمو فى عدد البعثات الدبلوماسية القطرية فى الخارج وازدياد فى عدد البعثات الدبلوماسية المعتمدة لدى دولة قطر .

ويمكن ادراك حجم شبكة العلاقات الدبلوماسية التى بنتها دولة قطر من خلال معرفة عدد البعثات المعتمدة لدى دولة قطر ، والتى وصل عددها الى ٥٥ بعثة .. وهذا بخلاف خمسة مكاتب ومنظمات دولية هى :

١ ـ مكتب منظمة التحرير الفلسطينية .
٢ ـ برنامج الأمم المتحدة الانمائى .
٣ ـ منظمة اليونسكو .
٤ ـ المدراء المسئولون عن مشاريع الأمم المتحدة .
٥ ـ منظمة الخليج للاستشارات الصناعية .

قطر والعالم

وخلال العشر سنوات الماضية ، توزعت البعثات الدبلوماسية القطرية ـ سواء على مستوى السفارة او القنصلية ـ على قارات العالم ، لتعزيز علاقات دولة قطر عربيا ودوليا . فاصبح لها ١٨ سفيرا فى انحاء العالم وسبعة من القائمين بالأعمال وثلاثة قناصل عامون لدولة قطر فى الخارج ..

ومنذ فجر الاستقلال عملت دولة قطر على ان تتبوأ مكانها اللائق بين الأمم ، من خلال المشاركة الفعالة فى كل المنظمات والوكالات والمؤتمرات الدولية . حرصاً منها على مسيرة البناء والنماء العالمية لصالح المواطن القطرى ، ولصالح الأسرة الدولية . واليوم أصبحت الدولة عضواً فى العديد من الاتحادات والبنوك والمؤسسات والمنظمات الدولية والهيئات والوكالات والمراكز الثقافية فى العالم .. وهذا بخلاف



سمو أمير البلاد المفدى اثناء مشاركته لأخوانه اصحاب الجلالة والسمو قادة دول مجلس التعاون الخليجي فى اجتماعاتهم التاريخية

مشاركتها فى ٢٧ منظمة عربية على مستوى جامعة الدول العربية ..

اما على مستوى منطقة الخليج فهى اليوم عضو فى : ـ

١) مجلس التعاون الخليجى .
٢) مجلس طيران الخليج .
٣) مكتب الخليج للتربية .
٤) مكتب الخليج للابحاث التربوية .
٥) بنك الخليج الدولى .
٦) لجنة الخليج الدائمة للترددات اللاسلكية .
٧) مؤسسة الانتاج البرامجى المشترك لدول الخليج .
٨) مجلس الخليج الأعلى للتعليم العالى .
٩) اتفاقية انشاء المركز الاقليمى للتوثيق الاعلامى .

دائماً ... الى الأمام

إن طموحاتنا الوطنية ، العضوية الارتباط بطموحات الأمة العربية الرامية الى تحقيق الرخاء والتحرر من قبضة الضغوط الدولية واستكمال سيادتنا تغدو استراتيجية بالنسبة لنا .

وستمضى دولة قطر ، على هدى من توجيهات حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى امير البلاد المفدى دائماً وابداً الى الأمام .

أحمد بن سيف آل ثانى

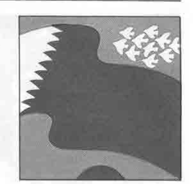
السفراء فى الخارج

سفراء دولة قطر فى الخارج هم :

سعادة السفير	المركز	الدول المحال اليها
السفير / شريدة الكعبي	لندن ـ المملكة المتحدة	السويد ـ النرويج ـ الدنمارك ـ هولندا ـ ايرلندا
السفير / احمد حمد العطية	الكويت ـ دولة الكويت	
السفير / احمد الخال	بون ـ المانيا الاتحادية	النمسا
السفير / عبد الرحمن العطية	جدة ـ المملكة العربية السعودية	الجمهورية العربية اليمنية
السفير / عبد الله يوسف الجيدة	الرباط ـ المملكة المغربية	السنغال ـ الجابون
السفير / علي حسين مفتاح	بغداد ـ العراق	
السفير / حمد عبد العزيز الكواري	باريس ـ جمهورية فرنسا	ايطاليا ـ اسبانيا
السفير / احمد غانم الرميحي	الخرطوم ـ جمهورية السودان	اثيوبيا ـ اوغندا
السفير / عبد القادر بريك	واشنطن ـ الولايات المتحدة الامريكية	فنزويلا
السفير / علي عبد الرحمن مفتاح	مسقط ـ سلطنة عمان	
السفير / احمد علي الانصارى	اسلام اباد ـ الجمهورية الباكستانية	ماليزيا ـ اندونيسيا
السفير / محمد علي الانصارى	طوكيو ـ الامبراطورية اليابانية	
السفير / محمد سعد الفهيد	دمشق ـ الجمهورية العربية السورية	
السفير / راشد محمد الخاطر	تونس ـ الجمهورية التونسية	
السفير / الدكتور حسن علي نعمة	نيودلهي ـ جمهورية الهند	سريلانكا
السفير / محمد سالم الكوارى	جنيف ـ سويسرا	
السفير / الشيخ حمد بن محمد بن جبر آل ثانى	عمان ـ المملكة الاردنية الهاشمية	
السفير / جاسم يوسف جمال	نيويورك ـ الأمم المتحدة	كندا ـ الارجنتين ـ البرازيل
القائم بالاعمال / يوسف عبيدان	بيروت ـ الجمهورية اللبنانية	تركيا
القائم بالاعمال / ناصر المناعي	القاهرة ـ جمهورية مصر العربية	
القائم بالاعمال / سعد الكبيسي	الجزائر ـ الجمهورية الجزائرية	
القائم بالاعمال / ابراهيم احمد نعمة	ابو ظبي ـ دولة الامارات العربية المتحدة	
القائم بالاعمال / عبد الحميد الكبيسي	مقديشو ـ جمهورية الصومال الديمقراطية	
القائم بالاعمال / ابراهيم المفيضيد	نواكشوط ـ جمهورية موريتانيا الاسلامية	
القائم بالاعمال / عبد الله المطوع	طرابلس ـ الجماهيرية الليبية الشعبية الاشتراكية	

القناصل العامون لدولة قطر فى الخارج :

١ ـ السيد / سلطان محمد الكوارى ـ بومباى
٢ ـ السيد / عبد الله مبارك الكعبى ـ شيراز
٣ ـ القائم بالاعمال / يعقوب المعضادى ـ دبى



أرقـــام تصنـــع الرخـــاء :

النمـــوّ الاقتصـادي والقــدرة الذاتيّــة

من واقع استمرار الأهداف التى تشهدها البلاد جاءت الموازنة العامة للدولة هذا العام لتعكس صورة التطور والنمو فى اقتصاد البلاد ، ولتعبر عن سياسة الدولة المالية لتحقيق الرخاء والنمو الاقتصادى والاجتماعى .

وفى هذه المناسبة ركز بيان معالي الشيخ عبد العزيز بن خليفة ال ثاني وزير المالية والبترول ، على الملامح الرئيسية للموازنة العامة ، وأوضح كافة الجهود التى بذلت من اجل ان تاتى التقديرات فى هذا العام متفقة مع البرامج الانمائية فى البلاد والاستراتيجية المعلنة من قبل والتى يتم استكمالها من خلال خطـــة طموحة وواقعية وقادرة على تحقيق التنفيذ بالقدر المطلوب وفى الوقت المحدد

سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة ال ثاني وزير المالية والبترول

خلال فترة الميزانية ..
وتعكس الأرقام الواردة بالموازنة الجديدة خطة الدولة فى استمرار دعم قدراتها الذاتية فى مجالات الانتاج والخدمات حيث تبرز بصفة خاصة اهمية الاعتمادات المدرجة لتنفيذ المشروعات الرئيسية والتى بلغت فى مجموعها ٧٨٠ر٧ مليون ريال قطرى .

ويضاف الى ما تقدم ما تم تخصيصه لتمويل احتياجات الصناعات الوطنية والقروض العقارية والمساهمات فى المؤسسات المحلية والأجنبية والتى بلغت فى مجموعها ٥٨٣ مليون ريال وبذلك يصل مجموع مخصصات موازنة المشروعات الرئيسية للدولة ٣٦٣ر٨ مليون ريال قطرى .. وهكذا فان حجم الاعتمادات المخصصة للمشروعات بموازنة الدولة لهذا العام يدل على الرغبة الأكيدة المتطلعة دائما لتوجيه الموارد والامكانيات المتاحة نحو أفضل استثمار اقتصادى واجتماعى ..

فقد رصدت الدولة مبلغ ٣٠٧ مليون ريال لتنفيذ عدد من المشاريع الصناعية والزراعية وذلك باستكمال البنية الأساسية لمواقع الصناعات ومنشآتها والخدمات التى تقوم عليها وانشاء مصنعين للسماد العضوى ولزيادة انتاجية صناعة مواد البناء علاوة على الاهتمام بالصناعات الخفيفة وعلى الأخص ما يتعلق منها باحتياجات المواطنين الاساسية كما توالى الحكومة دعمها لهذا النشاط فى مجال الدراسات لاعداد خطط تنفيذ صناعات جديدة بالاضافة الى الأبحاث والتجارب الزراعية فى مجال التربية والمياه والثروة الحيوانية واستصلاح الأراضى وانشاء المزارع النموذجية للانتاج الزراعى علاوة على عمليات التشجير وانشاء الحدائق .

كما يتضمن النشاط الصناعى المشروعات التى تشرف عليها ادارة شئون البترول لتطوير حقول الآبار والدراسات المتعلقة بذلك وتلك الخاصة بالمؤسسة القطرية العامة للبترول التى تستهدف تنمية مصادر الدولة من الزيت الخام والغاز الطبيعى .

وبلغت الاعتمادات المخصصة للاسكان والمبانى العامة ١٣٠٦ مليون ريال بما يستهدف توفير سبل الحياة الكريمة لجميع المواطنين بالاضافة الى زيادة المناطق العمرانية فى المدن والقرى والمناطق السكنية المختلفة واستمرار خطة الدولة فى تحديث مبانى الوزارات والادارات الحكومية كما يتضمن هذا النشاط المبانى الجديدة فى الخليج العربى وامسيعيد ومناطق أخرى مختلفة علاوة على استكمال برنامج بناء ٢٠٠٠ مسكن شعبى جديد فى مناطق متفرقة من البلاد بالاضافة الى الخدمات العامة لمناطق اسكان جديدة وبناء مخازن للمواد الغذائية وبناء العديد من المساجد فى الدوحة والمدن والقرى المختلفة كما يتضمن هذا النشاط مبلغ ٣٠٠ مليون ريال لصندوق القروض العقارية وقروض الاسكان بالاضافة الى ما يقدم من دعم للقطاع الخاص فى هذا المجال مما يدل على اخذ الدولة بزمام المبادرة فى معالجة اى اختناقات قد تحدث فى مجال الاسكان نتيجة التطور والنمو الاقتصادى المتزايد فى البلاد .

ورصدت الدولة لمشروعات خدمات المجتمع مبلغ ٥٨٧ مليون ريال لتنفيذ العديد من المشروعات الثقافية والاعلامية والرياضية والترويحية

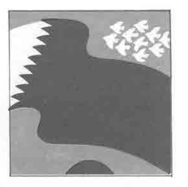
وايمانا من الدولة بأهمية دور العلم فى التقدم والرقى وبأن رفعة الأمم والشعوب رهن بتعليم ابنائها فقد أولت هذا النشاط جل اهتمامها ورصدت للمشروعات الخاصة به مبلغ ٧٧٧ مليون ريال

وتشهد الرعاية الصحية التى توفرها الدولة طفرة من منطلق تعميمها وتطويرها باستكمال بناء وتجهيز مستشفى حمد العام والتوسع فى بناء المراكز الصحية الجديدة .. لتؤدى خدماتها لكافة المواطنين فى انحاء البلاد بالاضافة الى انشاء مستشفى جديد للنساء بتكلفة اجمالية ٣٠٠ مليون ريال علاوة على التعديلات والاضافات والتحسينات بكل من مستشفى النساء الحالى ومستشفى الرميلة والعيادات الطبية المختلفة ولقد ادرج مبلغ ٢٣٠ مليون ريال لهذه الأعمال .

ولأن الطاقة الكهربائية والمياه العذبة هى عصب الحياة واساس التطور الاقتصادى والاجتماعى لذا فان الدولة توليهما اكبر الاهتمام سواء من ناحية زيادة الانتاج او توسيع نطاق التوزيع لتوفير احتياجات المواطنين وخدمة اغراض الصناعة والزراعة فقد خصص لهذه الأنشطة مبلغ ٢٣٤١ مليون ريال

ونظرا لأن قطاع النقل والمواصلات والطرق يعتبر احد ركائز النشاط الاقتصادى والاجتماعى فى البلاد فان مخصصاتها التى بلغت ١٠٥٩ مليون ريال بموازنة هذا العام تدل على اهتمام الدولة بكل فروع هذا القطاع من نقل برى وبحرى وجوى وخدمات الهاتف والبرق والاتصالات عبر الأقمار الصناعية والخدمات البريدية وشبكات الطرق الحديثة داخل المدن وخارجها وانشاء الجسور العلوية لمعالجة اختناقات المرور بالميادين الرئيسية

وهناك نشاطات اخرى تشمل المشروعات الخاصة بالأمن والدفاع والدراسات والأبحاث الفنية كما يندرج تحتها مبلغ ١٠٠٠ مليون ريال خصص لاستملاكات الأراضى .
ومما تقدم يتبين ان الموازنة الجديدة باهتماماتها بالنشاطات المختلفة والمتنوعة ارتكزت على اسس ومبادىء نبعت من واقع المسئوليات الكبيرة الملقاة على عاتق الدولة فى النهضة الشاملة للبلاد والتطوير الاجتماعى لأفراد المجتمع القطرى ومن منطلق تحقيق القوة الذاتية للدولة ماديا ومعنويا فى ظل القيادة الرشيدة لحضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى وولى عهده الأمين .



خطة لصحة المواطن حتى عام ٢٠٠٠



بقلم: الدكتور حجر أحمد حجر
وكيل وزارة الصحة

فى خلال السنوات القادمة سيكون هناك حصر وتقييم كامل للنظام الصحى فى دولة قطر .. ومن خلال الجهود الاحصائية ستوضع خطة صحية شاملة فى البلاد حتى عام ٢٠٠٠ ميلادية ، وذلك اسوة بأحدث النظم المطبقة فى دول العالم

تقتضى التنمية الاقتصادية والاجتماعية اجراء تحسينات تدريجية فى الظروف المعيشية وفى نوعية الحياة التى يتمتع بها المجتمع ويعيشها افراده . وتلك عملية مستمرة فى جميع المجتمعات ، وقليل منها يمكن ان يدعى انه قد استكمل حظه من التنمية .

ولما كانت الرعاية الصحية هى المدخل الى بلوغ الجميع مستوى مقبولا من الصحة فهى تساعد الناس على الاسهام فى تنمية انفسهم اجتماعيا واقتصاديا . ولا يمكن ان يقوم الفرد بدوره الكامل فى المجتمع ، الا عندما يكون فى مستوى مقبول من الصحة ، وبذلك تكون التنمية الصحية اساسية للتنمية الاجتماعية والاقتصادية ، وهناك ترابط وثيق بين وسائل بلوغها جميعا . ويستتبع ذلك ان تكون الرعاية الصحية جزءا لا يتجزأ من التنمية الشاملة للمجتمع .

لقد خطت دولة قطر ـ ومنذ تولى صاحب السمو امير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مقاليد الحكم ـ خطوات عملاقة فى مضمار التقدم والرقى واستوجب ان ينعكس ذلك على المستوى الصحى للمواطن وكان لزاما الاسراع بالعجلة الصحية لمواكبة هذه الخطة التنموية الطموحة عن طريق بلوغ ارفع مستوى صحى ممكن .

ان الافكار والمبادىء التى تهدف اليها فلسفة الصحة فى دولة قطر ترتكز على المفهوم المتكامل للصحة وبمعنى ان الصحة ليس غياب المرض فقط وانما هى حالة متكاملة جسميا وعقليا واجتماعيا . لذا لزم تأسيس البناء الصحى على ركائز اربعة هى الوقائية والعلاجية والتأهيلية والادارية .

طبيب العائلة

لقد سارت وزارة الصحة العامة وتسير الآن فى خطين متوازيين اولهما تطوير وتحسين الخدمات الصحية الموجودة وثانيهما خلق تلك التى تفى بالاحتياجات الصحية للفرد . ومن اجل ذلك نفذت الوزارة خطة طموحة لا مجال لذكرها كاملة الا اننا نستطيع ان نوجزها فى عدة امور :

الرعاية الصحية الأولية

واهم القواعد الثابتة والمساندة لباقى الخدمات الصحية ومترابطة معها هى

خدمات الرعاية الصحية الأولية الشاملة التى تقدم للجميع على مستوى رفيع من الكفاءة الفنية والكلينيكية حريصة على تغطية كافة سكان دولة قطر اينما يقطنون وبسهولة الوصول الى امكنة خدماتها بالاضافة الى وضع نظام فعال يربط هذه الخدمات فى تفاعل تام مع خدمات الاخصائيين والمستشارين الطبيين فى المستشفيات هذا بالاضافة الى ارتباطها بالخدمات الصحية والاجتماعية الأخرى فى الدولة . ومرت هذه فى مرحلتين هما :

ـ تعزيز المراكز الصحية الموجودة مثل المراكز الصحية بمدينة الشمال والخور وام سعيد والوكرة .

ـ انشاء ثمانى مراكز صحية جديدة فى مناطق بني عمران والشحانية والنعيجة والجميلية والغويرية ومدينة خليفة والريان وام غويلينة والسد والمنتزه وام صلال والعسيري والغرافة .

وتقدم هذه المراكز خدماتها ضمن اطار طبيب العائلة ومعتمدة على نظام التسجيل الصحى الهادف الى ايجاد نظام صحى موحد يسجل عليه كل مواطن ومقيم ويمنح بموجبه بطاقة صحية تحمل رقما صحيا موحدا يستعمل فى جميع الخدمات الصحية بالوزارة وبعد تسجيل المواطنين والمقيمين يوزعون على مراكز صحية قريبة من منطقة سكنهم بحيث يحدد كل مواطن او مقيم مركز صحى واحد يراجعه عند الحاجة ويوضع به السجل الطبى والصحى الخاص به وبحالته الصحية ومن الجدير بالذكر اننا قد بدأنا العمل بهذا النظام فى منتصف عام ١٩٨١ م .

أهداف مستشفى حمد

وقد كان من ضمن الأهداف التى اقيم من اجلها مستشفى حمد :

اولا : تقديم ارقى الخدمات الصحية من الناحية النوعية والكمية بحيث تشمل :

أ ـ قليلا من الرعاية الاولية الخاصة بالحالات الاضطرارية .

ثانيا : تقديم ارقى الخدمات الطبية الثانوية التخصصية .

ثالثا : تقديم اعلى مستويات الخدمة الطبية الفرعية فى الاختصاصات الفرعية فى جميع حقول الطب سواء كان ذلك فى الامراض الداخلية او الجراحية او الاطفال او النسائية والتوليد بالاضافة الى الفروع المتخصصة الأخرى .

رابعا : ان تتولى مؤسسة حمد موضوع التعليم والتدريب الطبى المستمر لكافة الاطباء فى دولة قطر سواء كانوا ممن يعملون بشكل مباشر بمستشفى حمد او مؤسسة الرعاية الصحية الأولية وغيرها :

قام المسئولون فى مستشفى حمد بالعمل الدؤوب على تنسيق الجهود مع الدول العربية الأخرى ومؤسساتها الرسمية وغير الرسمية لخلق برنامج تدريب اختصاصى فشاركت المؤسسة بالهيئة العربية العليا للتخصصات الطبية ومجالسها الأولى الاربعة، اخص بالذكر :

ـ الأمراض الداخلية .
ـ الجراحة العامة .
ـ الأطفال .
ـ النسائية والتوليد .

واضعين هذه الاهداف نصب العين . وقد عمل المسئولون فى هذه المؤسسة منذ البداية على استقطاب العدد الكافى من الاخصائيين ذوى الكفاءات العالية من العالم العربى أو ممن استهوتهم ظروف الحياة فى الدول الامريكية والأوروبية ووجدوا فى مستشفى حمد مؤسسة يستحق الرجوع اليها . لذا قام المسئولون بالاتصال مع هؤلاء بشكل فردى او عن طريق اعلانات فى الصحف الطبية المتخصصة المتعددة وقاموا بمقابلة الكثيرين منهم واضعين الامكانيات المالية للبحث العلمى كمشجع اساسى للعودة الى هذا البلد العربى .

وذلك تحضيرا لوضع برنامج علمى متخصص لتدريب العاملين من الاطباء العامين بعد انهاء فترة تدريبهم الأولية لكى يكونوا مختصين . حيث ان فرص التخصص فى البلاد الغربية وامريكا اصبحت شبه مقفولة امامهم . بالاضافة الى ان كثيرا من الجهود والمال يذهب سدى باقامة هؤلاء الاطباء خارج وطنهم العربى . بالاضافة كذلك الى ان كثيرا منهم تستهويهم الحياة الغربية فيقرروا البقاء فى هذه البلاد دون العودة الى بلدهم . قام المسئولون ايضا بالتعاون مع بعض المؤسسات الطبية فى البلاد العربية لوضع الخطوط الأولية لاقامة تعاون اكاديمى بين هذه المؤسسات



لقطتان لمستشفى حمد العام الجديد



خطة لصحة المواطن حتى عام ٢٠٠٠؟

الجامعية ومؤسسة حمد الطبية مما سيكون له الفائدة الكبرى على كلا المؤسستين فى المستقبل .

ورغم ان الافتتاح الرسمي لمستشفى حمد تحت رعاية امير البلاد المفدى سيكون فى ٢٢ فبراير ١٩٨٢ م الا انه تسهيلا للمهمة الطبية فقد بدأ المستشفى بتقديم بعض الخدمات الطبية لأهل قطر منذ ١٦/١/١٩٨٢ . حيث بدات بعض العيادات التخصصية باستقبال المرضى واخص بالذكر :

- الغدد الصماء .
- امراض الأعصاب .
- امراض العيون .
- امراض الانف والاذن والحنجرة .

وقد اتخذ القرار قبل ايام بابتداء العناية المرضية فى داخل المستشفى بداية من اول فبراير ١٩٨٢ م حيث قد تشمل قسما مبسطا من الامراض الداخلية والسكرى والغدد الصماء وبعض مرضى القلب . كما ستبدا فى ١٥ فبراير استقطاب بعض الأطفال المرضى مما يتناسب مع سياسة المستشفى العامـــة بتقديم الخدمات الطبية المتخصصـــة تدريجيا كلما استكمل قسم من الاقسام .

اما افتتاح المستشفى فى ٢٢ فبراير ١٩٨٢ م فستكون البداية الرسمية للعمـل الدؤوب الذى نتوقع ان يتم فى اول يوليه ١٩٨٢ م حيث سيكمل اســـتقطاب كافة الاخصائيين . اما القوى العاملة التى استقطبت الى الآن فهى كما يلى :

حقل التخصص	عدد الاخصائيين
امراض القلب	٢
امراض الصدر والرئة	٢
امراض المعدة والامعاء	٢
امراض الدم والسرطان	٢
امراض الــكلى	١
امراض الغدد الصماء	٢
امراض الاعصاب	٢
الامراض النفسية	٢
الامراض الجلدية	٢

كذلك استقطب فى فرع الأطفال (٤) من المستشارين ذوى الكفاءة العالية وفى قسم النساء (٣) بالاضافة الى ان قسم الجراحة بدا باستكمال ما كان ينقصه من الاختصاصيين فى امراض العظام والتخدير والمجارى البولية والجراحة التجميلية وسيباشر معظم هؤلاء قبـــل ١/٧/١٩٨٢ م .

اما النواحى البحثية فقد قام المستشفى منذ مدة بالتنسيق الى لقاء علمى بين المستشارين فى هذا المستشفى ومقابليهم من بعض الاخصائيين فى فرنسا لاقامة اسبوع علمى بحثى فى شهر مايو ١٩٨٢ م . ويعمل المستشفى على قيام اسبوع بحثى محلى فى اواخر هذا العام .

اما التدريب للعاملين فى هذا المستشفى فقد بدا على مستوى التمريض ومستوى السكرتارية والمترجمين والعـــاملين فى العيادات الخارجية . وقد بدات بوادر النجاح تظهر فى المعاملة اليومية للمرضى الذين بدأوا يؤمون العيادات الخارجية فى هذا المستشفى .

خدمات المستشفيات

وتشمل المستشفيات العامة كمستشفى حمد العام (٦٦٠ سرير) ومستشفى الرميلة العام (٤٧٠ سرير) بالاضـــــافة الى المستشفيات التخصصية كمستشفى الولادة وامراض النســـاء (١٨٩ سرير) ومستشفى الدوحة للامراض المزمنة والدرن (١١٢ سرير) ومستشفى العـــزل (٢٥ سرير)

اما للافراد ذوى الامراض المستعصية فانهم يحولون اما الى الخارج للعـــلاج او يعرضون محليا على كبار الاخصائيين الاستشاريين العالميين عن طريق برنامج زيارتهم الدورية .



العناية الطبية

لقد انشىء مستشفى حمد العام لمواجهة العناية الصحية المتخصصة للاهـــالى وسيخدم المستشفى كمركز تخصصي تحويلى للمرضى من والى شبكة خدمات الرعاية الصحية الاولية ، كما يعمل على اقامة علاقات مع المؤسسات الطبية الخليجية والعربية والعالمية لتبادل الخبرة والمعلومات الثقافية فى الامور الصحيـــة والطبية والتقنية .

تضم منشآت المرضى فى المستشـــفى وحدات مخصصة للرعاية الطبية الباطنية والجراحة العامة فى معظم تخصصاتها والعناية الجراحية المركزة والعناية الطبية المركزة ، رعاية امراض القلب المركزه والعناية بالحروق ، العظام ، الأطفـــال والعناية المركزة للاطفال وخدمات امراض العيون ... الخ ... ووحدة الكلى الصناعية .

ويحتوى المستشفى كذلك على ثمانى غرف للعمليات تدعمها تسهيلات الانعاش الكاملة .

ويمكن لجميع وحدات المستشفى العمل لدعم دائرة الطوارىء والحوادث الكبيرة اذ تتوفر فيه عشرة غرف لفحص ومعالجة ضحايا الحوادث واثنان وعشرون سريرا للمراقبة .

الصحة الوقائيـــة

تقوم الوزارة من خلال مجموعة كبيرة من المراكز المنتشرة فى مختـــلف المنـــاطق والموانىء الجوية والبرية والبحرية باعمال مراقبة المسافرين والقادمين بطريق الجـــو

والبحر والبر وتنفيذ القوانين والاتفاقيات الصحية الدولية . بالاضافة الى مراكز مكافحة الامراض المعدية والتحصين باللقاحات الواقية منها وتسجيل المواليد والوفيات . كما تقوم بالاشتراك مع البلدية وادارة المياه بوزارة الكهرباء والماء ومن خلال المركز الاقليمى لرقابة الاغذية – وهو مختبر علمى على كفاءة علمية عالية – بمراقبة الاغذية ومياه الشرب .

كما انشات اقساما مختلفة مثل قسم الصحة المهنية وقسم رعاية الأمومة والطفولة وقسم الصحة الغذائية وقسم الاحصاء الحيوى وتدعيم مختبر الصحة العامة .

القوى العاملة

وقد تم تخريج دفعات من الكوادر القطرية فى المجالات الصحية والطبية كالاطباء والممرضات والمفتشين الصحيين . اما بالنسبة للصنفين الاخرين فقد تم تدريبهما محليا . ويقوم هؤلاء الآن بتحمل مسئوليات قيادية فى مجالات اختصاصاتهم

كما تم تنظيم برنامج لتدريب عدد من الاداريين القطريين بالوزارة فى ايرلندا .. ولقد عادوا بعدها لاستلام مراكز قيادية فى مجالات عملهم المختلفة .

الخبرات الدولية

لقد حرصت الوزارة منذ البداية الاعتماد الكبير على الخبرات الدولية لتحسين خدماتها الصحية وفى سبيل ذلك :

– اصبحت دولة قطر سنة ١٩٧١ عضوا كاملا فى منظمة الصحة الدولية واصبحت كذلك عضوا فى مجلس وزراء الصحة للدول العربية فى الخليج سنة ١٩٧٦ وتشارك بفعالية فى اجتماعات اللجان الفنية المتعددة والمنبثقة عن الامانة العامة التابعة للمجلس المذكور . ولقد اثبت هذا المجلس خلال سنواته الست الاخيرة اهمية وسهولة التنسيق فى المجالات الصحية بين دول المنطقة لما فيه من تحسين للمستوى الصحى لمواطنيها .. بالاضافة لما تقدم من مشاركة فى اعمال مجلس وزراء الصحة العرب التى هى عضو فعال فيه ايضا .

– ابرمت دولة قطر عدة اتفاقيات صحية مع كل من ايرلندا وفرنسا والدنمارك واستراليا ومصر والسودان وجامعة بيروت الامريكية .

– استضافت الدولة مؤتمرين هما الاجتماع السنوى لاقليم شرق البحر الابيض المتوسط التابع لمنظمة الصحة العالمية (٢٣ دولة) عام ١٩٧٩ وكذلك المؤتمر السادس لمجلس وزراء الصحة للدول العربية فى الخليج عام ١٩٧٩ .

الصحة والمستقبل

اما بالنسبة للمستقبل فان الوزارة ستقوم بتوسيع شبكتها للرعاية الصحية للمواطنين عن طريق انشاء مراكز صحية جديدة فى ضواحى الدوحة : النجمة ، المنصورة . السلطة . الجديدة وخليج الدوحة الغربى اما خارج الدوحة فستعمل على افتتاح مركز صحى بقرية الذخيرة بالاضافة الى تقييم الخدمات المتاحة فى المراكز التى افتتحت تمهيدا لتطويرها .

اما بالنسبة للمستشفيات فان الوزارة حريصة على تعزيز مستشفى حمد العام وكذلك بدىء فى انشاء مستشفى جديد للنساء والولادة يضم (٣٣٠ سريرا) يكون على شكل ملحق لمستشفى حمد العام . وسينتهى العمل به خلال العامين القادمين .

أما بالنسبة لمستشفى الرميلة العام فسيحول الى مستشفى لخدمات طب المسنين والامراض النفسية والعقلية والعناية الطبية المطولة وخدمات التاهيل المتكاملة للكسور والشلل وغير ذلك وتركيب الاطراف الصناعية وغير ذلك من التاهيل مما يكمل الخدمات العلاجية الاخرى . ويقوم الآن فريق استرالى فى التخطيط والتنفيذ لذلك . وستقوم الوزارة كذلك بتعزيز خدمات الصحة الوقائية لتاخذ دورها المطلوب فى الوقاية من الامراض .

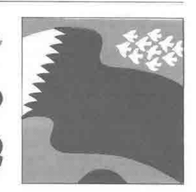
ومن اجل ارساء النظام الصحى على اسس علمية سليمة قامت الوزارة اخيرا بتوحيد الجهود الاحصائية بالوزارة للخروج بنظم للمعلومات الصحية المتكاملة لتكون الدعامة الاساسية لعملية التخطيط الصحى الشامل لدولة قطر والتى ستشمل فى خلال السنة القادمة حصرا وتقييما كاملا لنظامنا الصحى الوطنى لنستطيع من خلاله وضع خطة صحية شاملة لدولة قطر حتى عام ٢٠٠٠ اسوة بدول العالم المتقدمة

لقد كانت تلك لمحة خاطفة لبعض ما حققته وزارة الصحة العامة فى الاحدى عشر سنة الماضية اما بالنسبة للمستقبل فاننا سنسعى جاهدين الى الاستفادة من اخطاء الماضى ونبنى على ذلك اساسا منيعا يكون لبناية الاسلوب العلمى الصحيح .

لاشك ان معايير التقدم البشرى عديدة الا اننا نعتبر ان اهمها هو المستوى الصحى الوطنى .. وفى سبيل تحقيق ذلك المستوى الصحى الرفيع نحاول دائما وباقصى ما نستطيع توفير الرعاية الصحية والطبية للمواطن الا ان مسئولية المواطن تجاه صحته هى الضمان الاول لها ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : (ان لبدنك عليك حقا) .

د . حجر احمد حجر

معهد التدريب الصحى



عشر سنوات من التوجه الحضاري في الإعلام القطري

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري
باريس

الوجه الثقافي ، الفني ، الأدبي ، الفكري للاعلام القطري - أي بكلمة الوجه الحضاري - هو من المنجزات الغالية التي يتوجب تسجيلها في صفحة هذه النهضة الاعلامية الواعية والمثمرة ، التي رافقت النهضة الشاملة التي شهدتها دولة قطر العربية في العشر سنوات الماضية بقيادة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني قائد هذه الدولة الفتية ومؤسس نهضتها وباني تاريخها الحديث .

وفي هذه الذكرى التي ترمز لعشر سنوات متواصلة من العمل التأسيسي ، فان من واجب الوفاء علينا ، كرجال قلم وثقافة ودعاة تنوير فكري ، أن نلتفت الى هذا الجانب الثقافي الحضاري في سياسة سمو الأمير القائد الذي ركز منذ البدء على قضية بناء الانسان وتنمية قواه الفكرية والاخلاقية والروحية كهدف وكغاية للنهضة وللتنمية ولسياسة الدولة في كافة الميادين .

فمثل هذا التوجه هو أحوج ما تحتاج إليه الأمة العربية كلها في زمنها الحاضر الصعب ، وهو ما يبحث عنه ويطالب به رجال الثقافة العربية في كل مكان لأن تنمية الانسان حضاريا هو ما يقيل الامم من عثارها ، ويرد عنها المحن وكيد الأعداء ، ويفتح أمامها طريق النهضة

عيسى غانم الكواري
وزير الاعلام



محمد عبد الرحمن الخليفي
وكيل وزارة الاعلام

دور الإعلام القطري لإبراز الكلمة الهادفة والحقيقة النيّرة

والكرامة .

وإذا ما وجد المثقف العربي في الحاكم العربي مثل هذا التوجه الحضاري المثمر - الذي يتجلى بوضوح في سياسة قائد قطر العربية - فان واجب الكلمة يحتم على كل مثقف عربي - أيا كان موطنه وموقعه - ان يشيد بهذه السياسة المتحضرة الرشيدة وان يكون عضدا لها خدمة للنهضة العربية الجديدة المأمولة التي هي غاية كل عربي مخلص حاكما كان أو مواطنا ، مسئولا كان أو مفكرا .

ومع دخول هذه السنوات العشر الحافلة في تاريخ قطر والخليج والعرب ، بحجمها وأبعادها ، فان مساحة الاشعاع الحضاري للاعلام القطري تتسع هي الأخرى بمساحة السنوات من الجهد والعمل ، لتتجاوز حدود قطر ، وحدود الخليج وتصل الى مشرق الوطن الكبير ومغربه لترفد أمتها العربية بما في روح قطر وروح الخليج من أصالة عربية ومحبة عربية سمحة تسعى لتجاوز محن الزمن الصعب الى زمن الخلاص المقبل قريبا باذن الله ، بقيم العمل والصبر والنظرة البعيدة والايمان بقدرة الأمة والتفاؤل بالمستقبل والاصرار على المشاركة في السراء والضراء ، وسائر مقومات الروح العربية المتأصلة في أهل هذا





مجموعة من اللقطات تمثل بعض مظاهر الوجه الثقافي في دولة قطر .. الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية .. والمسرح الجديد .. ثم المحطة الأرضية للاتصالات الفضائية .. واخيرا متحف قطر الوطني

الركن العربي المكين : خليجاً وجزيرة ، بادية وحاضرة .

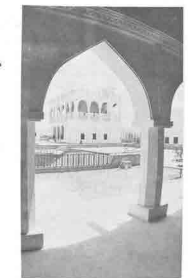
●●●

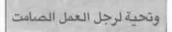
وها هي ذي مجلة « الدوحة » كمنبر من منابر هذا الاشعاع الحضاري ، تؤدي باسم قطر لأمتها العربية في مطلع كل شهر خدمة الكلمة الهادفة والحقيقة النيرة ، خدمة خالية من كل غرض ، مجردة لوجه الثقافة العربية ، هادفة لكل ما ينهض بالروح العربية ويساعد على التئام الجراح العربية .

هذا بينما تتفوق وتتألق الفرق القطرية من فنية ومسرحية في مختلف المحافل العربية وتنال قصب السبق بين الأشقاء في مجالات الاستحقاق مبشرة بقدوم موسم الحصاد لانماء الانسان وبناء الانسان الذي أراده القائد .

وكأساس مكين لهذه الانطلاقة نحو المستقبل ، يعود الاعلام القطري لانشاء ورعاية مركز التراث الشعبي الخليجي ، متعاوناً مع الاشقاء كافة ، تأكيداً لأصالة النهضة المنشودة وعودة لجذورها الراسخة .

والواقع أن تعداد المآثر الثقافية للاعلام القطري حديث يطول ويستحق رصداً أطول ولكنها مآثر بينة واضحة يستطيع أن يدرك حقيقتها بتجرد من يقدر جهد العاملين ويعطي كل ذي حق حقه .





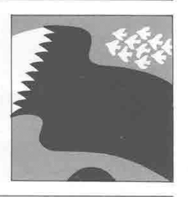
وتحية لرجل العمل الصامت

ثم يبقى في النهاية من واجب الوفاء لرجال امتنا المخلصين العاملين بصمت وجهد وتجرد ، أن نسجل ، أمانة للحقيقة ، جهاد رجل صامت ، بعيد عن الأضواء ، رغم قربه منها ، بعيد عن الظهور رغم نشاطه الجم .. رجل أحب عمله حبه لأمته وبلده وقائده ، فاعطى الكثير من جهده ووقته وفكره ، وأصبح — بتواضع — رائد العمل الاعلامي المتحضر الهادىء المستنير ، ليس في قطر وحدها ، وانما في منطقة الخليج كلها ، وصار مثالا يعتز به من يريدون النهضة والتقدم لهذه المنطقة ، ويقدمونه وجهاً مشرفاً لهم امام امتهم العربية .

هذا الرجل بطبيعة الحال هو سعادة الأستاذ عيسى غانم الكواري وزير الاعلام القطري ، وأبرز وجوه الاعلام الخليجي والعربي ، الذي كان اختياره من قبل سمو الأمير القائد لهذه المهمة اختياراً من جانب سموه للعمل الدؤوب والتفكير المتفتح المستنير .

هذا الرجل هو الفنان الذي أبرز الملامح المشرقة للوجه الحضاري للاعلام القطري ليكون علامة امل مضيء ، في الزمن الصعب ، لرجال الكلمة الخيرة في خليج العرب ووطن العرب الكبير .

د . محمد جابر الانصاري — باريس



الأمن الغــذائي أهــم أهداف التنميـة الزراعية



بقلم
المهندس أحمد عبدالرحمن المانع
وكيل وزارة الصنـاعـة والزراعـة

الزراعة هى اقدم الانشطة الاقتصادية التى مارسها الانسان منذ خلق الله الأرض وما عليها ، فقد تلت مباشرة مرحلة الرعى والبداوة . وبظهور الزراعة كنشاط اجتماعى ذات طابع اقتصادى ، قامت الدول وبدأت الحضارات ، فحيث توجد الزراعة توجد الحضارة ، نظراً لما قدمته الزراعة من المأكل والمشرب والملبس ، فتفرغ جزء من المجتمع لنشاطات أخرى ، كما قدمت الزراعة الخامات اللازمة للمئات من الصناعات القديمة والحديثة ، فنشأت المجتمعات الحضرية وازدهرت نشاطات الصيد والصناعة والتجارة والخدمات وتوسعت ميول الانسان فى التخصص الانتاجى ومن ثم نشأت المقايضة كنظام تسويقى ، كانت تمهيداً لظهور النقود كوسيلة للتبادل بين الناس داخل الدولة الواحدة وبين الدول المختلفة بعضها البعض .

اما فى دولة قطر ، فالزراعة هى نشاط حديث العهد ، حيث ان الزراعة بمفهومها الكلاسيكى لا تقوم إلا حيث يتوافر الماء الصالح للنبات سواء كان ذلك الماء فى صورة أمطار أو انهار ، ومن هنا ظل الصيد (اللؤلؤ والأسماك) هو النشاط الاقتصادى الرئيسى للسكان ، حتى شاءت حكمة الخالق ان يتدفق الذهب الأسود حاملا معه بريق الأمل فى ركب الحضارة الانسانية وبناء الدولة العصرية .

زراعة الصحراء

وفى ظل هذا الأمل لتحقيق تنمية قطرية شاملة ، كانت توجيهات حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى امير دولة قطر المفدى وسمو ولي عهده الأمين الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ، بأن تتجه الجهود نحو زراعة الصحراء لتحقيق الأمن الغذائى للوطن وللمواطن من ناحية ولخلق نشاط اقتصادى يساهم بطريق مباشر وغير مباشر فى التنمية القطرية الشاملة .

وبناء على ذلك ، فمنذ تولى بانى النهضة القطرية الحديثة ، حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى مقاليد الحكم فى البلاد ، بدأت عمليات المسح الشامل للموارد الزراعية بتركيز على كل من الأرض والمياه . فاذا بالمساحات الممكن زراعتها هى فى حدود ثلاثمائة الف دونم .

امـا المياه الصالحـــة للرى ، وهى مياه الخزان الجوفى ، فقد بينت الدراسات ان عملية السحب منها للرى لابد وان تكون فى اطار ما يسمى «معدل السحب السليم للمياه» وهو ما يعنى الا يتجاوز حجم السحب السنوى من

الخزان الجوفى حجم الاضافة اليه من كافة المصادر ، وهى الأمطار والرشح السطحى الناتج عن عمليات الري ، ذلك لأنه فى حالة تجاوز هذا المعدل يصبح الخزان الجوفى مهددا بالاستنزاف من ناحية ، وتملح مياهه من ناحية اخرى .

ويقدر معدل السحب السليم للمياه من الخزان الجوفى بدولة قطر بحوالى ٤٢ مليون متر مكعب سنوياً ، وهو قدر يكفى لزراعة مساحة محصولية تتراوح ما بين ثلاثين الف الى خمسين الف دونم بحسب التركيب المحصولى الفعلى بالدولة .

المناخ والسلالات المحلية

ونظرا لعدم وجود سلالات محلية سواء للمحاصيل الزراعية او لقطعان الثروة الحيوانية عملت الدولة على استيرادها من الخارج وتوزيعها على المنتجين والعمل على اقلمتها ، وهذا يستدعى عدداً طويلا من السنوات حتى ليصبح لدينا اعداد كافية من السلالات المحلية المتوافقة مع الظروف البيئية لدولة قطر .

أما المناخ ، فيمثل عاملا اخر من العوامل المحددة للتنمية الزراعية القطرية ، فخلال فترة تزيد عن ثلث السنة تصل درجة الحرارة الى حوالى ٣٥ درجة مئوية فى المتوسط ، مع درجة رطوبة تصل الى ستين بالمائة فى المتوسط .

واخيراً ، وليس آخراً ، فاذا طرحنا جانباً عدم وجود بنية اساسية او هياكل ارتكازية ، أو مشروعات زراعية قائمة حتى عام ١٩٧١ م ، فان محدودية عدد السكان ، وطبيعة المجتمع القطرى الذى يعيش بكامله كاسرة واحدة ، أدى الى ضيق نطاق السوق المحلى .

زيادة المزارع

وفى ضـــوء كـل ما ســـبق ، تحددت الملامح الرئيسية للسياسة الزراعية القطرية فى دعم القطاع الزراعى دعماً مادياً وعينياً واعطائه الدفعة اللازمة لنموه فى ضوء سياسة رشيدة لاستخدام الموارد للمحافظة عليها ، والعمل على معظمة المردود الكمى والنوعى من استخدامها . وقد تمثل ذلك فى :ـ

● اداء كافة الخدمات الزراعية للمزارع القائمة .

● تقديم الشتلات والتقاوى الجيدة الصفات لجميع المزارع .

● استكمال البنية الأساسية اللازمة للقطاع الزراعى .

● اقامة عدد من مشروعات الهياكل الارتكازية للتنمية لتكون بمثابة مشروعات رائدة لاستثمارات رؤوس الأموال الخاصة ، وهذه المشروعات هى مؤسسة الدواجن القطرية ، ومزرعة الأغنام بأبو سمره ، وشركة قطر للاسماك .

● اجراء الحصر التصنيفى للاراضى المزروعة والأراضى القابلة للزراعة .

● ترشيد استخدامات المياه ، فضلا عن البحث عن مصادر جديدة للمياه من خلال تحلية مياه البحر .

● المسح الاحصائى والاقتصادى الشامل لجميع المزارع القائمة .

● اقامة مزرعتين للبحوث الزراعية والمائية .

وقد ادت تلك السياسة ـ بحمد الله وتوفيقه ـ الى ان تتزايد اعداد المزارع القائمة بدولة قطر عاما بعد اخر ، وان تزداد المساحة المحصولية تبعاً لذلك ، كما رافق ذلك زيادة الانتاج الكمى من مختلف السلع الزراعية .

وتمثل محاصيل الخضر الجزء الأكبر من المساحة المحصولية فى دولة قطر (حوالى ٥٠٪) كما انها تحتل اهمية اجتماعية وسياسية واقتصادية من وجهتى نظر كل من الحكومة والسكان ، وذلك للاسباب التالية :

● ـ طبيعة نمط الاستهلاك اليومى للخضروات .

● ـ الخضروات هى احدى السلع الضرورية التى تلى فى أهميتها الخبز والأرز ، ومن ثم فان الطلب عليها يتسم بضالة المرونة أو بمعنى اخر تتسم بمحدودية الاستجابة السعرية من جانب المستهلكين .

● ان الخضروات شانها فى ذلك شان أية سلعة زراعية يتسم عرضها بعدم المرونة ، بمعنى عدم سرعة استجابة الكميات المعروضة للتغيرات السعرية فى السوق نظراً لاحتياجاتها المناخية والبيئية والفترة الزمنية بين الزراعة والحصول على المحصول .

● ويترتب على العوامل الثلاثة السابقة أن أى تغييرات فى أى من العرض أو الطلب على الخضروات ـ أو كليهما معاً ـ حدوث تقلبات حادة فى الأسعار بين فترة واخرى .

عطاء الأرض الطيبة



الأمن الغذائي أهم أهداف التنمية الزراعية

الأمن الغذائي

ولما كانت السياسة القطرية تستهدف تحقيق الأمن الغذائي للمواطن فكان لزاماً على الدولة ان تعمل جاهدة على استقرار امدادات الخضر بصورة منتظمة ويومية الى مختلف مناطق توزيع الخضر بالدولة . هذه الامدادات من الخضروات الطازجة تاتى من مصدرين وحيدين ، هما :

– الانتاج المحلى .

– الاستيراد .

أما بالنسبة الى الاستيراد ، فلم تضع الدولة اية قيود على استيراد الخضروات ، سواء فى ذلك القيود الكمية او القيود النوعية ، أو القيود الجغرافية أو القيود الجمركية . ومن هذا المنطلق تتدفق الواردات من الخضروات الطازجة الى دولة قطر بصورة شبه منتظمة حيث يتم تسويقها فى ظل مبدأ المنافسة الحرة Perfect Competition الامر الذى ادى بدوره الى توافر جميع الخضروات من مصادر متعددة بكميات تغطى أو تزيد عن احتياجات السوق وبأسعار تغطى فقط تكاليف انتاجها بمناطق انتاجها مضافا اليها تكاليف النقل وبعض بنود الهامش التسويقى..

وقد عمدت الدولة الى تشجيع التوسع فى اقامة البرادات مما ترتب عليه زيادة الطاقة التخزينية للمواد الغذائية بصفة عامة والخضروات بصفة خاصة والتى شيد من أجلها سوق الدوحة المركزى للخضروات والفاكهة وفق أحدث الانظمة السوقية .

أما بشأن الخضروات المحلية ، فقد وضعت الدولة سياسة تشجيعية لتنمية انتاجها بالكيفية التى تغطى الاحتياجات السكانية المتزايدة ، واهم بنود تلك السياسة هى تقديم الدعم المادى والعينى واداء جميع عمليات خدمة المحصول بدءاً من اعداد الأرض للزراعة وحتى جنى المحصول ، وكل ذلك يؤدى للمزارع بدون مقابل ، الأمر الذى خفف الجزء الاكبر من بنود التكاليف المتغيرة Variable Costs للانتاج ومن ثم صمود المنتجات الزراعية المحلية أمام الواردات النظيرة .

وترتيبا على ذلك فقد أصبح الانتاج المحلى من الخضروات يغطى حوالى اجمالى احتياجات السكان من الخضروات الطازجة خلال موسم الشتاء وحوالى نصف الاحتياجات خلال الموسم الصيفى .

تلبية الاحتياجات

وبشأن تلبية الاحتياجات

ماذا تعرف عن الصرح الصناعي في قطر؟

فى اطار التنمية الشاملة والاحتياجات العاجلة للنهوض بالمجتمع القطرى كان لابد من اقامة الصرح الصناعى الذى يضم الصناعات الثقيلة والخفيفة على حد سواء ، طبقاً لبرنامج علمى مدروس وشامل ، يستهدف استكمال البنية الأساسية وتنويع مصادر الدخل القومى ..

وقد رأينا فى السنوات الأخيرة :

● **فى فبراير الماضى افتتح سمو أمير البلاد المفدى مشروع مجمع البتروكيماويات الذى تبلغ طاقته التصميمية ٢٨٠ الف طن سنوياً من مادة الاثيلين و ١٤٠ الف طن سنوياً من مادة البولى إثيلين منخفض الكثافة و ٤٦ الف طن سنوياً من مادة الكبريت و ٥ الاف طن سنوياً من مادة البروبلين ..**

● **وفى نفس اليوم الذى افتتح فيه مجمع البتروكيماويات ، افتتح سمو أمير البلاد المفدى مشروع سوائل الغاز الطبيعى الذى يقدر انتاجه اليومى باكثر من ١٢٠٠ مليون قدم مكعب من الغاز غير المصاحب ، إضافة الى الغاز المصاحب للزيت الخام والذى يقدر بألف قدم مكعب لكل برميل منتج ..**

● مصنع الحديد والصلب فى أم سعيد وتكلف انشاؤه ١١٠٠ مليون ريال قطرى .. وارتفع انتاجه من القضبان الحديدية الى حوالى ٤٠٠ الف طن فى العام الماضى .



● مصنعان للأسمدة الكيماوية يحققان معدلات عالية فى الانتاج ، وتبلغ حجم العمالة فى المصنعين ٢٠ الف فنى وعامل وادارى .

● مصنع الأسمنت الذى يواجه متطلبات مرحلة الانتاج العمرانى ، وطاقته الانتاجية ٣٣٠ الف طن سنويا

● **والى جوار ذلك توجد صناعة استخراج النفط وتكريره ، وفى عام ١٩٨٣ يبدأ تشغيل مصفاة تكرير البترول الثالثة ليغطي الانتاج عقب ذلك كل زيادة متوقعة فى الاستهلاك المحلي من المنتجات البترولية حتى عام ١٩٩٥..**

● وهذا بخلاف مصنع للجير الحى بتكاليف ٢٦ مليون ريال قطرى ، ومصنع للسماد العضوى بتكاليف ٢٢ مليون ريال قطرى ، وبعض الصناعات الخفيفة والمتوسطة ..

السكانية من اللحوم والالبان ، فقد عملت الدولة على المحافظة على قطعان الثروة الحيوانية المختلفة من خلال تقديم الخدمات البيطرية المكثفة لحمايتها من الأمراض الوبائية والعمل على تنمية انتاج الاعلاف الخضراء اللازمة لها ، كما عملت الدولة على رعاية الحيوانات النادرة مثل المها . وفى محاولة لتكوين قطيع محلى جيد ومتجانس الصفات ، فقد انشات الدولة مزرعة للاغنام بمنطقة ابو سمرة لكى تقوم بانتاج الأمهات الجيدة الصفات وتوزيعها على المربين بأسعار تشجيعية ، هذا فضلا عن كون المزرعة مشروعا ارشاديا رائداً للقطاع الخاص .

كما انشات الدولة المؤسسة العامة القطرية للدواجن لتلبية جزء من احتياجات السكان من دواجن اللحم والبيض .

ونظراً لكون الأعلاف الخضراء هى احد العوامل الهامة المحدودة لنمو قطعان الثروة الحيوانية فى البلاد ، فقد برز الاتجاه نحو الاستفادة من مياه المجارى لمعالجتها بحيث تصبح صالحة لزراعة محاصيل الاعلاف الخضراء .

اما بشأن الاحتياجات السكانية من الحبوب (القمح والأرز) وهى احتياجات تتزايد عاما بعد آخر ، فعلى الرغم مما اثبتته التجارب التى تجريها وزارة الصناعة والزراعة من امكانية انتاجها بمتوسطات انتاجية جيدة ، الا انها بمقارنتها من ناحية المردود الاقتصادى لانتاج الخضر بدولة قطر ، لوحظ ان الخضروات تتمتع بميزة نسبية عالية على محاصيل الحبوب ، ومن ثم اتجهت الدولة الى تشجيع زراعة الخضر وتامين الاحتياجات السكانية من الحبوب من خلال بناء عدد كبير من الصوامع اللازمة لتكوين مخزون استراتيجى منها يغطى احتياجات فترة حوالى عام كامل . وجارى حاليا دراسة الطاقة التخزينية للحبوب لتغطى فترة عامين كاملين .

ويضاف الى ذلك ، فان الوزارة ترقب عن كثب التطورات العالمية فى مجال تحلية مياه البحر للنظر فى امكانية الاستفادة منها فى مجال التوسع الافقى للمساحة المحصولية بصفة عامة ، والحبوب بصفة خاصة .

اما بالنسبة لقطاع الثروة السمكية ، فنظراً لكون المستهلك القطرى يميل الى استهلاكها بمعدلات كبيرة ، فقد اولت الدولة جل اهتمامها لدعمه وتنميته بحيث أصبح الانتاج القطرى من الاسماك يغطى اكثر من ثمانين بالمائة من الاحتياجات القطرية . ومما يجدر ذكره فان الدولة قد انشات شركة قطر الوطنية للاسماك حيث قامت بدور هام فى زيادة الانتاج القطرى من الأسماك .

اما بشأن احتياجات القطاع الزراعى من عنصر العمل اللازم لمختلف المشروعات الزراعية القطرية ، فان « وزارة الصناعة والزراعة » حرصت على التوسع فى احلال الميكنة محل العمل اليدوى . وتم بالفعل استيراد عدد غير قليل من المعدات الزراعية ، تؤدى الآن دوراً كبيراً فى تادية جميع عمليات حرث وتسوية وتخطيط التربة بالمزارع بالاضافة الى عمليات مقاومة الآفات وحتى حصاد المحصول .

كما انه يجرى حاليا بالوزارة دراسة الجدوى الاقتصادية لتوسعة الطاقة الانتاجية لمؤسسة الدواجن القطرية بحيث تنتج خمسة وعشرين مليون بيضة ومليونين ونصف مليون دجاجة لحم سنويا ، وسيعتمد المشروع على ثلاثة عوامل هى : تحويل الحظائر القائمة حاليا الى حظائر مغلقة ، واقامة عدد آخر من الحظائر المغلقة المكيفة وتطبيق نظام متكامل للميكنة بالمؤسسة .

تلك هى بعض ملامح استراتيجية التنمية الزراعية القطرية عبر سنوات مسيرة الخير نسأل الله أن يوفقنا لخدمة بلدنا الحبيب فى ظل قيادة وتوجيه حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى وسمو ولى عهده الأمين الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى .

مهندس احمد عبد الرحمن المانع

أرقــام وحقائــق عن قطــر

● تسير الدولة فى طريق توسيع وتنويع القاعدة الانتاجية ، حيث بلغت الايرادات عام ١٩٨٠ حوالى ١٩ الف مليون ريال قطرى ، وبلغت قيمة الانتاج الزراعى حوالى ١٦٦ مليون ريال قطرى ، وبلغت صادرات مصنع الحديد والصلب حوالى ٥٥٧ مليون ريال قطرى ، وصادرات مصنع الاسمدة الكيماوية ٥٤١ مليون ريال قطرى .

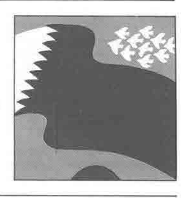
● بلغت صادرات دولة قطر من النفط الخام حولى ٤ر١٧٠ مليون برميل بمتوسط قدره حوالى ٤٦٧ الف برميل يومياً .

● قيمة الواردات تطورت خلال العشر سنوات الماضية تطوراً كبيراً ، حيث بلغت ٥٢٦٥ مليون ريال فى العام الأخير ، مقارنة الى ٥١٦ مليون ريال فقط عام ١٩٧١ .

● تحولت مدينة أم سعيد فى السنوات الأخيرة الى منطقة صناعية ، يتدفق عليها الخبراء والفنيون والعمال والموظفون بأعداد هائلة ، وظهرت فى المدينة الصناعات العملاقة والصناعات الخفيفة والمتوسطة ذات الجدوى الاقتصادية والتى تلبى احتياجات المواطنين .

● بلغت قيمة المساعدات التى قدمتها وزارة العمل والشئون الاجتماعية الى الفئات ذات الأوضاع الخاصة كالأرامل والعجزة والأيتام حوالى ٦٣٠ مليون ريال قطرى خلال العام الماضى وبلغ عدد المساكن التى اقامتها الوزارة لذوى الدخل المحدود ٤٧٥٤ مسكنا حتى عام ١٩٨١ م .

بعد توسيع محطة التقطير فى أبو فنطاس فى عام ١٩٨٣ ، سيرتفع الانتاج اليومى الى ٤ر٣٨ مليون جالون



المواطن القطري والتربية الإسلامية نهجاً وتطبيقاً

بقلم : د. حسن عيسى عبد الظاهر

مجال التربية الاسلامية فى حياة (المواطن القطرى) متعدد الجوانب ، كثير الروافد ، بعيد المدى ، فى حياة الفرد ، والأسرة ، والمجتمع ..

والمتتبع لهذا المجال لا تعوزه القرائن والشواهد ، بل ولا تخطئه النظرة الأولى ان يرى طابع هذه التربية واضحاً بعامة فى مظاهر الحياة اليومية على تعدد انماطها ، وتنوع أشكالها !! فما هى روافدها ومعالمها ؟

روافد التربية الاسلامية فى المجتمع القطرى ومعالمها :

هى روافد متعددة ، بعضها يضرب بجذور عميقة فى التاريخ ، وبعضها ثمرة للتطور الحضارى ، ثم هى ذات طوابع كثيرة يمكن تصنيفها الى طابعين أساسيين :

الطابع الأول : وهو نظرى يتمثل فى تلك القيم ، والمثل ، والمبادىء التى يستقيها المجتمع من الاسلام عقيدة وسلوكاً ، ومن العادات ، والتقاليد التى نمت بخاصة فى ظلال الاسلام ، وارتبطت به جذوراً ، وتفرعت عنه اغصاناً .

الطابع الآخر : وهو عملى يتمثل فى السلوك اليومى للفرد ، والأسرة ، والمجتمع بعامة فى كل مرافق الحياة ، وفى كل ساعات الليل والنهار ، مما يترك فى المتأمل له الانطباع الأول بتميز هذا السلوك وارتباطه بعامة بالاسلام وتربيته : وكلا هذين الطابعين (النظرى والعملى) يأخذ طريقه الى نفس (المواطن) وسلوكه بأكثر من سبيل ، ينتظمها كلها منهجان أساسيان هما :

١ ـ منهج تعليمى : وله أكثر من مصدر ، ووسيلة .

٢ ـ منهج الاقتداء : وله كذلك أكثر من معين ورافد ..

وتلتقى كل هذه الروافد بطوابعها ومناهجها فى نفسية المواطن بعامة فى صورة متلائمة تعبر عن نفسها بمعايير واضحة فى السلوك ، ومقاييس متبعة ، وضوابط يحتكم اليها ، ومقومات علاجية ينزع اليها ..

وكلها تعمل على الاستقرار فى نفسية (المواطن) منذ تنشئته ، وتربيته دينياً ، واجتماعياً بحيث تبدو ناطقة فى مقررات وتقاليد ثابتة تنال احترامه وتقديره ، وفى وجوه من أنشطة الحياة متباينة ومتنوعة يحاول أن يمارسها وفق هذه القيم وبوسائل تجمع بين القديم والجديد ، وتشده بجذور راسخة الى تراثه المتوارث عن أصالة وتربطه بحاضره الذى يعيشه واقعاً فى تلاؤم سلوكى يجهد ما استطاع الى تحقيقه ..

البيت القطرى

تلك هى الخطوط والمعالم البارزة للتربية الاسلامية فى حياة المواطن القطرى ، فماذا عن مجالاتها ووسائلها ؟ . مجالات التعليم والممارسة والتطبيق ووسائلها :

وهى مجالات فسيحة الأرجاء تتابع حياة المواطن فرداً وأسرة ومجتمعاً من البداية وحتى النهاية من المهد الى اللحد فى عملية (تعليمية) بطرق مباشرة ، وغير مباشرة ، وبكل الوسائل التى يتيحها العصر ، والتطور الحضارى الحديث ، وممارسة تجمع بين الملاحظة ، والتوجيه ، والحرية ، وتطبيق يتجاذبه المد والجزر ، وتجرى عليه سنن المجتمعات البشرية بما لها وما عليها : فى اطار من الالتزام والوعى ..

ويمكن أن نستبين ذلك فيما يلى :

البيت : وهو الأساس الأول للبناء والحلقة الأولى فى سلسلة متواصلة ؛ ودور البيت وتأثيره فى تربية الفرد بل والأسرة كلها دور هام ، وتأثير كبير يكاد يلازم الانسان طول حياته ايجاباً وسلباً ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرز لنا قوة هذا التأثير بقوله (كل مولود يولد على الفطرة ، وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) ، وفى سبيل تربية صالحة أمر الأب أن يباشر تعليم الصبى الصلاة من سن السابعة (علموا اولادكم الصلاة لسبع) بل والأهل جميعاً (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) ..

ومن هذا المنطلق فالبيت المسلم يطبع أبناءه دائماً بطابع التربية الاسلامية يتلقاها الفرد ذكراً وأنثى تعلماً ، وقدوة ،

وتأثرا ؛ لاسيما اذا كان فى البيت أكثر من جيل يعايشهم كالجد ، والاب ، والاخوة كبارا وصغارا ، فهو يتلقى التأثير من ثلاثة أجيال كلهم له دور مباشر أو غير مباشر ..

وعلى هذا فالنظرة الى البيت القطرى وهو بيت مسلم يضرب بجذور عميقة باصوله فى الاسلام من بواكير أيامه الاولى هى نظرة الى بيت متكامل وراسخ القدم فى الاسلام تعلماً وقدوة وعادات وتقاليد بعامة ..

فالحفاظ على الصلاة وشعائر الاسلام كلها طابع عام لكل بيت ، وآداب الاسلام ، وأخلاقه فى السلوك الخاص ، والعام هى الطابع العام السائد ، وصلات القربى ، والجوار تقوم على ترابط وثيق ، ناهيك بالترابط الأسرى القوى ، فضلا عن العادات العربية الأصيلة التى زكاها الاسلام من أدب الضيافة ، والحياء ، والاحتشام ، والحجاب ، وعدم الاختلاط ..

بل المتامل فى هندسة بناء البيت القطرى يجده على صورة محافظة تماما فللسكنى مكانها ، وللضيافة مكانها ، وللرجال مجالسهم ، وللنساء بيوتهن اللاتى يقرن فيها :: وفى هذا المناخ كله ينشا ويشب الوليد فتى أو فتاة وقد تعلم هذا كله وأشربه فى قلبه وسلوكه عادات أصيلة ، وأخلاقا ضابطة وملتزمة ..

ولا يكاد يخلو بيت – تقريباً – من الكتاب الاسلامى بل مكتبة اسلامية يعتز بها المواطن القطرى ، وفى البيوت الكبيرة يلحق بها مسجد لصلاة الفرائض جماعة – عدا الجمعة – وليس حجراً على أصحاب البيت بل هو ميسر الورود لكل من أراد الصلاة فيه ، ولهذا المسجد من يقيم به الشعائر ، ويقوم على مصالحه .

ويصحب رب البيت اليه ابناءه واحفاده صغاراً وكباراً فى الغالب الأعم ويمارسون جميعاً الشعائر تعلماً واقتداء فى صورة متكاملة يتلقاها النشء عن سلفهم ..

المسجد ودوره الحضارى

المسجد : ومعلوم أن دور المسجد دور حضارى أساسى فى بناء وتربية الفرد والمجتمع ، وهو مركز اشعاع بالنور ، والمعرفة ، والهداية ؛ ومن هنا كان حرص الاسلام على عمارته ، والارتباط به ، عبادة ، وتزكية ، وتعلما ؛ ولا ينسى بحال دور المسجد فى البناء التعليمى ، والحضارى للأمة الاسلامية عبر هذه القرون الطويلة ، وفى كل بيئة ونمط ففيه يربى الفرد والمجتمع ، ومنه شاع وذاع نور العلم والمعرفة والحضارة ، وفيه نشات المذاهب ، والمدارس الفكرية ، وسطرت الموسوعات ودون هذا التراث الضخم الذى لا نظير له فى أمة من الأمم ، وفيه نبتت القمم من الأئمة فى كافة فروع المعرفة الاسلامية والانسانية ..

ولئن ضمر هذا الدور أحياناً وفى بعض الفترات فانه ملزال وسيظل للمسجد اثره الفعال فى بناء شخصية المسلم فرداً ومجتمعاً ..

وللمواطن القطرى حظ وافر فى هذا المضمار ، فما يخلو حى ، ولا مكان بل ولا شارع ولا زقاق من مسجد يمتلىء بالمصلين فى كل فريضة ، ناهيك بالجوامع الكبرى التى تقام فيها الجمعات وتكتظ بالمصلين ، وتحف بهم من كل جوانبها ..

وقد نال المسجد فى المجتمع القطرى كامل العناية والرعاية حتى بلغ شاوا متميزا فيهما من حيث مبناه وتأثيثه الأثاث اللائق الكريم فلا يكاد يخلو مسجد من المرافق المتكاملة حتى المياه الساخنة فى الشتاء الباردة فى الصيف ، والتكييف الذى يتيح للمصلى راحة ومتعة روحية ودينية يستعين بهما على حب المساجد واقامة الشعائر فيها بخشوع ووقار ، ولم يضن المجتمع القطرى حكومة وشعبا وأفراداً على المساجد بالعمارة الحسية والمعنوية بالقيام بأمرها والتعلق بها والتردد عليها ..

ولا يخلو مسجد من مكتبة عامرة بالكتب والمسجلات الصوتية للقران الكريم ودروس العلم الهادفة متاحة كلها للمصلين يطالعون متى يشاءوا ويستعيرون منها متى يريدوا. هذا مع توفر الحظ الوافر من المصاحف الشريفة التى تكفى عمار المسجد على كثرتهم .

وما أعظمه من مظهر حين يدوى المسجد بتلاوة القران الكريم بين الفرائض ويوم الجمعة حتى لتحس بذوق الايمان حفيف الملائكة من حولهم ..

ثم إن للمسجد الأثر الكبير بجانب اثره الروحى فى تعليم المواطن أيا كان سنه، العلم الذى هو فريضة على كل مسلم ..

ففضلا عن خطبة الجمعة كل أسبوع هناك الدروس المنتظمة ، والمحاضرات الموسمية ، والندوات الأسبوعية فى كل فروع المعرفة الاسلامية ..

فهناك ندوة لتلاوة القرآن الكريم فى مسجد الندوة ، وهناك المحاضرة

محاضرات الثقافة الاسلامية



المواطن القطري والتربية الاسلامية نهجًا وتطبيقًا

الأسبوعية فى مسجد خليفة ، والدرس الأسبوعى فى مسجد السلطة ، ودروس التفسير والحديث والفقه على مدى أيام الأسبوع فى أكثر من مسجد يقوم بها العلماء والدعاة المتخصصون .

فضلا عن المحاضرات والندوات التى يقوم بها فى المساجد علماء ومتخصصون يستضافون من شتى انحاء العالم الاسلامى فى (رمضان) وغيره من المناسبات والتى يتولى نقلها أجهزة الاعلام من تلفزيون واذاعة وصحافة ، ويسجل الكثير منها على أشرطة لمن يريد اقتناءها ، كما أن هناك الكثير من حلقات تحفيظ القران الكريم المنظمة تحت اشراف ادارة الشئون الدينية ، ويقوم عليها حفاظ وقراء لمختلف الدارسين فى كثير من المساجد ..

الموسسات والتربية الاسلامية

توجد فى (دولة قطر) أكثر من مؤسسة وهيئة تقوم على شئون التربية الاسلامية كل منها فى مجال تخصصها فى إطار التنوع ، والتكامل ، والتعاون ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر كلا من :

ا ــ رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الاسلامية وأجهزتها المختلفة التى تشرف على كثير من النشاط الدينى والتربوى ، ما بين تعليم ، وقضاء ، وتربية ، وتوجيه ، واعلام ، بالكلمة المسموعة والمقروءة والمسجلة ..

ومن أجهزتها (ادارة المساجد) وتشرف على كافة المساجد بالدولة اشرافا كاملا ، وادارة البحوث والثقافة ولها نشاطها فى النشر والبحث وتيسير الكتاب الاسلامى للمواطن وتنظيم المواسم الثقافية ، وتستضيف لها كبار العلماء والباحثين من مختلف أرجاء العالم الاسلامى ، ولهذه المواسم الثقافية صداها الطيب والثرى ، وأثرها البعيد فى الشباب وغير الشباب بما تعالجه من قضايا دينية لها دورها فى التربية الاسلامية بعامة ، كما أن لها نشاطها الطيب فى المؤتمرات الاسلامية وتبادل العلاقات الثقافية داخل دولة قطر ، وخارجها ..

ومن أجهزتها (مجلة الأمة) تلك المجلة الناهضة والتى احتلت مكانا مرموقا ــ على حداثتها ــ فى العالم الاسلامى ، وسدت ثغرة فى مجال الصحافة والثقافة الاسلامية ، وقفز معدل توزيعها الى أرقام كبيرة وقياسية ، وهى غنية بكل عناصر الجودة ، والاتقان ، فى المادة ، والاخراج والأهداف والوسائل ، وسيصدر عنها فى القريب مشروع الكتاب الاسلامى ، وغيره من الوان التربية الاسلامية الواعية ..

ب ــ ادارة الشئون الدينية بوزارة التربية والتعليم ولها أكثر من نشاط فى اكثر من مجال ، فهى القائمة على جهاز (التربية الاسلامية) بكافة وجود عمله ونشاطه بوزارة التربية والتعليم فى مختلف مدارسها ومعاهدها ، وما يستلزم هذا العمل الضخم من مناهج وكتب ومدرسين واشراف ، ولذلك كله صداه وأثره الطيب فى دعم التربية الاسلامية فى قطاع كبير جدا ، كما أن لها نشاطها خارج هذا الاطار المدرسى فى المجتمع نفسه وذلك بتنظيم حلقات حفظ القرآن الكريم فى المساجد واجراء المسابقات للحفاظ من الجنسين (البنين والبنات) فى المدارس وغيرها ورصد الجوائز التشجيعية لذلك بسخاء ..

مكتبة الشئون الاسلامية



كما تقوم على تنظيم ندوات قرانية وثقافية على مدار العام وبخاصة فى شهر رمضان حيث تستضيف بعض العلماء والدعاة والقراء كما توفد البعض الآخر لبعض البلاد الاسلامية فى اسيا وافريقيا ، كما تجند الكثير من مدرسى مواد التربية الاسلامية فى الاجازة بعامة وفى شهر رمضان بخاصة للقيام بالدروس والمحاضرات والتوعية الدينية فى المساجد على اختلافها فى المدن والقرى ..

كما أن لها الدور الطيب فى نشر الكتاب الاسلامى وتعميم النفع به لدى كل الطبقات ، ولها نشاطها فى كثير من المؤتمرات الاسلامية داخل الدولة وخارجها بالاسهام والاثراء .

دعم الجانب التعليمى

وللمدرسة بمختلف مراحل التعليم بها الأثر البارز فى دعم التربية الاسلامية وبخاصة فى الجانب التعليمى ، فلا تخلو مناهجها من أكثر من مادة فى الدراسات والتربية الاسلامية من توحيد وفقه وتفسير وحديث وأخلاق تتعاون كلها على تربية المواطن تربية اسلامية ، وتختار لذلك المختصين من المدرسين ، والموجهين ، والكتاب المتخصص المتقن ، والحصص اللازمة والكافية ..

كما ينال الجانب (التطبيقى) حظه بتوفير مسجد فى كل مدرسة ، وتوجيه القائمين على المواد الاسلامية بضرورة القيام بالشعائر فيه وتعويد الطلاب ، وتدريبهم بالممارسة على الجوانب التربوية الاسلامية ..

كما أن للمدرسة نشاطها فى تنظيم أحاديث وكلمات يومية يشترك فيها التلاميذ مع بعض مدرسيهم ، كما تعنى فى المناسبات الدينية بتنظيم المحاضرات والندوات ، وتستضيف لها بعض المختصين من الجامعة وغيرها مشاركة وإثراء لهذا الجانب التربوى ..

وهذا فضلا عن نشاط الطلاب فى هيئة جماعات واسر ثقافية ورياضية واعلامية تنمى فى الطالب السلوك الاسلامى القويم ..

فى رحاب الجامعة

وللجامعة اسهام كبير على مستوى واسع فى دعم المبادىء الاسلامية تربية وسلوكا وتعليما واتخذت شعارا لها من قول الله تعالى (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين) ..

وتتنوع وسائل هذا الجهد فى قاعة الدرس والمقررات والمناهج والأساتذة وفى المحاضرات العامة ، والدوريات العلمية والثقافية ، والمواسم الثقافية ، ويقوم على هذا النشاط اكثر من جهاز فى تعاون ، وتنوع ، وتكامل ..

كلية الشريعة والدراسات الاسلامية :

وتنتظم الجامعة ضمن كلياتها كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ولها دورها الكامل فى هذا المجال تحمل لواءه بتخصصها ومناهجها تعليما وتوجيها وارشادا ، ففيها الجانب الدراسى وهو حافل بشتى الدراسات الاسلامية من منابعها الصافية فى العلوم الأساسية والفرعية فى العقيدة ، والتفسير ، والحديث ، والفقه ، والثقافة الاسلامية .

وهناك الانتاج العلمى ممثلا فى الكتاب والبحث والمقال والدراسة تقوم به هيئة التدريس ، وهناك الاسهام المثمر خارج نطاق الجامعة فى المسجد ، وأجهزة الاعلام بأنواعها من صحافة واذاعة وتلفزيون ..

كما ان لها انتاجها فى هذا الجانب من حولية تتابع بالنشر احدث ما يكتبه المختصون فى الدراسات الاسلامية : وغيرها ..

ثم هناك فى الجامعة نشاط الكليات الأخرى فى أكثر من مجال ، ولكل منها إسهامها الطيب بالتعليم والتوجيه ، والتاثير ، ثقافيا ، ونفسيا ، وتربويا ..

ويلتقى الكثير من ابناء الجامعة كل يوم فى مسجدها على اداء الشعائر فى مظهر اسلامى تربوى كريم تشارك فيه بكل اجهزتها وبعد الصلاة هناك الكلمة التوجيهية فى جانب من جوانب التربية الاسلامية ، وقد حرصت الجامعة فى العام ـ المنصرم ـ على ايفاد بعثة من الطلاب معها بعض الأساتذة والمشرفين للمشاركة مع ست عشرة جامعة من منطقة الخليج لأداء مناسك الحج والاشتراك فى المخيم الطلابى الذى اقامه مكتب التربية العربية بمنى فى موسم الحج عام ١٤٠١ هـ وحفل برنامجه بالجوانب الثقافية والتربوية بالتعليم والممارسة والقدوة مما كان له اثره الطيب.

وتسهم الجامعة بموسم ثقافى يجمع الى الجانب العلمى الجانب التربوى والتوجيهى ويشارك فيه نخبة من العلماء المتخصصين من مختلف العالم الاسلامى ويتاح حضوره لكل مواطن ، هذا فضلا عن وجوه النشاط الثقافى والصحفى والرياضى وتبادل وجوه هذا النشاط مع بعض الجامعات فى المنطقة .

وتصدر عن الجامعة الآن صحيفتان يشترك الطلاب والطالبات فى تحريرهما فضلا عن الحوليات التى تصدرها أكثر من كلية ، ولهذا الجهد كله اسهام بوجه أو بآخر فى تنمية كثير من الجوانب التربوية الأساسية ..

ولا يقتصر نشاط الجامعة فى هذا الجانب على الاطار الجامعى ، بل لها اسهامها الكبير ، والمتعدد فى مختلف النشاط التربوى الاسلامى من مؤتمرات وندوات وحلقات دراسية واعلام داخل الدولة وخارجها ..

الاعلام والتربية الاسلامية

وللتربية الاسلامية مجال وتصيب فى اجهزة الاعلام ، فالصحافة تفرد مكانا يوميا واسبوعيا للمقال والبحث والدراسة التى تتعلق بجوانب المعرفة

مصاحف نادرة



والتربية الاسلامية ، ويتابعها المواطن باهتمام ..

والاذاعة تقدم العديد من البرامج اليومية والأسبوعية التى تنتظم الحديث والندوة وما يطلبه ويحتاج اليه الكثير من المواطنين من الاجابة عن اسئلتهم واستفساراتهم التى تتعلق بحياتهم اليومية وسلوكهم الاسلامى ازاءها ..

وللتلفزيون نشاطه فى هذا الجانب بما يقدمه من برامج يومية واسبوعية وندوات واحاديث وحلقات ، ومؤتمرات كلها تنمى جوانب التربية الاسلامية للمواطن ، ولا يخفى اثرها داخل البيت وخارجه ولمختلف الأجيال والثقافات ..

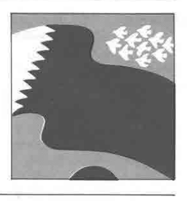
المكانة الأولى

ومما هو جدير بالذكر بالاشارة اننا لسنا هنا بصدد احصاء واستقصاء او حصر للوسائل والأجهزة والمجالات التى تتعاون كلها على دعم ونشر التربية الاسلامية للمواطن القطرى ، ولكن سقنا ذلك كنماذج المنا ببعض وجوه نشاطها .

وطبيعى أن هذه الروافد كلها تعمل ضمن ما تعمل على غرس وتنمية الجوانب التربوية للمواطن وطبيعى أن يكون لها أثرها فى الجانب الفكرى ، والجانب السلوكى معا ، إذ ليس المراد منها عرض وتدريس حقائق مجردة وحكما واحكاما تحتـــل مكانها من ذهن المواطن وتفكيره ، بل لابــد أن تترجم هذه كلها الى ضوابط سلوكية وقيم اخلاقية تبدو فى تصرفات المواطن وتكون منه ومن مواطنيه رأيا عاما يعرف المعروف وينتصر له ، وينكر المنكر ويطارده ، ويحقق مناخا صحيحا تبدو فيه القيم الاسلامية فى صورة سلوكية تحقق معانى التربية الاسلامية وتؤتى ثمارها ..

والمتأمل للمواطن القطرى فى مجالات الحياة كلها يجد أن الاسلام يحتل المكان الأول فى حياته بعامة وسيظل باذن الله تعالى كذلك ما ظل معتصما بالاسلام ومعتزا به . والله ولي التوفيق .

د. حسن عيسى عبد الظاهر



طموح المرأة القطرية لم يتوقف عند المرحلة الجامعية

بقلم: نعيمة المطاوعة

اذا أردنا أن نتحدث عن مساهمة المرأة القطرية فى بناء مجتمعها ونهضته ، فاننا سنبدأ من الماضى ، حيث كان للمرأة - سواء فى قطر او الخليج - دور اضطلعت باعبائه ، وذلك قبل تدفق البترول - على المنطقة - فكانت تساهم في دخل الاسرة ، وخاصة اذا كانت من الاسر المتوسطة او الكادحة ، وكثيرا ما تضطر للعمل لسد حاجة بيتها وتجنيب اطفالها شر الفاقة اثناء غياب رجل البيت شهورا طويلة فى الغوص ، بحثا عن مصدر الرزق الوحيد حينذاك .

وكان عملها ينحصر فى الأعمال المنزلية من طبخ وتنظيف وتربية الأولاد .. وهى تنتظر صابرة .. زوجها .. آملة عودته .. والقلق يكاد يقتلها من شعور يأتيها أحيانا بامكانية عدم عودته ..

ومع ظهور البترول وتدفقه ، حدثت تطورات جذرية فى المجتمع ، وقل الاعتماد على الغوص وصيد اللؤلؤ ، وتغيرت الحياة فى قطر والخليج !

وكان طبيعيا أن ينعكس هذا على المرأة لكونها تشكل عنصرا هاما فى بناء المجتمع ، فقلت مساهمتها فى دخل الأسرة ، ولم تعد تعمل كالسابق ، واصبح الرجل هو المسئول ، وذلك لتوفر العمل المريح الذى لا يضطره للتغيب طويلا والذى يدر عليه الربح الكثير ..

وقد ساعد على هذا عودة المرأة القطرية الى خدرها .. ومملكتها .. واصبحت لا تخرج إلا لحاجة ملحة .

البنت فى المدرسة

وبازدياد موارد البلاد .. ظهرت النهضة .. وبدأت ملامحها تبرز بشكل ملحوظ .. وانعكس التقدم على كل مظاهر الحياة ..

وبالتالى ظهرت الحاجة الى ايجاد شعب متعلم .. يعرف واجباته وحقوقه مما دعا لانشاء المدارس ، حيث كان الاعتماد فى الماضى على مدرس القرآن الكريم «المطوع» ..

واقتصر على انشاء مدارس البنين فى البداية .. ولكن فى منتصف الخمسينات أتيحت للفتاة فرص التعليم وذلك بافتتاح أول مدرسة للبنات عام ١٩٥٥ ، تضم بين صفوفها ٥٠ طالبة ، تقوم بالتدريس لهن معلمة واحدة ، وهكذا بدأت خطوات الفتاة فى طريق التعليم بكل حماس وطموحات ، وتحمس الأهل لأهمية التعليم للبنت ، رغم وجود معارضة من البعض ، الذين لم يسهل اقتناعهم بالتطور الجديد ..

ولقد كان للجانب الايجابى فى اتجاه غالبية الأهل لتشجيع التعليم أثره فى تشجيع الدولة على افتتاح العديد من المدارس وتشجيع الأهالى على أرسال فتياتهم اليها ، وذلك بتقديم الرواتب الشهرية ، وكل مستلزمات الدراسة ، واعفاء الأهل من أية التزامات تجاه تعليم بناتهم ، مما دعا بقية الأهل اخيرا الى الاقتناع باهمية التعليم .. وخاصة بعد ملاحظتهم ، أن الفتاة استطاعت ان تساعد أهلها فى بعض الأمور ، خاصة كتابة الرسائل لأقاربهم وصنع بعض الوجبات الجديدة مما تعلمته فى المدرسة .

ولكن نلاحظ فى منتصف الستينات حدثت ردة فعل عنيفة من قبل الأهل فقد اجبر البعض منهم بناتهم على ترك المدرسة والمكوث فى المنزل لحين قدوم الزوج المناسب ، وكثر فى ذلك الوقت زواج الفتيات بحجة أن ما تحصلت عليه الفتاة لهو كاف بالنسبة لها ، ولا حاجة لها أن تصل الى الصفوف العليا ، رغم أن الفتيات لم يصلن إلا الى مرحلة بسيطة فى التعليم الإبتدائى !

ولكن هناك الكثير قاوم رد الفعل هذا ، واستمرت الفتاة القطرية تكافح من اجل نيل أعلى مراتب العلم ..

مربية الأجيال

وازدادت مدارس البنات حتى أصبحت الآن اكثر من ٦٨ مدرسة .. ولا تكاد تخلو قرية او مدينة مهما صغر حجمها من مدرسة للبنات ..

٢٢ فبراير

شعر: عبد الرحمن المعاودة

أَطَلَّ عَلَيْنَا الْفَجْرُ بَعْدَ انْحِجَابِهِ
وَجَاءَتْ إِلَيْنَا بِالسُّعُودِ الْبَشَائِرُ

وَأَشْرَقَ مَغْنَاهَا بِعَهْدِ خَلِيفَةٍ
وَفَاضَتْ بِآيَاتِ الثَّنَاءِ الْمَشَاعِرُ

وَغَنَّى حَمَامُ الْأَيْكِ فِي الدَّوْحِ وَازْدَهَتْ
رُبُوعٌ عَلَيْهَا بَاهِرُ الْمَجْدِ طَائِرُ

فَأَهْلًا بِعَهْدٍ فِيهِ عِزٌّ وَمَنْعَةٌ
وَخَيْرٌ لِهَذَا الشَّعْبِ بِاللهِ وَافِرُ

أَخَا الْفَضْلِ حَيَّتْكَ الْقَوَافِي يَسُوقُهَا
إِلَيْكَ امْرُؤٌ مَا عَاشَ بِالْوُدِّ شَاعِرُ

أَبَا حَمَدٍ وَالْفَضْلُ أَنْتَ مَنَارُهُ
فَذِكْرُكَ مَحْمُودٌ وَفَضْلُكَ بَاهِرُ

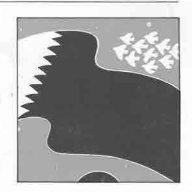
بِكَ الْيُمْنُ مَقْرُونٌ لَكَ اللهُ نَاصِرٌ
وَبِيضُ أَيَادِيكَ الْجِسَامِ مَفَاخِرُ

أَيَادِيكَ فِي الْمَاضِي عَلَى الشَّعْبِ جَمَّةٌ
سَيَعْقُبُهُ يَا أَيُّهَا الْفَذُّ حَاضِرُ

هَنِيئًا لَكَ الْمَجْدُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
أَتَتْكَ بِهِ صِيدٌ كُمَاةٌ أَكَابِرُ

وَعَزْمٌ وَحَزْمٌ شُمَّ نَفْسٌ كَبِيرَةٌ
بِسَاحِ الْمَعَالِي مَا لَهَا مَنْ يُكَابِرُ

عبد الرحمن المعاودة



جامعة قطر حاضرها ومستقبلها

بقلم: د. محمد إبراهيم كاظم

سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أثناء الاحتفالات بتخريج دفعة جديدة من جامعة قطر

الجامعة مؤسسة حضارية ، وهي مؤسسة تعليمية ذات طبيعة خاصة ، الا انها فوق هذا كله مجتمع من العلماء ومن طلاب العلم الذين يبذلون كل ما لديهم من جهد وطاقة من اجل تطوير المجتمع باعداد الأجيال التي ستتحمل المسئولية في أمانة واخلاص ..

وبهذا المعنى نستطيع ان ندرك مدى الدور الملقى على عاتق جامعة قطر باعتبارها جزءا من المجتمع القطري الذي هو بدوره جزء من المجتمع الخليجي والأمة العربية ، والأمة الاسلامية والمجتمع الانساني المعاصر بكل ما فيه من تراث شامل ورغبة في الوصول الى اعلى مراتب الحضارة .

فكرة الجامعة

وكما نعرف فان المجتمعات تحتاج اثناء حركتها الى الامام الى مقومات نشطة وصحية ومثمرة وبعيدة عن العوائق حتى تؤدي وظيفتها ورسالتها في قوة واستقرار وهذا ما نراه في جامعة قطر التي تواصل رسالتها العلمية والثقافية بصورة مشرقة ومتطورة ، بفضل رعاية حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني امير البلاد المفدى والرئيس الأعلى للجامعة ، فقد كانت فكرة انشاء الجامعة ضمن افكاره ، وكان الشروع فى خطواتها التنفيذية يتم بموجب منه للهيئة التاسيسية عندما بدأت بكليتى التربية فى عام ١٩٧٣ ، ومنذ ذلك الوقت يتابع سمود خطى الجامعة بالرعاية والتوجيه لتصبح جامعة قطر اليوم تضم الى جوار كليتى التربية : كلية العلوم ، وكلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، وكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، ثم كليـــة الهندسة .

واذا ما تطرقنا الى واقع الحياة العلمية والثقافية داخل جامعة قطر ، لوجدنا ان كلياتها أصبحت تدرس الى جوار البرامج التقليدية المعروفة ، برامج للاقتصاد المنزلى بمفاهيمه الحديثة العصرية وبرامج للتخطيط الاقليمى وبرامج للاعلام وبرامج للخدمة الاجتماعية ، وبرامج علوم البحار ، وبرامج التعليم الابتدائى التى تفخر بها دولة قطر والتى تتجه الى أن يكون معلم الابتدائى معدا اعدادا جامعيا كاملا مع منتصف الثمانينات .

وهذا الواقع العلمى يتكامل مع نظام الدراسة الذى يقوم على العمل داخل قاعات الدراسة سواء فى صورة محاضرات او ندوات او مناقشات وحوار وأعمال تجريبية فى المختبرات والحقل ، بالاضافة الى دور المكتبة فى الدراسات والبحوث التى يستقل فيها الطالب بعمله العلمى وتظهر أثناء ذلك مبادراته وايجابياته فى المختبرات وفى الحقل . وهذا كله يتكامل مع مجموعة من الأنشطة الرياضية التى يشارك فيها كل طالب ، ومع الموسم الثقافى للجامعة الذى يمثل لقاء شبه اسبوعى فى موضوعات متنوعة ومتشعبة تتجه الى جمهورها من الطلبة والطالبات واعضاء هيئة التدريس والمثقفين فى المجتمع ، بالاضافة الى الرحلات الجامعية السنوية لكل طلاب الجامعة .

وهذه النشاطات كلها سواء كانت علمية أو ثقافية تتكامل فيما بينها لتعطى تصورا للمجتمع الجامعى فى قطر ، فهى الوعاء الذى يتنسم فيه الطالب الحياة التى تسمح له بالانطلاق والنمو ..

مجموعة من الخريجين في جامعة قطر أثناء احتفالات التخرج

جامعة قطر حاضرها ومستقبلها

الصحافة الجامعية

ومعنى الخريج الجامعي في جامعة قطر لا يقف عند حصوله على مجموعة من المقررات بنجاح ، ولكن ينصرف بالدرجة الأولى الى مجموعة من القدرات النامية التي تستمد ثراءها من الدراسة الأكاديميـــــة والنشاطات الثقافيـــة والاجتماعية والعلمية التي تحدثنا عنها والتي تضيف اليها الصحافة الجامعية ميزة اخرى ..

فالجامعة تموج بصيغ التعبير عن نفسها وعن نشاطاتها ، على هيئة صحف حائط ، وصحف مطبوعة مثل صوت الجامعة التي نامل ان تصدر بصورة اسبوعية في القريب العاجل ومجلة الجامعية التي يصدرها مكتب الخريجات والتي أصبحت ملتقى فكرياً ثقافياً اجتماعياً لزهرة شابات الأمة .

وبهذا يكون معيار نجاح الجامعة في أداء رسالتها هو في تقديم نوعية خريجيها الذين لا نوجههم فقط نحو استيعاب المعرفة ، ولكن ندربهم على حسن التصرف في التطبيق والحياة العملية ..

كما نتجه الى أن يكونوا قادرين على استمرار النمو وتصحيح المسار ، مما يعطي للخريج كفرد وللخريجين كمجتمع بعداً اكبر للجامعة واثراً ابقى واكثر دواماً .

اعداد الطالب

وليس معنى هذا ان اعداد الطالب في جامعة قطر يتم بصورة كاملة ، لاننا نقول دائماً ان الأعمال العظيمة لا تبدأ كاملة ولكنها تبدأ تامة ، وان الأعمال العظيمة لا تبدأ كبيرة ولكن تبدأ جيدة .. وجامعة قطر عندما تتحدث مميزة بين التمام والكمال فهي تميز بين الحركة والسكون .. التمام الذي نتحدث عنه هو بذل اقصى الجهد مما يترك فسحة مستمرة لمزيد يضاف كل يوم اقتراباً من الكمال الذي لا نصل اليه . فنحن رغم كل انجازات الجامعة وكل ما يتحقق بها وفيها ورغم المراكز المرموقة التي نجح خريجوها في احتلالها ، رغم كل ذلك فان رضاءنا عنها في نطاق محدود ، لأن طموحاتها أكبر من ذلك بكثير .

الكفاءة والجمال

وسوف يتم الاعداد بصورة أكبر عندما يتسع وعاء هذه الجامعة بعد الانتقال الى مبانيها الجديدة في العام المقبل .

وكم كنا نود ان تحتفل جامعـــة قطر بانتقالها الى مبانيها الجامعية الجديدة في هذه المناسبة .

ولكن على أية حال سنحتفل في هذه المناسبة بما حققته هذه الجامعة بفضل توجيه سمو الأمير الرئيس الأعلى ، وبفضل رعايته المستمرة واهتمامه بخطاها وبما سوف تحققه بعد انتقالها في العام المقبل ان شاء الله .

وقد روعي في هذه المباني ان تتميز بالكفاءة والجمال معاً . والكفاءة المعمارية في الجامعة إنما يقصد بها قدرة هذا الوعاء من المباني على أن تنطلق نشاطاته محققة للمجتمع كل فرص التطور والنمو والحياة .

أما الناحية الجمالية فهي عنصر اساسي أيضاً ، ولقد روعي فيها أن تشتق من الذوق العربي الاسلامي المتطور .

ولست في حاجة هنا الى ان اؤكد ان الجامعة كمجتمع متكامل ليست مجرد مؤسسة تعليمية موضعية الأغراض محدودة المقاصد ، فهي مكان تعايش انساني كامل ولذلك يشترط في الجامعة أن تكون مكاناً جميلاً ، نظيفاً ، متنوع الوظائف ، قادراً على تحقيق دوائر متعددة من احتياجات الانسان الحي المتطور .

العنصر الحضاري

ولاشك ان ما انجزته الجامعة في تسع سنوات وما حققته لنفسها كمنارة رفيعة للفكر والثقافة وكصرح للحضارة الرفيعة الحية القادرة على التطور والبقاء ، يجعلنا ندرك احياناً انها جامعة عريقة .

فالواقع يؤكد بان ما حققته جامعة قطر في هذه الفترة الوجيزة من تاثير على اسراع حركة التغيير الاجتماعي في قطر والخليج ، ومساهمة في توجيه هذا التغيير ، مع الحفاظ والحرص على بقاء الابناء والآباء جبهة متحدة متكاملة تتحرك معاً قدماً الى الأمام ، إنما يمثل احد اكبر منجزات الدولة .

إن الدولة التي تتنبه الى العنصر الحضاري في منجزاتها ، هي دولة قادرة على مقابلة التحديات والانتصار في صراع الحياة .

كليتان جديدتان

وتتطلع جامعة قطر بعد الانتقال الى مبانيها الجديدة ، الى البدء بكلية الاقتصاد والادارة وكلية الاعلام ، ولا يعني هذا أن جامعة قطر تريد أو تستطيع ان تحقق كل احتياجات المجتمع من الخريجين ، بل إن جامعة قطر تريد أن تركز على التخصصات التي تستطيع أن تنجزها على أعلى المستويات العالمية . ولذلك فهي تتجه الى ان يتكامل مع النشاط التدريسي والثقافي فيها النشاطات البحثية .

ولظروف قطر الخاصة الديمجرافية (السكانية) والاجتماعية ، فلقد انشىء بها اربعة مراكز للبحوث : مركز البحوث العلمية ، ومركز البحوث التربوية ،



الأجيال الجديدة من طلاب العلم اثناء استلام شهادات التخرج من الجامعة

ومركز بحوث السيرة والسنة النبوية ، ومركز بحوث الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، كما أن بها مشروع دراسات التنمية لدول الخليج .

وهذه المراكز تتكامل فيما بينها ، لتتجه بالبحث العلمى المتأنى والمتعمق الى الحصول على اجابات حقيقية قابلة للتطبيق ذى الجدوى الاجتماعية والاقتصادية ، وقادر على التكامل مع المفاهيم الشاملة للتنمية الحقة . وهى بالاضافة لذلك ، تعتبر مجالا للعمل البحثى للطلاب والأساتذة .

وبهذا تكون جامعة قطر قد حققت بالاضافة الى القيمة الاجتماعية والاقتصادية لبحوث هذه المراكز ، توفير مجالات البحث العلمى لعلمائها وطلابها بما يؤدى بهم الى مزيد من التقدم والحيوية .

الدراسات العليا

وتستعد الجامعة للبدء فى برامج الدراسات العليا المتمثلة بدرجة الماجستير والدكتوراه .

والواقع أن الدراسات اللازمة للبدء فى الماجستير والدكتوراه موجودة ومنتهية وكل ما هناك اننا فى انتظار استكمال المقومات الأساسية لنجاح هذه البرامج التى تحتاج الى كل عناية وحرص نظرا لما تتميز به من حساسية خاصة ومستوى رفيع .

ولاشك أن الانتقال للمبانى الجديدة وإتاحة الفرصة لتطوير المكتبات والحاسب الآلى بالجامعة وتوفير المكاتب المناسبة لأعضاء هيئة التدريس التى تسمح باللقاءات الأساسية للأساتذة المشرفين والطلاب ، وتوفير المناخ الجامعى اللازم للتقاليد الجامعية ، كل هذه عناصر تحقق المزيد من التقدم والازدهار .

الأرقام تتكلم

وإذا كانت الأرقام مقياسا لنمو وتطور الجامعة ، فاننا نلاحظ ازدياد اعداد الطلاب ، فقد وصل عددهم خلال هذا العام الى ٣٤٠٠ طالب وطالبة وسيرتفع العدد خلال العام الدراسى القادم الى ٤٠٠٠ طالب وطالبة .. وتمثل الطالبات من هذا العدد نسبة ثلثى التعداد الجامعى ، كما يمثل ابناء قطر حوالى ٧٠ فى المائة من التعداد الكلى للدارسين بينما النسبة الباقية أغلبها من أبناء الخليج ، فى نفس الوقت الذى تتسع فيه برامج الجامعة لدارسين من ٣١ جنسية متعددة يمثلون شعور دولة قطر بمسئولياتها الحضارية ، ويضيفون للمجتمع الجامعى فى قطر بعدا انسانيا ودوليا يثرى حياتها وفكرها .

ومن المتوقع أن يكون عدد الخريجين لهذا العام ٦٤١ طالبا وطالبة ، ومع ذلك فنحن نؤكد أن العبرة ليست بالعدد ، ولكن بنوعية الانسان .

المعيدون القطريون

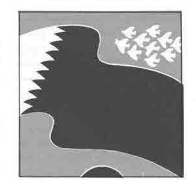
ولا يجوز أن ننهى هذا المقال دون الاشارة الى اعضاء هيئة التدريس ، فمنذ بداية الجامعة وهى تعتمد بالدرجة الأولى على أفضل الأساتذة من الجامعات العربية والعالمية ، ولذلك فانها اليوم تضم أساتذة من الجامعات المصرية على وجه الخصوص والجامعات السورية والعراقية والسودانية والأردنية واللبنانية والأمريكية والبريطانية والأسترالية والكندية وسيريلانكا ، ويبلغ عدد هيئة التدريس فى الجامعة ٣٥٩ من بينهم ١١ مدرسا مساعدا من القطريين الحاصلين على درجة الماجستير ، و٨٨ معيدة قطرية ، و ٣٧ معيدا قطريا ، كما يوجد فى بعثات دراسية بالخارج ٢٦ قطريا و ٣٢ قطرية يعدون للدراسات العليا ، ومن المنتظر تعيين ١٢ معيدة قطرية فى خلال هذا العام .

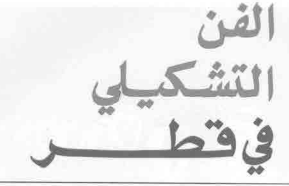
ومع منتصف الثمانينات نأمل أن يصل اعضاء هيئة التدريس من القطريين الى حوالى نصف اعضاء هيئة التدريس فى الجامعة ..

كما تعتز الجامعة ايضا بان تكون رائدة وسباقة من حيث اداراتها القطرية التى تتميز بالحيوية والكفاءة ..

وهكذا نرى أن جامعة قطر فى خطواتها العلمية ، إنما تؤكد ذاتها بالجهد الشاق والعمل المستمر والاستفادة من كل وسائل التطور فى جامعات العالم .

د. محمد ابراهيم كاظم





الفن التشكيلي في قطر

في عام ١٩٧٧ اصدرت وزارة الاعلام فى قطر كتابا عن الفن التشكيلى تناول جوانب متعددة لتاريخ الفن فى قطر ومراحل تطوره والمؤثرات التى احاطت به وتشجيع الدولة ورعايتها للفن والفنان . كما تعرض الكتاب للفن القطرى بين العالمية والقومية وعلاقته بالمدارس الفنية .. وكان الهدف من الكتاب هو تعريف سائر البلاد العربية جانبا مهما من جوانب النهضة الثقافية المتصلة بالتراث الروحى والحضارى .. ولذلك فقد اختارت وزارة الاعلام فنانا عربيا مرموقا هو الفنان جمال السجينى الذى رحل منذ سنوات قليلة تاركا لنا هذا الكتاب الذى يعتبر من المراجع الهامة فى الفنون التشكيلية فى قطر والذى نقدم منه هذه الصفحات ..

البعد الزمنى للفن التشكيلى فى قطر

إن قراءة تاريخ قطر القديم تشير إلى ان الفنان التشكيلى وجد على ارض قطر فى وقت مبكر . وتاريخ الفن فى قطر ليس قاصرا على الفترة الحالية فقط ، وإنما يعود إلى الانسان القطرى القديم .. وإذا تعمقنا فى دراسة تاريخ قطر لطالعتنا حضارات زاهرة عبر القرون الماضية .

فقد اسفرت عمليات التنقيب عن الآثار فى قطر ، والتى بدات عام ١٩٥٦ فى منطقة ام الماء الواقعة على الشاطىء الغربى على بعد نحو ١٩ كم جنوبى الزبارة وما حولها من الاماكن المجاورة . وكذلك المنطقة ما بين دخان وسلوى ، اسفرت عن العثور على كثير من الآثار التى تعود إلى ما قبل التاريخ ، وتدل على وجود نوع من الحياة المستقرة فى شبه جزيرة قطر منذ اقدم العصور . فقد استطاعت البعثة الدانمركية التى قامت بالبحث والتنقيب فى الأرض القطرية ان تعين حوالى اربعين قطعة يرجع تاريخها إلى العصور الحجرية المختلفة .

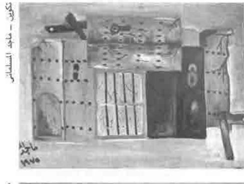
القطريون رجال بحر منذ اقدم العصور ، وهم من اشهر من ركبوا البحار قديما . وظل اللؤلؤ عماد الحياة فى قطر منذ القدم إلى ان ظهرت صناعة النفط . فتناقص عدد البحارة لانخراطهم فى اعمال اخرى .. وكان ظهور اللؤلؤ الصناعى – الذى اشتهرت به اليابان – واسعاره الزهيدة . سببا فى تدهور تلك.



الضالة – جاسم زينى



من السوق – فرج ادهام



تكوين – ماجد المسلماني



جلسة رمضانية – سلمان ابراهيم



منظر خلوي – محمد علي عبد الله



الثروة السمكية – حسن الملا



نموذج من الفن المعماري الاسلامي في قطر – وفيقة سلطان



سفن راسية – عيسى ماجد الغانم



للذكرى على السيف – محمد على الكواري

الفن التشكيلي في قطـــــر

الصناعة العريقة .

وكان للؤلؤ اثره الواسع فى تكوين قدره التشكيل والابداع لدى الفنان القطرى ، بما له من خيال خصب وواقع اكثر خصوبة ، ومن حديث ذى شجون وذكريات غاليه وفى إثراء خيال الفنان القطرى ، فصاغه اعمالا تشكيلية رائعة خلابة سجل فيها الصيد ، ومراحل اســـتخراج اللؤلؤ والحركات الجماعيـــة للصيّادين ، واغانيهم وأفراحهم عند العودة بالرزق الوفير ، كما عالج الفنان القطرى مشاق الصيد واخطاره فى خضم البحر الواسع ، كما كانت الصحراوات والبوادى لها تاثيرها ايضاً على نفسية الفنان .

وفى هذا الجو المشحون بالمؤثرات ، انطلقت الحركة التشكيلية ، انطلاقة عالج فيها الفنان القطرى موضوعاته معالجة فياضة غنية ، وظل هذا الجو مصدرا ملهما لشاعرية الفنان ، فيه الخيال قائما على قدم وساق إلى جوار الحقيقة التاريخية ، فيه الواقع والأسطورة .

مرحلة ما بعد استخراج النفط

وإذا تحدثنا عن الفترة الثانية من حيـــاة المجتمع القطرى ، وما حققته من طفرة اقتصادية كبيرة ، انطلقت بالبلاد إلى مستوى متقدم من الحياة المعاصرة ، واستحدثت فى حياة الانسان القطرى الكثير من المنجزات الحضارية ، شملت كل المرافق ، فان تغيرات معينة قد طرات ايضا على المجتمع القطرى نتيجة لوفـادة عناصر عربية واخرى أجنبية إلى ارض قطر ، وإلى توافر الامكانيات الاقتصادية الكفيلة بفتح النوافذ على تيارات الحياة العصرية من كل جانب ، وإلى تحقيق الإنطلاقة العلمية فى البلاد وكل ذلك ادى إلى احداث تاثيرات موضوعية بالنسبة للفنـــان القطرى وإنتاجه الفنى .

ولقد ظل الفنان القطرى يقظا لقضيته ، متأثرا بها ، عاملا من خلال الاحساس بالواقع والتعايش معه ، مسايرا لايقاعات الحياة على أرضه .. وظل ذلك يمثل الجزء الاكبر من إنتاجه .

وكانت القومية رائدا للفنان ، وليست قيدا على انطلاقته ، فمع ارتباط الفنان القطرى بدور العلم والتطور فى مسيرته الفنية ، فانه لم يدخل فى نطاق الاغتراب الذى يبعده عن واقعه ، ويضعف من لغة التشكيل عنده ، ويمكن ان يقال : إن مدرسة الفنانين التشكيليين القطريين ، مدرسة تشعر بالمسئولية إزاء مجتمعها وقضاياها القومية وهى تترجم واقعها ، وتعبر عن تاريخها الطويل ، وعروبتها ، وهى تحقق فى نفس الوقت إضافة ثرية للحركة التشكيلية العربية وتسهم فى نموها .

* * *

يقول فنان تشكيلى قطرى عاصر المرحلتين : مرحلة ما قبل اكتشاف النفط ومرحلة ما بعد اكتشاف النفط :

كانت حياتنا القديمة غنية فنياً بمصادر عدة قد لا تتوافر اليوم فمثلا :

كانت النساء تخرج فى مناسبات الاعيـــاد الدينية مثل : عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، حيث يؤدين رقصة « المراداة » وكانت تؤدى جماعيا دون اختلاط بالرجال ، وذلك فى ازياء جديدة ملونة زاهية ، مطرزة بالخيوط الذهبية وهن متحليين بالحلى الجميلة من الذهب والفضة من صناعة الفنان القطرى .

وكان الرجال ايضا يؤدون رقصة «العرضة» المنتشرة فى الجزيرة العربية والخليج العربى وذلك فى اماكن خاصة بهم .

وقد اختفت هذه الرقصات الآن ، ولم يبق منها إلا القليل الذى يؤديه الرجال فى مناسبات نادرة ، وعند زيارة ضيف عزيز للبلاد ..

وقد تميزت هذه الفترة بصناعة حلى النساء والملابس النسائية ، وكانت الحلى تصنع من الذهب والفضة : كالاقراط والأساور والخواتم والأشياء التى تزين صدر المراة ، وصناعة الحلى ما زالت قائمة حتى الآن فى قطر ، وإن كانت الصناعة الآلية قد زحفت إلى مواقع الانتاج اليدوى للحلى ..

موضوع الفن القطرى

.. أول الحقائق عن الفن التشكيلى القطري وجود لمحات خليجية اصيلة ، تشير الى ان هذا الفن ومبدعه من الخليج العربى ، ذلك ان التكوين والتشكيل يترجم ما يختلج فى وجدان فنان الخليج من أسى على ضياع بعض ما اندثر من الماضي تحت وطأة المدنية الحديثة بكل عناصرها .

فالفنان القطري ، يسجل التراث القديم من خلال لوحاته ، وهى ذات مضمون عربى ، وان كان فى الشكل ياخذ بالاسلوب العالمى فى محاولة لتلمس الطريق الى اسلوب خاص للفنان القطري.

والفن القطرى عموما ، يتناول موضوعات متصلة بالتراث الاسلامي ، والعربي المعاصر ، وموضوعات انسانية اخرى ، ذلك لأن الفنان اختزن تجارب ذاتية كونت شخصيته ، وهو يندفع الى التعبير عن نفسه وما يخالجها من أشتات الموضوعات ، والهامات الخواطر والمشاعر ، فالفنان ليس فرداً فقط ولا جماعة ، وانما هو فرد ينتمي الى جماعة ، وهو حين يعبر عن ذاته كفرد اجتماعي ، يعبر ايضا عن قصد أو عن غير قصد في ان واحد ، عن الجماعة التي يعيش فيها ، فلا نستطيع ان نتصور فنا منقطعا عن تيار الحياة الإجتماعية واذا اتجهنا الى الناحية العملية ، وجدنا ان الفن ، ليس امرا خياليا ، يتنافى مع حاجة المجتمع ، بل ان الفن يساعدنا في شئوننا اليومية بما يكسبها من عناصر الترتيب واسباب الرفاهية ، فالفن يتصل بسلك خفي بكل ذرة من شئوننا .

والحقيقة ان الفن التشكيلى في قطر ، يلعب دوره الى حد مبشر في سبيل تنمية حاسة التذوق الفني ، وتطويرها عند المواطن القطري .

النهضة التعليمية تصقل المواهب

عندما بدات النهضة التعليمية فى البلاد ، وفتحت المدارس المتعددة ، كانت مادة التربية الفنية ضمن المواد التى تدرس فى هذه المدارس ، كمادة دراسية مقررة على ابناء المدارس ..

وهكذا وفدت الى البلاد اول بعثة تعليمية تضم بين افرادها عددا من مدرسى التربية الفنية مع زملائهم من مدرسى المواد الأخرى ، وكانت هذه هى البداية لبناء حركة تشكيلية جديدة .. فبدات المواهب الفنية الناشئة من ابناء البلاد تجد مناخا مناسبا لنشاطها الفنى من خلال توجيه علمى ، ودراسة موضوعية ، وترشيد سليم ، فكانت تلك الدراسات ــ بوجه عام ــ ودراسات التربية الفنية بوجه خاص ، باعثة على خلق جيل من النشء يمارس هواية التشكيل او يتذوق هذا الفن ، وقد عرف اساليبه واشكاله المتعددة .

وعندما بدا ابناء المدارس ينتجون اعمالهم ، بدات المعارض تقام لعرض انتاجهم الفنى فى معارض سنوية ، تضم اعمال طلبة الصفوف المختلفة ، وكانت هذه المعارض بمثابة النافذة التى يرى منها المجتمع القطرى مواهب ابنائه من الطلاب . وقد شجعت حكومة البلاد والى اقصى الحدود اقامة هذه المعارض على مستوى الدولة كلها . وقد ساهمت قطر ابتداء من الخمسينات فى عدد من المعارض الدولية التى نظمت لرسوم الطلاب ، وحصلت بعض المعروضات على جوائز تقديرية ، وقد استطاع المشاهدون الأجانب ان يروا قطر من خلال هذه الأعمال التى نقلت البيئة

القطرية وعبرت عنها فى بساطة وصدق للمشاهد الأجنبي .

وكانت هذه هى البداية لاشتراك قطر فى المعارض الدولية ، كما كانت أيضاً البداية لخروج الفن التشكيلى القطرى من دائرة المحلية الى دائرة العالمية ... وبدأ الفن القطري يقوم بدور السفارة خارج حدود البلاد .

ونتيجة للحركة التصحيحية فى ٢٢ فبراير ١٩٧٢ ، بدأت النهضة الشاملة فى البلاد ، فتغير العمل واساليبه في مختلف القطاعات ، واتجه الركب نحو بناء المجتمع القطري الجديد ، وكان للفن التشكيلي حظه الوافر من الاهتمام ، وأولت الدولة الفنان الرعاية والتشجيع ، وهيأت له ولنشاطه الفني كل الفرص المناسبة حيث شعرت الدولة باهمية الفنان ، وبالفن كشكل من اشكال الحضارة ، وعملت على تقديره وتقريبه للمواطن للتعرف على هذا الفن ، وتنمية الاحساس الجمالي عند المواطن .

كيف ؟!

الدولة .. والفن

ـ لأول مرة فى تاريخ البـــــلاد قـــامت الحكومة بتوجيه دعوة عامة لجميع الفنانين التشكيليين في قطر ، لاقامة معرضهم الفني الأول الذي اقيم بمناسبة الذكرى الأولى لتولي امير البلاد المفدى سلطاته الدستورية ، وقد شملت الدعوة ايضاً جميع الفنانين من الجنسيات المختلفة والموجودين في قطر .

وقد اشترك في هذا المعرض واحد وعشرون فناناقطريا .. بحوالي خمسة وثلاثين عملا ، شاهدها المواطنون القطريون ، وأبناء الجاليات الأجنبية في قطر ، وضيوف البلاد ، وكان المعرض مقاما في فندق الخليج بالدوحة ، وقد افتتحه امير البلاد وحقق نجاحاً كبيراً .

ـ وقد رأت الدولة رعاية الفنان الى أبعد الحدود ، ونقله الى مرحلة الدراسة العلمية الاكاديمية ، فالموهبة وحدها لا تصقل الفنان . فصدر قرار الحكومة بتسهيل ايفاد الطلاب الراغبين في الدراسة الفنية ودون قيد أو شرط ودون مجموع محدد ، اللهم الا توافر شرط الموهبة وذلك الى عدد من الدول العربية لدراسة الفن وأصوله . وقد عاد بعض المبعوثين ممن أتموا دراستهم الى وطنهم فنانين دارسين ، ومازال الابتعاث مفتوحاً أمام كل من يرغب فى الدراسة الفنية من أبناء البلاد .

ونتيجة لنمو الحركة التشكيلية فى قطر ، وزيادة أبناء المدارس والمبعوثين للخارج ، ونتيجة لرعاية الدولة للفن والفنانين ، اصبحت الحاجة ملحة الى زيادة عدد اماكن العرض ، فعملت الدولة على زيادة الأماكن المخصصة كمعارض فاقامت قاعة للعرض فى وزارة التربية والتعليم ورعاية الشباب ، واخرى فى متحف قطر الوطنى ، وثالثة فى نادى الجسرة الثقافى ، ويجرى الآن اعداد قاعة اخرى فى المقر الجديد لوزارة الاعلام .

وكذلك أتاحت الدولة فرصة اقامة المعارض الجماعية للفنانين ، وعملت على تنظيم المعارض الفنية الفردية للفنانين القطريين .

واستحدث قسم للفن التشكيلى بادارة الثقافة بوزارة الاعلام ، للعمل على رفع مستوى التذوق الفنى على مستوى الدولة ، وتنظيم المعارض ، ورعاية شئون الفنانين ، وتدعيم العلاقات الفنية المتبادلة بين قطر والدول الأخرى وقد أسند الأشراف على هذا القسم لأحد الفنانين التشكيليين القطريين .

الفن القطرى بين المدارس الفنية

إن قطر .. وهى تضع على عاتقها اليوم مسئولية حضارية متمثلة فى وثباتها الصناعية ، والعمرانية والثقافية ، قد وضعت بالتالى فنانيها التشكيليين موضع المسئولية الحضارية .. وما عليهم إلا ان ينهضوا بتلك البداية الفنية الممثلة فى محاولات ناجحة فى المدارس الانطباعية أو السيريالية ، أو الفطرية أو المدرسة الطبيعية . الطريق شاق وطويل ... والفنان دائماً وأبداً ، فى حاجة الى المزيد من منهل الطبيعة الرقراق ، والدراسة الصادقة لها .

ويمكن تقسيم مدارس الفن فى قطر على وجه التقريب الى المدارس الآتية :

● المدرسة الانطباعية :

وقد تاثر الفنان القطرى نتيجة لدراسته على أيدى بعض الأساتذة العرب الانطباعيين باللمسة السريعة المعبرة فى الظل أو الضوء ، وبالتوزيع التشكيلى لعناصر التكوين بشكل يسمح للمتلقى بانطباع خاص ، نتيجة الحيوية فى اللمسة واللون والتركيب الذى يخلو من التنظيم الارادى .

● المدرسة السيريالية :

ساعدت التقاليد الشرقية الأصيلة المستندة على روحانيات تميز الفنون الشرقية ـ افريقية وأسيوية ـ على إفساح حاسة التخيل ذى التعبير الذى يتخطى حدود المعقول ، وينحو نحو التحليق فى افاق معطرة باريج الموضوع الذى يشغل بال الفنان .

● المدرسة الفطرية :

تتمثل فى اغلب اتجاهات الفنانين القطريين ... فنجدها واضحة المعالم فى الاتجاه السيريالى ... كما انها تتخفى فى عجز بعض المحاولات الانطباعية ، كمحاولة بعض الفنانين ، تجاهل المنظور والعنصر الآدمى لنقص فى الدراسة العلمية ، ويا حبذا لو اهتم فنان الاتجاه الفطرى بتقوية سمات الفطرة ، والاطلاع والدرس لتاريخ عصور الثراء الفنى قبل المراحل الرسمية للحضارات عبر التاريخ .

●ـ المدرسة الطبيعية :

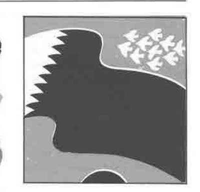
وهى المدرسة التى تتجه نحو محاكاة الطبيعة بشكل تقريرى ، لا أثر فيه لجهود الفنان الابتكارية ، فهو يرسم ما تسجله عيناه ، ولا شأن له بجوهر الأشياء ، بل تشغله مظاهرها ، وبريق سطحها ، والموضوع له شكل أقرب الى التعبير الأدبى وليس للغة الشكل واللون ، أو دراميتها اهمية الى جانب الرؤية التقريرية للأشكال .

الفنان القطرى المعاصر

والفنان القطرى حباه الله بعناصر ملهمة قلما تتاح لغيره .. فهو نبت ارض مباركة ساخنة رمالها ، نقية سماؤها ، ومياه فيروزية الموج حالم افقها .. لذا نرى أعمال شباب الفنانين تنبض بالألفة والأصالة ؛ لانبثاقها من بنية واحدة وقومية موغلة فى القدم .



الصيد مصدر الهام لكثير من أعمال الفنانين القطريين



في متحف قطر الوطني

كيف نحمي تراث الخليج ؟

بقلم: درويش مصطفى الفار

حلى من الفضة والأحجار الكريمة .. صناعة يدوية عربية صميمة

الى اليمين ـ طالب يطلع على التراث بقراءة مصحف شريف قديم ـ والى أسفل لقطة اخرى لقارب بحرى عربى ، كان العرب به سادة البحار يوما ما ، وهو قارب « اليوم » .

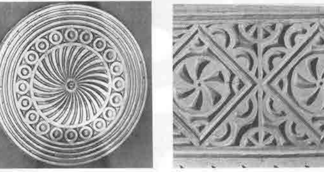
فى زمان تداعت علينا فيه الأمم كما تتداعى الأكلة الى قصعتها ، لا يخطرن ببال امرىء يعقل ، ان الدعــوة إلى (إحياء التراث) هى دعــوة التقوقع والتحجر و (التعصب) اللاعقلانى للقديم ، على علاته ، والانصراف عن معايشة الحاضر والخوض فى بحاره ، علماً وفناً وتكنولوجية ، وانما إحيــاء التراث ، كما يفهمه متحف قطر الوطنى ، دعوة إلى التبصر فى الماضى ، وفى انجازات الآباء والأجداد ، وما ادوه للحضارة البشرية وما غالبوا به البيئة المحيطة بهم ، حتى تستمر عجلة الحياة ويتعمق الانتماء ، وتتميز الشخصية العربية الاسلامية طوال قرون عديدة من الزمان ، فتتولد من ذلك شجاعة نتحدى بها كل تحد قائم امامنا ..

احياء التراث

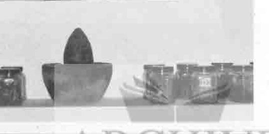
وإحياء التراث ، فى متحف قطر الوطنى ، له انتماءات ثلاثة لا يمكن فصل احدها عن الآخر ، فهى ، اى دولة قطر ، ليست كوكباً منعزلاً سابحاً فى اجواز الفضاء فى فلك وحده ، اذ هى ، بمن عليها من البشر الذين يعيشون على ارض شبه الجزيرة او فى الجزر التابعة لها شرقاً وغرباً ، تنتمى إلى المشرق العربى ، فهى جزء من الوطن العربى بين المحيط والخليج ، وتنتمى الى الأمة الاسلامية المترامية الأطراف ، فضلا عن انتمائها الانسانى المعاصر فى هذا الزمن الذى تعددت فيه وســـائل المواصــلات والاتصالات ، بحيث تلاشت الأبعــاد



كيف نحمي تراث الخليج ؟









والمسافات ، وأصبح العالم كله فى حجمه الطبيعى كجزء تافه من المجموعة الشمسية بل والمجرة ذات الابعاد الفلكية الهائلة ، أى أن عالمنا الأرضى نقطة صغيرة لاتكاد ترى فى هـــذا المحيط الرحب الوسيع .

حياة البحر وطرز البناء

فالتراث المحلى القطرى فى متحف قطر الوطنى ، ممثل خير تمثيـــل فى ما يخص حياة البحر أيام الغوص بحثاً عن اللؤلؤ وفى مكونات بيت الشعر البدوى ، ووسائل العيش للنوم والملبس والطعام والشراب والتداوى والتعليم فى البادية والحاضرة ، وطرز البناء ومادته ، جداراً وطلاء وسقفاً وشكلا هندسياً وزخرفة .

والتراث القطرى ذو الانتماء العربى والاسلامى ، يتمثل فى أنواع القوارب التى كان يستخدمها الانسان العربى فى الخليج والمحيط الهندى منذ أيام أحمد ابن ماجد ، ومنها ستة أنواع قابعة على سطح البحيرة الصناعية داخل المتحف تشترك فيها قطر مع بقية بلاد الساحل العربى للخليج تســـمية وتفصيلا وفى المصـــنوعات اليـــدوية من نســـيج وأدوات خشـــبية ، وأدوية من الأعشاب ومصـــنوعات من الفخار والنحاس والجلد والذهب والفضـــة ، وأنـــواع الطيب والعطـــور وأدوات الزينـــة ،



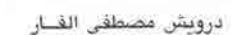
مجموعة لقطات .. الأولى والثانية للزخارف الجصية .. والثالثة لأنواع من الأعشاب للتداوى ، فطب الأعشاب جزء هام من تراثنا العربى الاسلامى .. أما اللقطة الرابعة فهى تمثل القهوة كجزء من تراثنا العريق ، لها تقاليدها ، وأدواتها وآداب صناعتها وتقديمها ، مما يحرص المتحف على شرحه واستيفائه .

الى اليسار ـ قصر الحاكم القديم قبل ترميمه واصلاحه ليكون نواة لمتحف قطر الوطنى الذى افتتحه صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى فى ١٣٩٥/٦/١٤ (٦/٢٣/ ١٩٧٥) . وتبدو فى الصورة الأخرى واجهة المتحف القطرى من الجنوب فى ثوبه الجديد .



كيف نحمي تراث الخليج ؟

وفى مضمار القهوة العربية والحلى والاسلحة ، واسلوب تعليم القراءة والكتابة والحساب ، قبل بزوغ شمس المدارس والمعاهد والجامعات . ويقتنى متحف قطر الوطنى ، بحكم انتماء قطر العربى الاسلامى ، مجموعة نـادرة من المسكوكات العربية الاسلامية ، سوف تتخذ نواة لانشاء (معهد الدوحة لدراسة المسكوكات الاسلامية) كما امر صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني امير البلاد المفدى الذى افتتح هذا المتحف فى الرابع عشر من جمادي الآخرة سنة ١٣٩٥ (٢٣ / ٦ / ١٩٧٥) كمركز حضارى لاحياء التراث القطرى العربى الاسلامى ، وكتعبير عن البيئة القطرية بمفهومها الواسع الشمولى ، فى موقع من مدينة الدوحـة العاصمة كان يشغله فيما سبق قصر الحكم الذى كان قد بناه المرحوم الشيخ عبد الله بن قاسم ال ثاني حوالى سنة ١٩٠١ م ، وتم ترميمه واصلاحه كنواة لمتحف قطر الوطنى فى ما بين سنة ١٩٧٢ ، سـنة ١٩٧٥ ، حيث اصبح متنفسا ثقافيا وترويحيا وعلميا لسكان العاصـمة وزائريها ، وذاعت شهرته حتى طبقت الآفاق شرقا وغربا ، ولا يزال ينمو ويزداد سعة وشمولية على مر الأيام ، تنفيـذا لتعليمات وتوجيهات القيادة العليـا لهذه الدولة العربية المسلمة الفتية .


درويش مصطفى الفـار







الى اليمين ــ المجلس الرسمي ، بقصر الحاكم القديم بالمتحف . اسسه الشيخ عبد الله بن قاسم رحمه الله ، وكان يلتقى فيه بالكبير والصغير لحل المشاكل ..

وفى الصورة الأخرى ، نسيج بدوى من وبر الابل زاخر بالألوان والزخارف والأصالة .

الى أعلى بالترتيب ــ ثوب مطرز بيد قطرية .. ثم بعض أدوات البدوى فى صحرائه ، من قطر شرقا الى موريتانيا غربا ، لا تختلف فى أنها من تراث الصحراء العربية الخالد .. ولقطة ثالثة للدويرع ، وهو من الزخارف الجلدية اليدوية التى يصنعها البدوى لتجميل بعيره أو ناقته .. وأخيرا اللقطة الرابعة لخنجر موشى بالذهب ، فمن تراثنا الاعتزاز بالسلاح .



"هنا في قطر نعتقد أن نوعية الدول لا تقاس بحجمها ، بل بمدى إنجازاتها في نطاق إمكاناتها .. والإنجازات لا تقاس ببدايتها الناجحة ، بل بالقدرة على مواصلتها بكفاءة وجد ومثابرة"

خليفة بن حمد آل ثاني

دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي



يأتى مفهوم : « الصدقة » فى بعض آيات القرآن الحكيم بمعنى : العطاء للطعام أو لغيره من رزق الله على الانسان ، لصاحب حاجة فى غير انتظار جزاء من أحد . يقول الله تعالى فى سورة المجادلة : « يا أيها الذين آمنوا : اذا ناجيتم الرسول (اى اذا اردتم التحدث اليه فى سرية فى شأن من الشئون التى تهمكم) فقدموا بين يدى نجواكم صدقة (اى فاعطوا عطاء لصاحب الحاجة قبل دخولكم الى المناجاة مع الرسول عليه السلام) ، ذلك خير لكم وأطهر ، فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم (اى فاذا لم تجدوا ما تعطونه لأصحاب الحاجة فان الله مع ذلك سيسعكم بمغفرته ويشملكم برحمته) . » (آية : ١٢) .. فالصدقة هنا : هى العطاء القائم على المشيئة الفردية دون الالزام ، من صاحب الفضل فى الرزق . وربط الصدقة هنا بالدخول لمناجاة الرسول عليه السلام هو التماس مناسبة عزيزة على المؤمنين جميعاً لحمل الموسرين على سد حاجات الناس بمحض اختيارهم ، وهى مناسبة اللقاء مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

وربما يدخل فى مفهوم الصدقة دخولا أوليا ـ بجانب المشيئة فيها ، وعدم انتظار الجزاء من أحد عليها ـ أن يكون المعطى من طعام أو لباس . أى أن يكون مما يحتاج اليه صاحب الحاجة فى غذائه أو فى كسائه ، ومما يدفع به حد نفسه على الآخرين معه فى مجتمعه ممن يملكون تلبية حاجاتهم فى الأكل والكساء . لأننا لو رجعنا مثلا الى كفارة اليمين لوجدنا القرآن الكريم ينص على الطعام أو الكسوة من بين ما يطلبه فيها :

« لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته : اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم . (المائدة : ٨٩) . وكذلك ينص على الطعام فى كفارة الظهار ، فى قوله تعالى « فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا » . (المجادلة : ٤) .. والكفارة هنا هى التماس من الله جل شانه : أن يغفر ذنبا ارتكب فى حقه سبحانه ، وهو عدم الوفاء بما أقسم الانسان بالله عليه . إذ القسم يعرض اسم الجلالة للزج به فيما ينبغى أن يصان عنه ، ولذا تستتبع آية الكفارة عن اليمين هنا قوله تعالى : « واحفظوا ايمانكم » عقب تحديد الكفارة .

والكفارة فى المعنى : هى صدقة . لأن المكفر عن ذنب لا ينتظر جزاء من أحد من البشر عليه . والطعام او الكساء كلاهما اذن أقرب الى مفهوم الصدقة . وليس معنى ذلك انه لا يجوز التصدق بالمال أو بأى شىء اخر مما يملكه الانسان أو يتفوق فيه على غيره : من علم ، أو حكمة . ، انما فقط : اعطاء المال لصاحب الحاجة قد يحمله على ادخاره وكنزه ، ويظل مع ذلك محروماً .. ويظل مع ذلك ينفث حقده بسبب حرمانه على الآخرين معه . ولكن اذا كان عطاء المال ، أو عطاء العلم والتوجيه أو العلاج من مرض أو عجز ما ، سيحمل الفقير ، أو الجاهل أو غير المدرب ، أو المريض والعاجز : على عدم السؤال والحاجة الى الآخرين .. فان التصدق بأى منها افضل من التصدق بالطعام او الكساء ، لأن ذلك ذو ثمرة طويلة ، بينما هذا مؤقت .

وقد يأتى مفهوم الصدقة فى بعض آيات القرآن الكريم أيضاً بمعنى الزكاة ، التى هى عبادة وفريضة لازمة . يقول الله تعالى : « انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » . (التوبة : ٦٠) .. لأن تحديد بعض المصارف هنا ـ بالاضافة لقوله فى اخر الآية : فريضة من الله ـ يعين أن تكون الصدقات هنا بمعنى الزكاة . فتحديد العاملين كمصرف .. والمؤلفة قلوبهم كمصرف اخر .. والغارمين كمصرف ثالث .. وفى سبيل الله كمصرف رابع .. وابن السبيل كمصرف خامس يوجب ان تكون الزكاة هى : المعنى من الصدقات هنا .

وربما يكون من أهداف التعبير عن الزكاة هنا بالصدقات : ان الزكاة وان كانت واجبة فهى مع ذلك كالصدقة التى تقوم على المشيئة وعدم الالزام : فى حسن جزاء الله عليها .. وفى أن أداءها لا يترقب عليه المزكى جزاء من أحد من البشر .

إلى أين أيّها الإنسان الآلي ؟

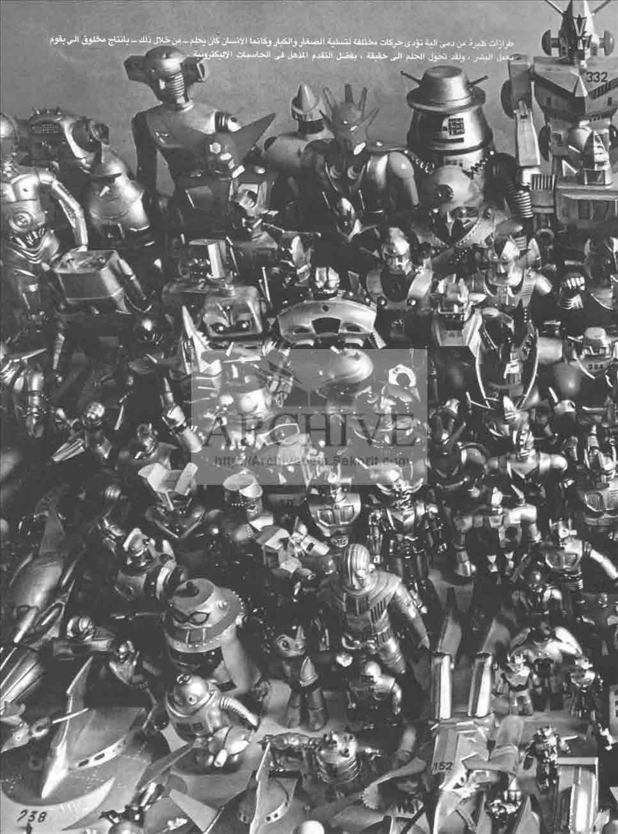
بقلم
د. عبدالمحسن صالح

ان الأوان ، وجاد الزمان ، بمعلم امين يعلم الأولاد اللغة والحساب ، ودون ارهاق فى دفع الأتعاب ، او فى تاخير عن موعد سابق او غياب ، اضف الى ذلك ان معلمنا المرتقب لا يستخدم العصا ، ولا ينهر الطلاب ، كما انه صبور فى الشرح والتكرار ، ومحبوب عند الصغاروالكبار ، وبالاختصار نراه معلماً مثالياً من كل الوجوه .. اطلبه تجده فى كل الظروف والأحوال !

ولاشك ان تلك بشرى طيبة تستحق منا ان نسعى لها سعيها ، وربما يسيل لها لعاب الآباء والامهات ، فيتساءلون بلهفة : انى لنا اذن بمثل هؤلاء المعلمين الأوفياء ؟



منذ حوالى قرنين من الزمان ، صنع احد اليابانيين هذه الدمية وكانت تتحرك وتحمل طاولة ، وتقدم عليها الشاى .. وكان ذلك يتم عن طريق زنبلك يحرك اجزاء الية ، ثم جاء علماء هذا الزمان ليطوروا الفكرة فى مخلوقات تحركها عقول الكترونية ، لتؤدى اعقد المهام واصعبها .



طرازات كثيرة من دمى آلية تؤدى حركات مختلفة لتسلية الصغار والكبار وكأنما الانسان كان يحلم ــ من خلال ذلك ــ بانتاج مخلوق آلى يقوم بعمل البشر ، ولقد تحول الحلم الى حقيقة ، بفضل التقدم المذهل فى الحاسبات الالكترونية

إلى أين أيها الإنسان الآلي ؟

الواقع أنهم الآن في الأسواق .. لكنهم يتكلمون لغات أجنبية ، ولم يحن الوقت بعد للناطقين بلغة الضاد .. فمعلم اللغة بخمسين دولاراً ، ومعلم الحساب بسبعين ، ولكل معلم مستوى يتناسب مع عمر التلميذ ، والصف المدرسي الذي ينتمي اليه ، وكلما ارتقى الولد او البنت في مراحل التعليم ، كلما استدعى ذلك ان تشترى له معلماً متطوراً يتناسب ومستواه !

ليست هذه في الواقع أضغاث احلام ، ولا شطحات خيال ، فلقد وقعت أول مرة على واحد من هؤلاء «المدرسين» – أثناء وجودي في الولايات المتحدة الأمريكية – بين يدي طفل لا يتجاوز عمره ست سنوات ، وكان يحمله بسهولة بين يديه ، فاذا ضغط الطفل على الأزرار نطق « المدرس » بالحروف وبالكلمات ، حتى اذا أخطأ الطفل ، قال له أخطأت ، واذا اصاب قال له : أحسنت .. مدرس لاشك مسل وجذاب ، ودائماً مثير للانتباه ، ولهذا لا يمله الصغار ولا الكبار فلقد جذبني بدوره ، وجلست اليه ، لأحاوره ويحاورني في تكوين الكلمات ، أو اجراء تمارين الحساب ، ولكن مستواه يتناسب مع مستوى مراحل التعليم الأولى ! .

طفرة في وسائل التعليم

ولاشك ان معنى ما قدمنا فاوجزنا لا يخفى سره على لبيب ، فهؤلاء المعلمون الجدد هم ثمرة تطور مستمر في استخدام الحاسبات والعقول الاليكترونية ، فالذي يعلم الأطفال والصبية مبادىء اللغة والحساب ، جهاز صغير يعمل ببطارية أو تيار كهربي ضعيف ، ولا يكاد يستهلك من الطاقة شيئاً مذكوراً ، وفي الجهاز ذاكرة اليكترونية تحتفظ بالمعلومات المطلوبة والمناسبة لمستوى التلميذ ، أي كانما البرنامج الدراسي – أو جزء منه – مبرمج أو مسجل على هيئة دوائر اليكترونية دقيقة في شريحة أو رقاقة صغيرة ، وعلى الجهاز عدد من الأزرار والمفاتيح التي توجه التلميذ .. فزرار منها لبداية الدرس وثان لاظهار الحروف على لوحة صغيرة ، ثم نطق الحروف بصوت واضح مسموع وثالث لتكوين الكلمات ، ورابع للاعادة ، وخامس لتغيير البرنامج ، وسادس وسابع .. الخ ، ليجعل هذا « المدرس» الآلي متعة حقيقية ، خاصة انه لا يمل ولا يكل مهما بلغ غباء التلميذ !

لكن ليس معنى ذلك ان مراحل التعليم الأعلى لم يكن لها نصيب في مثل هؤلاء المدرسين او الأساتذة الاليكترونيين ، بل يرجع عدم شيوعهم الى اننا لازلنا في بداية طريق يبشر بآمال عريضة ، وليس ببعيد ان يكون لكل مادة ، ولكل مرحلة من مراحل التعليم مدرسها الاليكتروني ، ليعلم الجغرافيا ، والتاريخ ، والرياضيات والمنطق والفنون والكيمياء والفيزياء ، وغير ذلك من علوم عصرنا ، أو قد تتطور الأمور الى ما هو أبعد من ذلك ، فيظهر « عقل اليكتروني » ليعلم عقول البشر مناهج دراسية مختلفة تناسب كل مرحلة .. أي سيصبح الحاسب الواحد بمثابة استاذ الأساتذة !

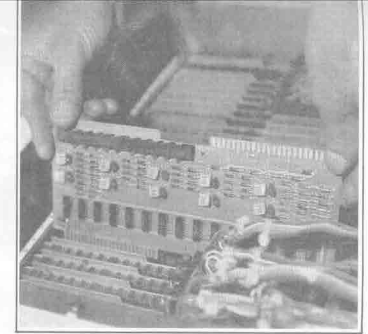
وليس ذلك – في الواقع – خيالا محضاً ، لأن نواة هذه الأفكار الغريبة قد تحولت بالفعل الى تطبيقات عملية ، وهي بذلك تشير الى ان المستقبل سيكون أغرب مما نتصور ، فبجوار الآلة التعليمية الاليكترونية التي ذكرناها آنفا ، وتعرف باسم « تكلم وتهج » ، توجد آلتان جديدتان متطورتان طرحتا منذ شهور قليلة في الأسواق ، ويطلق على الأولى « تكلم واقرأ » .. والثانية « تكلم واحسب » .. اى انهما يقران ويتكلمان ويحسبان ، ثم – في الوقت ذاته – يعلمان بلغة قومهما ، ولاشك ان ظهور المدرس الآلي العربي آت لا ريب فيه .

حكاية هارفي المريض

لكن الأمور لم تتوقف عند هذا الحد ، فلقد تطورت أيضاً الى تعليم طلبة وطالبات السنوات النهائية في بعض كليات الطب بالدول المتقدمة دروساً في الطب .. ولنقدم هنا – على سبيل المثال – « هارفي » .. انه مريض ، وانه الأستاذ ، وانه الممتحن – واضع درجات الامتحان ، فهارفي انسان آلي (انظر الصورة المنشورة على ذلك) ، وهو دائماً يستلقي على سرير في مدرسة الطب بجامعة ميامي الأمريكية ، وبالتحديد في قسم أمراض القلب برئاسة البروفيسور ميشيل سي . جوردون ، ومريضنا أو انساننا الآلي ذو جلد من مادة مرنة تشبه جلودنا ، ويتخللها شرايين واوردة تماثل شراييننا واوردتنا ، ويبدو عند تشغيله وكأنما هو يتنفس ، لكن الغريب فيه انه يحمل بروجراماً يحتوى على ٤٠ مرضاً من أمراض القلب المعروفة ، ليس هذا فحسب ، بل يستطيع ان يمثل لطالب الطب الذي يفحصه بعض هذه الأمراض وعلى الطالب ان يكتشفها ، فاذا شخص المرض تشخيصاً صحيحاً ، منحه الدرجة التي يستحقها ، واذا اخطأ ، اظهر له خطأه ، وعليه ان يسارع بتصحيحه ، فاذا فشل ، أو ارتكب خطأ فاحشاً ، اعلن المريض الآلي ذلك بطريقة توحي بانه مات ، وعندئذ يتوقف البروجرام ، ولا يستجيب للفحص بعد ذلك الا بعد تشغيله في دورة جديدة !

وليس الأمر مقصوراً على مجال القلب وحدها ، بل هناك مرضى اليوم يمثلون أمراضاً اخرى كثيرة ، ففي مستشفى بوسطون العام بولاية ماساشوسيتس الأمريكية يوجد مريض آلي من هذا النوع ، وعلى الطالب ان يفحصه ، ويكتشف الداء عن طريق محادثة بينه وبين هذا الانسان الآلي المريض !

وفي جامعة بتسبيرج يوجد فريق



محتويات «المخ» او «العقل» الاليكترونى عبارة عن لوحات ذات دوائر اليكترونية ، وهى توضع هنا واحدة بجوار الاخرى لتكون البروجرام المتكامل الذى يدير مصنعا باكمله .

علمى يتكون من ثلاثة ، اثنان منهما بشر ، والثالث انسان الى ، فمن البشر دكتور جاك مايرز ، وهو متخصص فيما يسمى بالذكاء الصناعي – اى الذى يمكن اكسابه للآلة ، او الانسان الآلى ، والثانى « هارى بويل » متخصص فى علـــوم الحاسبات الاليكترونية ، وعلى الاخص كيفية تزويدها بالمعلومات واختزانها ثم استخراجها على هيئة اجابات ، اما ثالثهم – الانسان الآلى – فهو خبير فى تشخيص اعراض ٥٠٠ مرض ، والعمل قائم ايضا لتزويده بمائة وخمسين مرضا اضافيا ، وربما بعد سنوات يزود بمعظم الأمراض التى عرفتها البشرية !

والطبيب الآلى فى اســـــتنباطاته لتحديد الأمراض ، يشبه الى حد ما الطبيب البشرى ، اذ ان الأعراض التى يشكو منها المريض قد تشير الى أكثر من مرض ، وعلى الطبيب أن يقرر اى الأمراض أكثر احتمالا ، وكذلك الحال مع الطبيب الآلى ، فهو ايضا يشتغل على مبدأ الاحتمالات ، ومن اجل هذا لــكل مرض اعراضه المبرمجة ، وقد تصل تلك الأعراض الى حوالى ٦٠ عرضا لكل مرض ، ولهذا وضعت فيه كل صغيرة وكبيرة من المعلومات الدقيقة الملازمة للمرض .

وليس حتما – الآن على الأقل – ان يحدد الطبيب الآلى نوع المرض ، بل يقدم عددا من الحلول ، وعن طريق مزيد من الأسئلة والاستفسارات بين الطبيب البشرى والآلى ، يمكن تضييق الخناق لتحديد هوية المرض ، ليس هذا فحسب ، بل ايضا توضيح الأسباب التى ربما يكون المرض قد نشأ منها ، وبهذا يوجه الطبيب الآلى الطبيب البشرى الى معلومات جديدة قد تكون عليه خافية !

لكن ذلك كله يشير الى اننا لازلنا فى البداية ، او كانما هذه المرحلة بمثابة نبتة صغيرة ، والمستقبل كفيل بتغذيتها بعصارة الأفكار المتطورة ، لتنمو وتتفرع وتزهر وتثمر ثمار المعرفة ، ذلك ان الطبيب الآلى سوف يتطور الى درجات اكفا ، وبحيث يحدثه الانسان ويتخاطب معه – دون حرج – بمرض قديستحيى ان يعرضه على الطبيب البشرى ، وعندئذ يحدد له مرضه ، ليس ذلك فحسب ، بل يقوم الطبيب الآلى بتوضيح كيفية وصوله الى هذا التشخيص بالتفصيل ، او كانما هو يذكر لمريضه تاريخ المرض ، وكيفية نشاته ، وربما ايضا طريقة علاجه مع نصائح أخرى لازمة فى فترة العلاج ، او بعد تمامه !

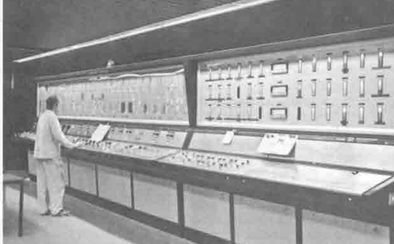
وليس الطبيب الآلى ولا المعلم الآلى هما نتاجا العقول البشرية فى ميدانى الطب والتعليم ، بل توجد بالفعل انماط اخرى كثيرة تؤدى اعمالا لا غنى عنها للبشرية .. فلقد توصلت جامعة ادنبره باسكتلندا الى تصميم اليكترونى لتشخيص ما قد تتعرض له ابار البترول من انهيارات ، أو ما قد يحل بالأرصفة العائمة من الخلجان والبحار من كوارث ليست فى الحسبان ، فتشير اليها ، وتحذر منها قبل فوات الأوان .

وفى جامعة استانفورد الأمريكيـــة جهاز اليكترونى آلى يحدد للعلمــــاء التركيب الكيميائى الدقيق لبعض الجزيئات المعقدة ، فلكل جزيء طيفه الضوئى ، أو بصمته التى لا يشاركه فيها أى جزء اخر ، وعندما يزود « الكيميـائى الآلى » بهذه الأطياف أو « البصـمات » ، فسرعان ما يحللهـــــا بطريقتــه أو ببروجرامه الموضوع فيه ، ويوضح بطريقة – لا لبس فيها ولا غمـوض – التكوين الدقيق للجزيء الذى يعجز العلماء عن الوصول اليه الا بشق الأنفس .

والذى يتنبأ بحالة الطقس لأيام ، وربما لأسابيع قادمة ، حاسب اليكترونى يستقبل سيلا جارفا من المعلومـــات ، « فيهضمها » ويفندهـــا ، ويشـــير الى احتمالات سقوط الأمطار ، أو هبـــوب الأعاصير ، أو اية تقلبات جوية قـــد تكون خطرا على الملاحة البحرية والجوية والفضائية ، وهو فى ذلك يجرى آلاف الحسابات ، ويطبق أصــــول المعادلات ، ويقدم الاجابات بسرعة فائقة فى اية لحظة بالليل والنهار ، وهذا ما لا يقدر عليه بشر !

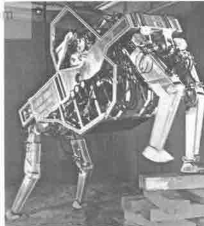
ومن الســـماوات تنهـــال ملايين المعلومات على اجهزة حساســــة ، فتستقبلها وتغربلها وتفندها ، وتدفـــع بالحصيلة الى عقول اليكترونية فلكية ، فتعيد ما استقبلت ، وتترجمه الى لغـــة بشرية مفهومة ، وهى – فى هذا المجال – تؤدى للانسان خدمات هائلة ، وتوضح له من اسرار السماوات ما يخفى على حواسه القاصرة ، وبذا يعرف أنباءها دون أن يصعد اليها ، او يرقبها بحواسه لأن حواسنا اضعف من ان توضح لنا بواطن الأمور !

ونحن لا نريد ان نسترسل فى ذكـــر ، المزيد والا لخرج الموضوع من ايدينا ، لكن يكفى ان نذكر ان هـــذه الالات الاليكترونية الدقيقة قد اصبحت عين



«العقل» أو الحاسبة الاليكترونية التى توجه أوامرها الى الآلات التى تقوم بعمل الانسان داخل المصنع ، وكل شىء هنا يحكمه عالم الازرار .

وحدة كاملة فى مصنع وقد خلت من العمال البشريين ، إذ حل محلهم عمال البون ، يؤدون عملهم حسب بروجرام محفوظ فى ذاكرة اليكترونية (الانسان الذى تراه هنا يراقب فقط من بعيد) .



انسان الى بذراعين وساقين ، وبينهما بروجرامه المكدس فى ذاكرة العقل الاليكترونى ، وبه يتحرك ويدور ويؤدى بعض المهام .

العلم التى يرى بها ، واذنه التى يسمع من خلالها ، بل ومخه وفكره الذى يشتغل له ليل نهار ، دون ان يكل او يغفو او ينام فتريح العقل البشرى من الاجهاد الفكرى الذى يتعرض له فى كل آن وحين ، وكانما هذه العقول الآلية توفر للعقول البشرية طاقاتهـــا لمزيد من الخـلق والتطوير والابتكار الذى نشهد ثمراته فى كل ما هو جديد ومثير وجذاب .

اكفا واتقن من البشر !

ولنتصور بعد ذلك ان مناقشة قد جرت بين صاحب مشروعات صناعية ، وبين مورد يقدم له اكفا العمال ، وان المناقشة قد جرت بينهما هكـــذا ، حيث يقـول ثانيهما لأولهما : ما رأيك فى مجموعة من العمال الفنيين يشتغلون ساعات اطول ، وباجر اقل ، ولا يقومون باضراب ، ولا يشكلون اية نسـبـة من الغيـــاب ، ولا تصيبهم الامراض ، ولا تطلب الدولة منك لهم اية تامينات أو معاشات .. وهم مطيعون غاية الطاعة ، وانتاجهم غاية فى الجودة ، ولا يحتاجون لعلاوات ، بل العكس هوالصحيح ، لان اجورهم قد تميل الى النقصان .. لا الى الزيادة ؟!

عندئذ قد يتنهد صاحب المشروعات بحسرة ، ويردف قائلا : انى لنا بهؤلاء إلا فى عالم الخيال والاحلام ؟ !

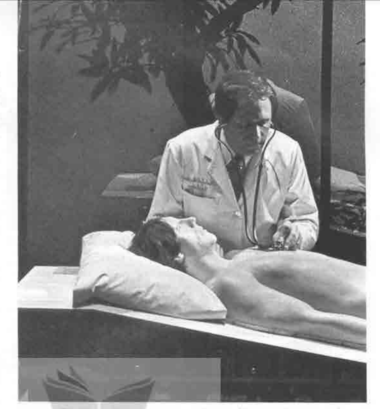
فيقول صاحب الفكرة : انهم موجودون .. وهم يتمثلون فى الانسان الآلى الـذى لا يكل ولا يشكو ولا يتبرم !

وبالفعل ، فمنذ سنوات عدة بدأ الانسان الآلى ينتشر ويحل فى المصانع محل البشر .. فحيث يدفع صاحب العمل للعامل البشرى ما بين ١٥ ــ ٢٠ دولاراً فى الساعة ، فان العامل الآلى لا يتكلف فى المتوسط الاخمسة دولارات لا غير ، بما فى ذلك الثمن المدفوع فيه ، وصيانته والطاقة اللازمة لتشغيله ، وهو قادر على ان يشتغل دوريتين أو ثلاث دوريات فى اليوم الواحد ، ويستغل وقته فى العمل بكفاءة تتراوح ما بين ٩٥ ــ ٩٨٪ من الزمن الذى يعمل فيه ، فى حين ان العامل البشرى بالمقارنة لا يزيد عن ٧٥٪ (طبعاً فى الدول المتقدمة ، اما فى الدول النامية او المتخلفة ، فما أكثر الوقت الضائع !) .

ان شركة جنرال موتورز تمتلك الآن وحدها أكثر من ٤٥٠ انسانا اليـــاً فى عمليات لحام ودهان وتجميع وربط وتفتيش على الجودة وما شابه ذلك ، ولما ثبت العامل الآلى قدرته وكفاءته ودقته ، فقد خططت الشركة لزيادة طاقة العمالة الآلية الى خمسة الاف بحاول عام ١٩٨٥ تزيد الى نحو ١٤ الفا فى عام ١٩٩٠ .. لكن شركة جنرال موتورز ليست وحدها فى الميدان ، بل ان معظم شركات صناعة السيارات الكبرى مثل فيات وفولفو وتويوتا .. الخ ، بدات تستخدم الانسان الآلى لدرجة ان بعضها قد استغنى عن حوالى ٥٠٪ من الأيدى البشرية ، وليس ببعيد ان يدار معظم اجزاء المصنع بالانسان الآلى ، وبهذا لا تمثل فيه القوة البشرية الا بنسبة ضئيلة قد تتراوح ما بين ٣ ، ٥٪ من العمالة الفعلية .

لكن ظاهرة الاستغناء لن تقتصر فقط على الفنيين والعمال والمهندسين ، بـل ستتعداها الى الاداريين ، لأن حاسبا اليكترونيا ضخما ومزودا ببروجـــرام يجمع بين كل التخصصات الادارية ، يستطيع ان يقوم بعمل المئات ، وينجز





طبيب بشرى ، ومريض الى يدعى هارفى ويحمل فى بروجرامه اربعين مرضا من امراض القلب التى يكشف لدارسى الطب اعراضها ، علهم يكتشفوا حقيقة كل مرض ، لاحظ ان بروجرام المريض الالى موجود فى تصميم اليكترونى تحت المنضدة ..

مهامه بمعدلات اسرع واتقن ، ولاشك ان هذا النوع من الحاسبات ينتشر الآن انتشارا واسعا ، وليس ادل على ذلك من ان جميع شركات الطيران تستخدم منذ سنين عدة هذه الحاسبات ، وكانما هى بمثابة المرجع النهائى فى تنظيم رحلات الطيران !

مستقبل مظلم أو مشرق

الموضوع بعد ذلك كبير جدا ، لكن المجال هنا لا يتسع لذكر المزيد ، اذ مما لاشك فيه ان العالم مقدم على استخدام الانسان الآلى ، والعقل الآلى ، ليغزو بهما المجالات التى يعمل فيها البشر .. فمن مدرس الى ، الى طبيب الى ، الى عامل الى ، الى ادارى الى ، الى طيار الى الى غواص الى ، الى مفتش الى ، الى مترجم الى ، الى مضحك أو مسل الى الى اخر هذه القائمة الطويلة والعريضة التى تبدو وكانما هى فى طريقها الى فرض نوع جديد من الاستعمار ، وبه تحل محل البشر .. مثل هذا التحول الغريب فى انماط الحياة ، قد يؤدى الى نتائج من الصعب التنبؤ بها او بابعادها فرغم ان فى ظاهرها الرحمة ، الا انها تنطوى على نقمة ، اذ ستؤدى الى اردأ انواع البطالة والفراغ القاتل الذى سيتعرض له البشر ، وقد يؤدى ذلك ايضا الى ثورة تقوم بها العقول البشرية ، فتعلنها حربا مدمرة على هؤلاء المستعمرين الغرباء ــ اى الالات الصماء التى تحاكى البشر ، وتقلدهم فى معظم انشطة حياتهم !

ان الانسان الآلى هو ــ فى الحقيقة ــ آلة تحمل فى طياتها بروجراما يحتوى على المعلومات التى تحدد لها اختصاصاتها ، وكانما هذا البروجرام بمثابة ذاكرتها او مخها الذى يحرك فيها اجزاء محددة تؤدى بها عملها ، وقد يكون لها ساقان وذراعان وكفان بهما اصابع ، واذنان وعينان .. الخ ، ذلك ان البحوث المتطورة سوف تتمخض عن مخلوق الى يسمع الاوامر وينفذها او يرد عليها ، اى يكلمنا ونكلمه ، كما انه سيزود بعينين تليفزيونيتين يرى بهما الطريق ، فيتجنب العقبات التى تقابله ، او ينتقى بهما الأشياء المكلف بتصنيفها وحملها ووضعها فى الأماكن الذى يوجهها إليه بروجرامه .. وبالاختصار فنحن مقبلون على زمن كل ما فيه غريب وعجيب ، ولقد بدات بشائر هذه التطبيقات فى الظهور فى زمننا الحالى ، لكنها لازالت بمثابة النواة التى سيتمخض عنها تطويرات هامة فى هذه المخلوقات الآلية ، لتقوم بأعمال صعبة وشاقة ، وبحيث لا تتحملها طاقات البشر ، وعلى راسها ــ مثلا ــ غزو كواكب المجموعة الشمسية .

ان سفينة الفضاء التى هبطت على كوكب المريخ منذ سنين عدة ، استطاعت ان تلفظ من جوفها آلات مبرمجة ، فكانت هناك بمثابة الكيمائى او البيولوجى البشرى ، اذ قامت بتحليل تربة المريخ ، واخذت منها عينات ، واجرت عليها تجارب بيولوجية ، علها تكتشف فيها صورة من صور الحياة البدائية ، ثم قامت بتسجيل النتائج ، وتصنيف محتوياتها ، وبعثت بها الى كوكبنا ، لتستقبلها اجهزة ارضية ، فترجمتها وحولتها الى معلومات تناسب مداركنا ، وبهذا نعرف فى الاجرام السماوية من اسرار دون ان نبرح مكاننا .. اى انها قد حلت محلنا ، فادت لنا خدمات هى فوق قدراتنا الحالية .

على ان الأمر الاغرب من ذلك ، ان افكار العلماء تمهد الآن لانتاج اجيال من هذه الكائنات الآلية بحيث يمكن ان تتصل ببعضها ، وتكون مجتمعات قائمة بذاتها ، ولها لغات موجية تتفاهم بها فيما بينها ، وتتوجه على هداها ، وليس ببعيد ان يتحكم فيها عقل اليكترونى ارقى منها ، وقد يوجهها الى تحقيق اهداف محددة ، ويعنى ذلك ــ ببساطة شديدة ــ ان عليه الامر ، وعليها الطاعة ، وكانما نحن بالفعل امام مخلوقات موجهة اسوة بما يحدث فى عالم البشر !

ان الأجيال البشرية المقبلة سوف تتصارع مع الاجيال الآلية ، وقد تكون نتيجة هذا الصراع نعمة على البشرية ، او قد تكون عليها لعنة .. لا أحد يدرى يقينا ، ذلك ان المستقبل ليس غريبا فقط بل سيكون اغرب مما نتصور .

وان غدا لناظره قريب .

د . عبد المحسن صالح

الرحلة داخل المغلف الرمادي

بقـــلم : نـــهى ســـمارة

ســـــلفا كانت تعرف مـــاذا داخل المغلف الرمـــادي الذى ناولهـــا اياه كريم .

فلسطين تدعوها بواسطة عائلتها في ورقة معبأة وممهورة باختام سلطوية اذنة لها بزيارة « جمع شمل » لمدة شهر .

فلسطين تنتظرها ، لتنعش الصور ، لتمزق الصور ، لتخلق صوراً جديدة .

سلفا كانت تعرف رحلة التعبؤ : بالخوف بالهزيمة ، بالذل ، بالانفعال ... انها الصدمة التي كانت تنتظرها لتواجهها داخل المغلف الرمادي . الصفعة التي جاءت لتوقظها من ركامات الانسحاب والتقوقع ، ولتكشف الستار الذي أسدلته عنها طويلا .

كم يصعب عليها ان تقرر ، فكعادتها حين تسقط في حالة تردد ، تاخذ بقطعة نقود حجرية ، ثم : « طرة أو نقشة » « الاختيار نتيجته عبثية بقدر ما تقرره وجها العملة .

كريم مازال يتامل صفحة وجهها ، تساله مازحة عن قطعة نقدية ، يضحك ويقول :

اهكذا حسب وجه العملة الساقط يكون قرارك .

ثم يقف ويقول :

ساترك لك ان تقررى بروية اكثر من عبثك هـــذا ، ان خالتك واولاد عمـك سيفرحون لو التقوا بك بعـــد هذه السنوات .

ماذا يعنى هنا العامل الانسانى ؟! أن تضيء عيوننا فرحة للقائها . ثم تنطفىء حزنا لفراقها .

الآخرون كم يصغرون اليوم أمـــام موضوعها ، هذه المرة لن يكون قرارهـــا صدى لاسعاد الآخرين .

لاحظت كريم يتمشى بعصبية امامها ، لو حدثته بعوالم معاناتها لأجابها جازماً لا افهم ، ستسافرين أم لا ، حتى اتدبر لك رحلة العبور الى عمان ، ثم جسر الأمير محمد وبعدها .... وبعدها تلجين الأرض .. المحتلة .

قالوا لها في عمان ينادي سائقو السيارات العمومية :

« نابلس ، طولكرم .. جنين . القدس » كما كان ينادي سائقو الباصات العمومية في بيروت : « عين الرمانة ، الشياح ، الطيونة » .

وهي في طريقها لأول مرة الى باريس وقفت تنتظر تاكسيا يقلها الى المطار ، ثم جاءها باص مترهل وقف في وجهها حائلا دون رؤية الشارع ، ودعاها المنادي الذي يقف على عتبة الباص والذي يجمع الركاب بصراخه والحاحه : « الشياح الشياح » ، اومات له يومها بالرفض ، فظل يصيح بوجهها « الشياح الشياح » ... لم يبتعد كانه استمتع بغضبها الصامت وهو يرى حقيبتها قربها تلهث مثلها بالركض نحو المطار ...

اليوم نسيت الركض ، نسيت معنى اللهفة على الوصول ، فقدت حماسها بالركض ايضا خلف الأشخاص والمواعيد وفقدت ايضا لذة الامتلاك ، ما ان نمتلك شيئا جميلا حتى نبادر باهدائه لأي قريب .. منذ وقت تشعر انها معزولة ومبعدة ، بل أصبح وقع الحياة عليها أشبه بأصداء صوت يتسرب من خلف ثقب جدار ، كبطل « بروست » في رواية الجحيم ، تنتظر معجزة ولا تاتي ، وكل شيء ينقلها من قبو بارد الى قبو يوم رطب والدفء أصبح الضفة الأخرى التي يعيش فيها الآخرون .. أما هى فما تبقى ليس إلا الاستمرار بحيادية وسلم .

الصفعة جاءت اليوم بواسطة المغلف الرمادى ، عليها المواجهة . أن تقـــوم بأخطر رحلة : « اكتشاف الجذور » .

ولكن ما معنى : لو ظلت هناك ولم يحصل ذلك الاحتلال .. ماذا كانت لو لم يكن ؟! .. هل تكون أكثر فى مدرسة ، أو خياطة القرية التى جاءت منها . أو زوجة تكثر من الأنجاب والبـــدانة .. اليس الاقتلاع عن الوطن هو اقتلاع ايضا عن التقاليد والأعراف ؟

ولكن ! بعيدا هنا خارج الرداء الذى لبسته العائلة ، المجتمع ، التقاليد .. ماذا فعلت ؟ لم تتمرد على خلعه ، ولم تستمتع بارتدائه والاندماج مع المجموع .. وبدت الحياة كأنها « قصة يرويها أبله ولا يعنيها أى شىء » .

ربما لأجل هذا لم يعد للاختيار لديها دلالة ، كذلك التحدي ، تتحدى من ؟ ولأجل ماذا ؟ تؤكد جدارتها لمن ؟ إنها بلا عائلة تود ان تستقطب اعجابها ، وليس لها اصدقاء تسابقهم الركض نحو الوصول ، المنافسة ربما كلمة يعرفها الانسان الذي يعيش داخل وطنه ... خارج كل هذا يبدو كل شيء كانه يعرض على شاشة ما .

حضرت مرة فيلما مدهشا ، كان اسمه الانفجار . في بداية الفيلم شاب يشتغل كمصور ، يمر يوما في طريقه بفريق لعبة كرة الطائرة ، الارض مخططة دائرية تفصل اللاعبين عن المارة ، رمى اللاعبون الكرة نحو الشاب برغبة زجه في اللعبة يتناول الشاب الكرة ويرميها اليهم متجنبا الدخول في دائرة اللاعبين ... ثم تقحم الحياة الشاب المصور في حكاية يكون الشاهد الوحيد عليها ، ويصبح متورطا في الموضوع ، طرفا انسانيا فيه ... في نهاية الفيلم يمر الشاب المصور بذات ساحة اللاعبين ، ترمى اليه الكرة كالسابق عليه ، ينفعل ، يلتقطها ، يدخل ساحة اللاعبين ، يبدأ اللعب تاخذ سحناته ايقاعا اكثر صخبا ، يبدو اكثر سعادة ونضارة ، يصبح هو والحياة ولاعبوها شيئاً واحداً .

اليوم ! جاءتها الكرة داخـــل المغلف الرمادى وساحتها الماضى ، وبيت صغير ، وقطعة ارض خضراء غفل عنها الأعداء ، وأوراق واشياء مازالت هناك فى حراسة وجوه الماضى . الأمل هو الساحة ، لكن هل فى قدرتها مواجهة فسحة الأمـــل هذه ؟! اتستطيع ان تراهم يمضغون العلكة ببذلاتهم العسكرية ونجمة داوود على أذرعتهم ؟ أتســـتطيع ان ترى جباههم ملوحة بشمسها ، ويبصــقون العلكة حين يضجرون فوق ترابهـــا ، قالت لها هدى مرة : أكثر ما ازعجنى حين وقفت قبل حرب ٦٧ ، أطل فى القـــدس العربية الى قدسهم المغتصبة ، منظر حبال الغسيل إذن ، انهم يعيشـــون حياتهم بسلام ، تتسخ ثيابهم فيغسلونها ثم ينشرونها ثم يرتدونها من جديد .. ولتستهلك .. وليشتروا أخرى جديدة . هذا الأطمئنان . يظنون انهم باقون .. تاوهت وقالت : « الحمد لله لم أشم رائحة طبيخهم » .

وهى .. ! هل ســتحتمل صـــوت احذيتهم العسكرية الغامقة ، ونظراتهم فوق وجهها وجســدها وروابيها تصول وتجول بلذة الامتلاك ؟

ثم تفاصيل كثيرة ، هـــل تـدخن من تبغهم ؟ تتداول عملتهم ؟ تاكـــل اللحم الذى علفته حيواناتهم فى أرضها ؟ وحيـــواناتهم ، اهى فلســـــطينية او اسرائيلية ، هل ستحب البقر والماعز والقطط هناك ؟ وما رجـــع رحيق الورد والقرنفل والياسمين عليها ؟

وما رأى هؤلاء اذا سئلوا الى من كان انتماؤهم ؟

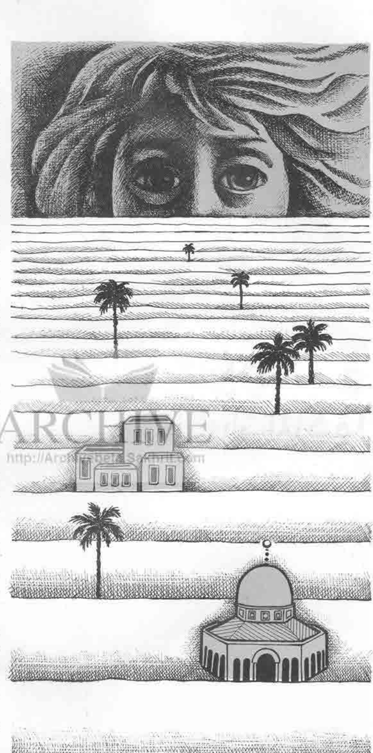
ضحك جدها الفلاح مرة وقال هـــذه الأرض خصبة ، اذا رميت فيها صحناً نبت الف صحن ؟ . « هل لأجل هذا لم ينس الفلسطيني أرضه ؟ ! » .

المغلف الرمادى أمامها يصيح ، يصرخ كمنادى باص بيروت المترهل .. اين يكون قرارك .. حيث هى ، راحة اشبه براحة الميت فى قبره .. وحيث الرحلة ، لقـــاء الوجع ، لقاء الشريان الذى يمتد حتى الوريد النابض الأحمر نحو القلب ..

القرار !! العباقرة او المجانين وحدهم يعرفونه ..

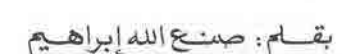
« طرة او نقشة » !!

ذهب كريم ، وليس عندها قطعة نقود حجرية لتاخذ عنها حجم القرار . !



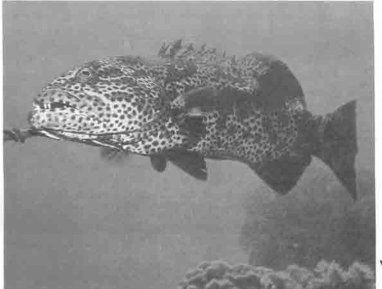
الحياة والموت في بحر ملون







كشر البحر الأحمر .. في المرآة !



اكبر واشهر انواع الكشر بالبحر الأحمر والخليج العربى على السواء .. ويعرف باسم كشر «توينه» ويتميز بانه صائد من الدرجة الأولى يجمع بين الدهاء والسرعة .

هذا الكشر من سكان البحر الكاريبى .. لكنه نفس النوع الذى يعيش فى مياه البحر الاحمر ، ويتميز بقدرته على ابتلاع اسماك تماثله حجما .



سمكة الحريد او الببغاء التى تتغــذى على الصـخور المرجانية .

ربما كان السبب فى اطلاق اسم « الكشر » على هذه السمكة ، التى تعتبر من ابرز اسماك الشعاب المرجانية ، وتنتشر انواعها العديدة فى مياه البحر الاحمر والخليج العربى على السواء ـ هو التكشيرة الغاضبة التى تعلو رؤوسها بصفة دائمة ..

لكن البعض يرون ان صحة الاسم هو «القشر» اشارة الى القشور الغزيرة التى تغطى اجسادها

وايا كان الامر ، فان بطل قصتنا ، طوال اليوم الذى انتهى بطريقة ماساوية ، كان يعوم نافخا شدقيه ، ناصبا اشواكه ، خافضا راسه المحدبة عظيمة الجمجمة ، مبرزا شفته السفلى ، فى تعبير واضح عن الاستياء والسخط .

والواقع انه كان غاضبا بالفعل ..

فكلما بدرت من ذيله حركة عنيفة ، شق جانبه الم حاد لا يحتمل ، من اثار معركة شرسة خاضها بالأمس مع سمكة اخرى من نفس النوع ،

الكـشـر يقـع فـي فـخ المناورات الماكرة!

اجترات على حدودة الاقليمية ..

والكشر الآخر يسكن الى جواره مباشرة ، ومعنى ذلك ان ثلاثين متراً على الاقل تفصل بينهما ، يقع فى منتصفها الخط الوهمى الذى يفصل بين منطقة كل منهما ، الويل لمن يعبره ..

ولسبب غير مفهوم عبر الجار الخط الوهمى ، فكان لا مفر من المعركة ، وما تمخضت عنه من اصابات ..

وامثال هذه المعركة وما تلحقه من اصابات يقع كل يوم ، ولا يلبث الالم نفسه ان يخف تدريجيا . وبهذا كان فى وسعه ان يتجاهل الامر كلية ، لولا انه كان يوشك على الاختناق ..

فلليوم الثلث على التوالى ، بلغت درجة الحرارة فى الغور الذى يعيش و «يعمل» به ، حدا من الارتفاع لا يطاق . وعند الظهر وصلت الى خمسين درجة بمقاييس البشر ..

هجران المكان

ورغم ان احياء المياه المدارية لا تطيق الجو البارد ، فانها ايضا لا تحتمل شدة الحرارة . وبالاضافة الى ذلك ، كان الغور المذكور يتميز بشىء من الضحالة ، الامر الذى ضاعف من معاناة سكانه .

فقد ازداد انكماش بوليبات المراجين والشقائق ، واعترى الذبول اغلبها .

وكفت النجمة الهشة عن استخدام اذرعها الطويلة المرنة فى حركاتها الراقصة ، إذ تقف على طرفى ذراعين منها وتتارجح مع حركة الماء وقد ثنت الاذرع الاخرى . وسرعان ما رقدت جامدة بين ثنايا الشعاب ، وماتت .

وجفت الجلود العارية للبزاقات الصغيرة ، وتحولت الوانها المزركشة اللامعة ، الى زرقة قاتمة . وتخلص بعضها من معاطفه الجلدية ، مما سيعجل بموته .

بل إن الكائنات الكبيرة التى تتميز بقوة الاحتمال ، مثل السلاحف البحرية ، تجمدت فى اماكنها ، عاجزة عن الحركة .

وقرب السطح ظل واحد من ذكورها ـ ساعات طويلة ـ متشبثا بقوقعة انثى بمخالبه الامامية وذيله ، رغم ان الجماع الذى لا يستغرق فى العادة اكثر من عشر دقائق ، كان قد انتهى من زمن .

وتحت السطح مباشرة استلقت اسماك كثيرة وقد اصبحت هى وغيرها بين نارين ، الموت شيا عند السطح او اختناقا فى الاعماق .

ذلك ان الـ[illegible]ـح الذى لم تعبر به نسمة هواء واحدة ، صنع ملاءة شديدة الحرارة ، تحول دون مرور الأوكسجين . فالماء الدافىء اخف من البارد الذى تحته . ودون الهواء الذى يزيح الطبقات العليا الدافئة ، لن تتمكن السفلية الباردة من الوصول الى السطح ، للتزود بالأوكسجين .

ولم يعد امام الكشر وغيره سوى ان ينتقل بين المستويين ، ملتمسا البرودة فى الأعماق ، والاوكسجين الذائب فى الماء قرب السطح الملتهب ، بعد أن تخلصت منه الكائنات الدقيقة ، مستعينة بضوء الشمس .

لم يكن بوسعه ان يهجر المكان برمته الى جزء اخر من الشعاب الممتدة الى ما لا نهاية ، تكون المياه فيه اقل ضحالة ، وبالتالى اقل تاثرا من ارتفاع درجة الحرارة .

فهو من حيوانات الشعاب المقيمة ، التى لا تغير مواطنها بسهولة ، فهنا ولدت ، وهنا ستموت .

وبالاضافة الى ذلك ، كان الكشر يتمتع فى هذا الغور ، بمسكن ممتاز ذى مدخلين ، فى افضل المواقع . ومن المستحيل ان يجد مسكنا مماثلا فى ارجاء الشعاب المزدحمة بالسكان ، وخاصة فى هذا الوقت من العام الذى تفد فيه كثير من حيوانات الأعماق والمياه الخارجية ، فى اعداد ضخمة ، من اجل التكاثر و وضع البيض .

العجز عن الحركة

رقد الكشر قرب السطح ، وخياشيمه تعمل فى جهد .

وفى كل مكان من حوله رقدت آلاف الاسماك مثله ، فى غير حراك ، وهى تتنفس فى صعوبة .

وهو امر كان ـ وحده ـ كافيا لاثارة الغضب .

فالكشر من الاسماك المفترسة التى تعيش على لحوم الأسماك الاخرى . وهو يتمتع بشهية غير محدودة لا يبزه فيها سوى القرش ، زعيم المفترسين . فمهما كانت معدته ممتلئة ، لا يتـورع عن مهاجمة اية فريسة تقابله . وكثيرا ما يشاهد وقد تدلى من فمه جزء من سمكة ، ليس له مكان فى معدته . ويمكن أن يستمر هذا الوضع عدة ساعات . وفى النهاية يذيب الجزء المختفى من السمكة ـ بما فيها من عظام ـ بواسطة عصاراته الهضمية . وبذلك يتمكن من استيعاب الجزء الآخر .

لكن الصيد لم يكن متوفرا بسهولة .

كانت الوانه تماثل الوان المرجان والاسفنج ، الامر الذى يساعده على التخفى والتربص بين الشقوق ثم الانقضاض فى الوقت المناسب .

لكن الفرائس كانت تتمتع ايضا بنفس الميزة . وما تحمله على اجسادها من نقوش وزخارف وخطوط وبقع ، يؤدى الى ارباك اعتى المهاجمين ، ويتيح لها أن تلتحم بالشعاب وتصبح جزءاً لا يتجزا منها .

ومثل هذه الفرصة التى هياها الطقس ، لم تسنح له قط من قبل .

فلم يحدث ابدا أن القى نفسه محاطا بكتل من الأسماك الشهية ، لا تفصله عنها سوى اقدام قليلة ، وتبدو كانما فقدت كل قدرة على الحركة ، فضلا عن المقاومة والهرب .

مثلما يتراءى له ـ بالضبط ـ عندما يحلم .

وما كان يبعث على الغضب حقيقة ، انه كان عاجزا عن اغتنام هذه الفرصة الذهبية ، لانه كان مثلها ، فاقدا لكل قدرة على الحركة او التنفس ، يسيطر عليه خدر كالغيبوبة .

هروب الطريدة

خفت حدة الشمس اللاهبة مع بدء الغروب ، فدب شىء من النشاط بين الأسماك الراقدة قرب السطح .

كانوا يعرفون ان امامهم فسحة ضيقة من الوقت ، سيعود بعدها كل شىء ـ بالرغم من اختفاء الشمس ـ الى اسوا مما كان ، طالما ظل الهواء معدوما .

فمع حلول الظلام ، يكف سكان مملكة الكائنات الدقيقة عن التخلص من الاوكسجين ، ويبداون فى استهلاكه بشراهة . وبذلك يفقد التواجد قرب السطح ميزته الوحيدة .

وخلال الفسحة المتاحة من الوقت حتى حلول الظلام ، كان على هذه الأسماك ان تجد ما تاكله ، وتعود الى مساكنها ومنتجعاتها الليلية .

وهو ما انتوى الكشر ان يفعله ، عندما مرت بالقرب منه سمكة صغيرة زرقاء اللون ، تمتد على ظهرها شرائط طولية صفراء .

انباه النتوء الحاد الذى يشبه مبضع الجراح ويبرز من بطنها ، انها من جنس «سحل» الشهير بسمكة الدكتور او الجراح .

وكان يعرف ان ذيل السمكة يحمل على طرفيه المتباعدين ، شوكتين قويتين تلحقان بمن يتعرض لهما اصابات بالغة .

لكنه لاحظ فى نفس الوقت شيئين مهمين .

اولهما ان السمكة فى حالة من الاعياء البالغ .

والثانى انها وحيدة تماما .

فهى تتجول ـ عادة ـ فى افواج كبيرة ، عندما تتلقف غذاءها من فوق مسطحات الشعاب .

ولم تلتقط اعصابه الجانبية ما يوحى بان ثمة فوجا منها على مقربة .

استجمع قواه ، وابتلع كميات من الماء ، ثم



تعيش دورة الانابيب العملاقة بين المرجان داخل انابيب جيرية تفرزها بنفسها .. وتتغذى هذه الدورة بواسطة لوامس مروحية تراها فى وسط الصورة .. وعند الخطر تتراجع داخل انبوبها وتغلق فتحته بغطاء جيرى مزود باشواك بارزة مثل قرون الغزال كما يبدو فى الركن الأيسر العلوى من الصورة .

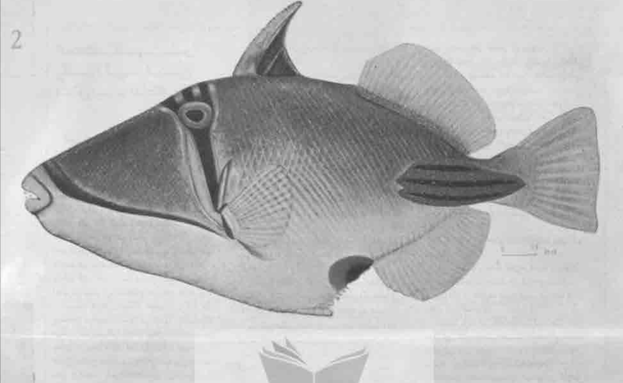
الكشر يقع في فخ المناورات الماكرة !

اما اختلاف الألوان والزخارف فلا يعنى اختلاف النوع ، وإنما اختلاف مراحل العمر .

فاصغر سمكة من هذا النوع العجيب ، الذى استبدل الأسنان بمنقار ، لا يزيد طولها عن ١٦ ملم ، وتتميز بلون أسود تعترضه خطوط بيضاء . وباضطراد نمو الجسم يزيد عرض الخطوط البيضاء حتى تصبح بعرض المساحات السوداء ثم تنقلب الآية بالتدريج ، فيزداد عرض الخطوط البيضاء حتى تبدو السمكة بيضاء ذات شرائط سوداء .

اما اكبر هذه الأسماك سنا ، ويربو طولها على نصف المتر ، فتتميز ببياض سابغ ، تتخلله نقاط سوداء من اثر الشرائط الغابرة .

وقد تبين الكشر حقيقة الأمر عندما ازداد



واحدة من اجمل أسماك الشعاب المرجانية وتوجد فى اماكن مختلفة من العالم . وتسمى أحيانا بسمكة «بيكاسو» بسبب زخارفها والوانها الغريبة .

مستعمرة من الحيوان المعروف بالمحقنة البحرية او بطاطس البحر .

اقتراب الجماعة منه .

كان يحمل كراهية شديدة لهذا النوع من الإسماك ، بسبب ما يصدر عنها من أصوات حادة عندما تحك جانبى المنقار الذى يعلو فكيها ، وهى اصوات تسبب له انزعاجا بالغا .

وكان يعرف انها تبتلع ـ اذا ما انفعلت ـ كميات كبيرة من المياه فى جيب خاص بمعدتها مما يؤدى الى انتفاخها بدرجة تخلق لمن يحاول افتراسها عقبة لا يمكن تخطيها .

اثر السلامة فابتعد صوب احد الممرات ، وعلى وجهه المتجهم ذى العينين الدقيقتين المحدقتين ، أمارات الاستياء .

مر بسمكة من عائلة الخنزير ترقب بيضها الذى أودعته احدى الفتحات . لكنه لم يفكر فى مهاجمتها . فقد كان يعرف انها الآن فى اقصى حالات الاستنفار والاستعداد للاستبسال فى القتال دفاعا عن بيضها .

تبع سمكة خضراء ذات زعانف وردية ، تنتشر على جسدها نقاط داكنة ، وزخارف متنوعة . وراها تتجه الى مستعمرة مرجانية ذات فروع لينة ، برزت بوليباتها الصغيرة مبكرة

الكشر يقع في فخ المناورات الماكرة!

كانت السمكة من اقارب اسماك الزناد المعروفة التى سميت بهذا اللقب بسبب جهاز غريب على زعنفتها الظهرية يشبه جهاز الأمان فى البندقية . ويتالف هذا الجهاز لدى السمكة من شوكتين ، احداهما كبيرة سميكة ، بالغة القوة ، والثانية صغيرة وتقوم بتثبيت الأولى عند انتصابها لتبقى على هذا الوضع مهما حدث .

ظن الكشر انها ستمارس هوايتها فى التهام لحم البوليبات الحية ، فتتعلق بها بواسطة فمها وتجمد فى موضعها موجهة رأسها الى اسفل ، وذيلها الى أعلى ، مما يجعلها فريسة سهلة . لكنها لم تلبث ان اختفت داخل احد الشقوق .

اصيب الكشر باحباط مفاجىء . فما كان يستطيع مهاجمة السمكة فى شقها ، إذسيعوقه خطمه العريض عن ذلك . وكان من العبث ان ينتظر خروجها منه . فقد كان موقنا انها ولجت الشق لتقضى الليل ، وانها الآن امنة بين جدرانه بعد ان ثبتت شوكتها الكبرى فى السقف لا يستطيع كائن ما ـ فى البحر أو على البر ـ انتزاعها .

وكان يتدبر امر العودة الى مياه السطح عندما تلقى خطه الجانبى صدمة مفاجئة، فعام نحو مصدرها .

ولم يكد يتقدم قليلا حتى راى سحابة الرمل .

تحركت خياشيمه بسرعة ، وبدات عصاراته الهضمية تسيل .

فليس للسحابة الرملية غير معنى واحد ، هو ان «الحدية» تتقيا .

تنتمى سمكة الحدية الى واحدة من اشهر عائلات الأسماك فى البحر الأحمر ، هى التى تعرف باسم عائلة الحريد ، ويطلق عليها فى البحار الأخرى ، اسم اسماك الببغاء ، بسبب مشابهة رؤوسها والوانها لرؤوس والوان الطائر المعروف .

وتتميز الحدية عن بقية اسماك الحريد ، باجسامها الكبيرة التى يربو طولها على القدمين وزعانفها القوية الزرقاء ، وفكوكها الثقيلة المزودة بمناقير ببغاوية .

لكن السمكة التى اجتذبت انتباه الكشر كانت تتميز ـ فوق ذلك ـ بنتوء بارز فوق راسها ـ بين العينين ـ جلب لها اسم «الحدية ام راس» .

وتعيش هذه السمكة على المراجين الميتة بعد ان تتحجر وتنضم الى صخور الشعاب . فتقترب منها وهى تلوى راسها الى اسفل ، ثم تنطح كتلها الصخرية ، محدثة صوتا واضحا ، هو الذى التقطته اعصاب الكشر .

وسرعان ما تزيح بمنقارها قطعة من المرجان فى حجم بيضة النعامة . فتطحن هذه البيضة بين اسنان بلعومية قوية ، متضامة وملتحمة بالمنقار الببغاوى ، وتتلقى معدة السمكة المسحوق النشىء ، فتهضم ما يتخلله من مواد عضوية تخلفت عن البوليبات الميتة ، وتطرد الباقى فتتقيؤه السمكة على شكل سحابة من الرمال البيضاء .

عدة ضربات من الراس تتلوها عدة هجمات بالمنقار ، ثم سحابة من غبار ابيض يملأ خمسين مترا مكعبا من الماء .

والواقع ان كافة اسماك عائلة الحريد ، التى تضم بين انواعها الحدية والحريد والحدية ام راس وابا ربيع وغيرها ، تتغذى بنفس الطريقة . وقد قدر العلماء ان السمكة الواحدة من هذه العائلة «تنتج» خمسة اطنان من الرمال فى العام .

وتتحلل هذه الرمال فى الماء حتى تبلغ درجة التشبع فتتبلور على شكل صخرى يساهم فى تشكيل القاعدة الحجرية للشعاب المرجانية .

وما كان الكشر ليفكر فى مهاجمة الحدية ذات الراس القوية ، لكنه ادرك ان سحابة الرمال التى تصنعها ، وتؤدى الى «الشوشرة» على حواس السمك ، يمكن استغلالها فى افتراس سمكة اخرى اقتربت فى هذه اللحظة من اطرافها .

اقتحم السحابة كالسهم مقدرا انه يستطيع عبورها فى وقت مناسب بحيث يخرج منها الى جوار الفريسة مباشرة ، قبل ان تراه وتشعر به .

لكنه اخطأ التقدير ، فقد بلغت السمكة اطراف السحابة قبل أن يبزغ هو منها ، وسرعان ما اختفت بين طياتها .

اوشك ان ينطلق خلفها عندما اجتذبت انتباهه الظلال اللونية لسمكة عابرة ، فاندفع نحوها .

كانت السمكة من نوع الحريد الفاتن ، الذى تتجلى الوانه الزاهية فى ضوء النهار وقد امتزجت فيها الزرقة بالخضرة بالاضافة الى ظلال برتقالية تتدرج الى اللون الوردى .

اكتشفت الحريد على الفور ان الكشر يتجه اليها ، فغاصت الى اسفل ، وحاولت ان تتخلص منه مستغلة اللحظات الاخيرة من زحام الغروب فضلا عن معرفتها بالممرات والمتاهات والشقوق مزدوجة الفتحات .

لكن الكشر كان على معرفة جيدة ـ مثلها ـ باركان الشعاب وخباياه . كما تلاشت البقية الباقية من أشعة الشمس ، وانتشرت الظلمة فى الماء ، فخلت الممرات من العابرين .

ادركت الحريد ان الكشر لاحق بها لا محالة ، فانتابها الهلع وجعلت تتلمس فى لهفة شقا ضيقا تتوارى فيه .

فرغم امتلاء جسدها ، إلا انها تتمتع بميزة فريدة ، إذ يمكنها ان تلوى ذيلها فتتحول الى قرص مسطح قادر على النفاذ من اضيق الشقوق حيث يتعسر على الكشر ان يطولها .

لكن الشقوق كانت عامرة بساكنيها ، والخالى منها استقر اصحابه خارجها ، كانما يؤجلون بعض الوقت موعد النوم اليومى .

لم يعد امامها سوى ان تواصل الهبوط الى الاعماق المعتمة ، التى تتجنبها عادة . وغاص الكشر خلفها وقد اصبح يعتمد فى تحديد مكانها على رائحتها القوية ، بعد ان انعدمت الرؤية تماما .

وقادته الرائحة الى هيكل ضخم ، غريب الشكل ، تغطيه سحابات من الأسماك وشبكات من البوليبات المرجانية المتنوعة ، وتتخلله فتحات بيضاوية او مستديرة ، بين ضيقة وواسعة .

تقدم الكشر من احدى هذه الفتحات ونفذ منها ثم توقف مرتبكا .

فقد انقطعت رائحة الحريد فجاة ، واختفت اثارها تماما ، كما حدث من قبل مع سحل .

والواقع ان الحريد كانت اقرب اليه مما كانت سحل عند اختفائها .

فعندما مرقت من الفتحة ، توارت على الفور خلف اول كتلة مرجانية قابلتها ، بينما كان جلدها الخارجى يفرز خيوطا شفافة من سائل مخاطى ما لبث ان التف حول جسمها كالملاءة .

وحجبت الملاءة العجيبة رائحتها عن حواس الكشر .

مولد مستعمرة

لم يكن الجسم الغريب سوى بقايا سفينة ضخمة ، اصطدمت منذ سنوات بصخور الشعاب وغرقت ، فاستقر هيكلها فوق قاع رملى على عمق حوالى خمسين مترا .

وكان ذلك بمثابة الفصل الاول فى واحد من كتب الحياة المالوفة بالبحر .

فلم تمض ايام قليلة ، إلا واصبح الهيكل الغارق محورا لحياة حيوانية نشطة ، بسبب عاملين .

اولهما انه يقدم مجموعة من التجاويف والممرات والشقوق تصلح بمثابة مساكن جاهزة لافواج الأسماك .

والثانى انه يمثل اطارا يمكن ان تنمو فوقه الاشكال الحيوانية الثابتة مثل المرجان .

فلم تلبث المياه ان حملت الى الهيكل الغارق يرقة دقيقة للغاية ، على شكل كمثرى تغطيها الاهداب ، تعجز العين المجردة عن تبينها . واستقرت اليرقة على سطح نظيف لم تلوثه بعد افرازات الحيوانات أو بقايا موتاها ، فتوفر لها اهم شرط لنموها . وبعد ان كونت قرصا قاعديا التصق بسطح السفينة ، بدات على الفور تفرز كاسا جيريا من كربونات الكالسيوم التى امتصتها من المياه .

وعندما اكتمل تكوين الكاس ، كانت اليرقة

نفسها قد تحولت ـ فى قاعة ـ الى بوليب رقيق ، عبارة عن انبوب رفيع من الأنسجة الشفافة يتوجه فم تحف به ملابس كبتلات الزهور . وما لبث هذا البوليب ان نما وتفرع مكونا مستعمرة كاملة من عشرات البوليبات .

وهكذا ولدت من بوليب واحد لا يزيد قطره على ثلاثة ملليمترات ، مستعمرة يبلغ حجمها عدة اقدام . ويرتبط افرادها سويا ارتباطا وثيقا يبلغ درجة الاشتراك فى قناة هضمية واحدة .

وتتابع وصول اليرقات التى نمت مكونة مستعمرات متباينة الالوان والاشكال غطت الأسطح والممرات الصدئة للسفينة الغارقة .

فالبعض تشكل فى دوائر غير منتظمة من الوسائد او الأوراق الشوكية المسطحة . وتجمع آخرون فى كتلة هائلة يتالف سطحها الخارجى من اخاديد ملتوية تشبه تلافيف المخ البشرى .

وبرز البعض الآخر فى فروع تشبه القرون الملكية لوعل ضخم . وتفرع غيرهم برشاقة مثل باقة من الزهور المتالقة المشعة . وازدهر الاعضاء البالغو الرقة من الأسرة المرجانية مثل مراوح البحر العريضة . وسياط البحر الرفيعة . التى لا تجمعها هياكل جيرية ، وإنما تغطى نفسها بدلا من ذلك بافراز جلدى سميك .

وخلال ذلك انضمت جيوش من الاسفنج والطحالب الخضراء الى حطام السفينة ، فتدلت من هيكلها المتعرج المتاكل مثل الحشائش فى غابة استوائية .

وسرعان ما انتشرت فى ارجائها الحلازين والمحارات والبزاقات ، والمحاقن البحرية التى تشبه القرب المنتفخة . واستقرت جماعات الأسماك فى الأركان المختلفة .

ارهف الكشر حواسه وهو يعوم فى بطء وحذر فى انحاء الهيكل الغامض ، وغضبه يتصاعد شيئا فشيئا .

فقد شعر ان الحريد افلتت منه ، وان لا امل فى اصطيادها .

بل لا امل فى اصطياد شىء بالمرة ، فى هذا المكان الحافل بالسكان .

فقد كانت الأسماك تتنبه لوجوده من قبل ان يحس بها ، فتتوارى على الفور فى فجوات وأركان لا يستطيع بلوغها او تتجمع فى كتل متراصة لصق احد الجدران ، مستمدة من تجمعها الحماية الكافية .

مرت من امامه جماعة محدودة العدد من اسماك صغيرة الحجم للغاية ، ولفت انتباهه انها لم تكن تتحرك فى تشكيل منتظم متلاحم كعادة الأفواج ، وإنما صنعت كتلة شبه كروية كان كل فرد داخلها يعوم بزاوية مختلفة عن الآخر .

شجعه هذا الوضع على ان يغامر باختطاف أقرب الأفراد اليه ، فاندفع نحوه فى هجمة صاعقة .

شعرت الجماعة بحركته ، وبدلا من ان يلوذ افرادها بالفرار ازدادوا قربا من بعضهم البعض حتى تحولوا الى كتلة متماسكة ، ثم استداروا جميعا فى لحظة واحدة لمواجهته .

وفى اللحظة التالية انفجرت فى وجهه كشافات من الضوء المبهر .

كان الكشر يواجه احدى اسماك البحر الاحمر المثيرة التى تعيش فى اعماقه وتسمى بالفوتوبلافيرون .

وتحمل هذه السمكة الصغيرة ، التى يمكن ان تضمها قبضة انسان بالغ بسهولة تامة ، عدة مليارات من بكتريا بالغة الدقة ، داخل جيب خاص اسفل كل عين من عينيها .

وتعيش هذه البكتريا على امتصاص دماء السمكة ، فتستمد منه حاجتها من السكريات والأوكسجين . لكنها تتفاعل مع هذه المواد بصورة فريدة تؤدى الى توليد الضوء .

وتتضاعف قوة هذا الضوء بفضل طبقة من البلورات الفضية داخل كل جيب ، تقوم بتركيزه . كما يحمل الجيب على جداره الخلفى طبقة اخرى من مادة لونية معتمة تحول دون تسرب الضوء خلف الجيب ، كى لا يحرم السمكة من القدرة على الرؤية .

ورغم ان هذا الضوء يتوهج بصورة مستمرة طالما ينبض قلب السمكة ، فانه يظهر ويختفى حسبما تشاء بفضل طية جلدية اسفل كل جيب ، يمكن ان ترتفع لتغطى المنطقة المضيئة كلها ، مثلما يفعل جفن العين البشرية عندما ينزل ـ على العكس ـ فوقها .

جمد الكشر فى مكانه وقد اعماه الضوء المفاجىء غير المالوف ، وشل قدرته على التفكير . وفجأة اختفى الضوء كما ظهر .

فقد رفعت الاسماك الصغيرة جفونها ، واخفت كشافاتها .

اندفع الكشر غاضبا الى المكان الذى صدر منه الضوء ، فلم يجد اثرا للاسماك الصغيرة .

جمد فى مكانه حائرا ثم استدار فى بطء ، واذا بالضوء يسطع امامه مباشرة ، كاشفا عن جدار بينهما تتوسطه فوهة دائرية فاغرة ، كانت فى الماضى نافذة لاحدى ممرات السفينة الغارقة .

اتجه نحو الفوهة كالقذيفة العمياء ، ولم يكد يبلغها حتى تلاشى الضوء مرة واحدة ، فاصطدم بحافتها الحديدية .

اثارت الصدمة آلام جانبه التى تمخضت عن



معركته مع جاره ، فتضاعف غضبه ، وتمكن فى صعوبة من النفاذ بجسمه الممتلىء خلال الفوهة .

اصبح داخل القمرة الحالكة الظلمة ، وفى هذه اللحظة عاد الضوء من جديد ، صادرا هذه المرة من قاع القمرة .

وعلى مدى الدقائق التالية ، ظهر الضوء ثم اختفى فى اماكن مختلفة متباعدة ، مجتذبا الكشر الهائج كل مرة الى محاولة فاشلة للامساك به او مهاجمته ، وقد وقع فى فخ المناورات التى تلجا اليها الأسماك المضيئة الماكرة عندما يتهددها الخطر .

وفى احدى المرات فوجىء الكشر بالضوء قريبا منه للغاية ، فانتابه الذعر ، وتراجع الى الوراء فى حركة عنيفة ، فارتطم ذيله بحائط معدنى صلب .

وفضلا عن الألم الذى احدثته هذه الصدمة ، فانها كانت كافية لان تفتح بابا أوهنت الرطوبة والمياه من مفاصله على مدى السنوات المنصرمة ، ولم يكن ينتظر سوى دفعة صغيرة ليكشف عن محتوياته .

واستدار الكشر فى حنق ليتبين سر الحركة المفاجئة التى شعر بها خلفه ، فاذا به يرى كشرا آخرا امامه .

والذى حدث ان الباب المفتوح كان يحمل مرآة مثبتة على مصراعه الداخلى ، فسقطت اضواء الكشافات السميكة عليها ، وتبدت للكشر صورته .

لكن المخ الصغير للكشر لم يدرك غير شىء واحد ، هو ان جاره الذى اعتدى عليه بالأمس واحدث به اصابات مازالت تؤلمه ، قد لحق به ووجه اليه اللطمة التى اصابت ذيله ، وانه يبغى الاستيلاء على صيده الخاص .

وفقد الكشر صوابه .

ودون تفكير ، القى بنفسه على عدوه .

وبالطبع ارتطم بسطح المراة ارتطامة قوية آلمته فعاود مهاجمتها بعنف .

لكن عدوه بقى امامه لا يريم .

هاجم المراة للمرة الثالثة . وفى هذه المرة تحطمت وتناثرت قطعها فى الماء .

وفوجىء الكشر باختفاء عدوه كما سبق ان اختفت فرائسه واحدة بعد الاخرى بطريقة غامضة .

جن جنونه فانقض على قطع الزجاج المتناثرة وابتلعها فى عصبية . بينما كانت الاسماك الصغيرة الداهية تتسلل خارج القمرة فى سكون .

وكتب الجهاز الهضمى للكشر النتيجة المحتومة لثورته العمياء ، والنهاية المأساوية لاحداث اليوم كله .

فهو ـ رغم قوته ـ لا يستطيع هضم الزجاج .

ولم تكد الشمس تشرق فى الصباح ، حتى سقطت اشعتها ـ اول ما سقطت ـ على جثة الكشر المنكود وقد طفت فوق سطح البحر !

صنع الله ابراهيم

الفنان القطري يوسف أحمد:

بين الحرف العربي وقضايا التراث

جمال قطب

ثلاث لقطات .. الأولى للفنان القطرى يوسف احمد .. ثم لوحتان للفنان يمثلان تشكيلات الخط العربى فى أعماله





المتتبع لمسيرة الفن القطرى ـ وهى من احدث مظاهر الحضارة المعاصرة ـ يجد أن حركة الفنون التشكيلية لم تكمل بعد العقد الأول من عمرهـــــا ، فعشر سنوات أو نحو ذلك ، من الاهتمام بالفن ، ليست بالمدة الكفيلة ببلوغ التألق والازدهار ، ولكنها سنوات مثمرة خيرة ، أصيلة فى عطائها ، نبيلة فى فحواها ومرماها ، وكان لابد لهذه الحركة من أن تنمو فى أحضان النهضة الثقافية الشاملة ، تلك التى تفتحت عليها عقول القادة والمسئولين بالبلاد . فنجد أن الفنان القطرى لم ينسلخ أبدا عن تراثه وعاداته البيئية الراسخة فى وجدانه ، ورأينا الرعيل الأول ، وقد التصق التصاقا عضويا بأرضه وتقاليده ، ولم يشتط فى معالجته (التكنيكية) التى جرفت معظم الفنانين فى العالم الثالث . ولكنه التزم من حيث الموضوع والشكل معا بما يتفق ومفاهيم المواطنين الذين يسعون حثيثا إلى تعويض مافاتهم من استكمال البناء الفكرى والتذوق الجمالى وهذا ، إن دل على شىء ، فانما يدل على دعامتين هامتين فى العمل الابداعى : تقدير المسئولية وصدق الأداء :

المضمون من البيئة

وكان فناننا يوسف احمد ـ رغم



الرجل داخل مصيدة .. لقطة من فيلم « مدينة النساء »



صوفيا لورين .. نجمة ايطاليا التى تركت وطنها هربا من الضرائب

مأساة مخرج يرفض الانحناء

هل تتنازل السينما الايطالية عن ابنها العبقري "فلليني" ؟

رءوف توفيق

عبقرى السينما الايطاليـــة ، المخرج « فللينى » ، يفكر جديا فى الهجرة من ايطاليا الى امريكا .. لأنه لم يعد يحتمل البقاء عاطلا فى بلده ، بعد أن تعذر عليه العثور على التمويل اللازم لتنفيذ مشروعاته السينمائية !

هذا هو الخبر الـــذى اهتزت له كل الأوساط السينمائية خلال الأسابيع الماضية .. والخبر مصدره فنـــان « المونتاج » الذى رافق « فللينى » فى رحلته السينمائية طوال السنوات الماضية ، وأصبح أحد المقربين جدا منه .. وقد أعلن الخبر ضمن حوار صحفى أجرته معه احدى الجرائد الفرنسية الموثوق بها !

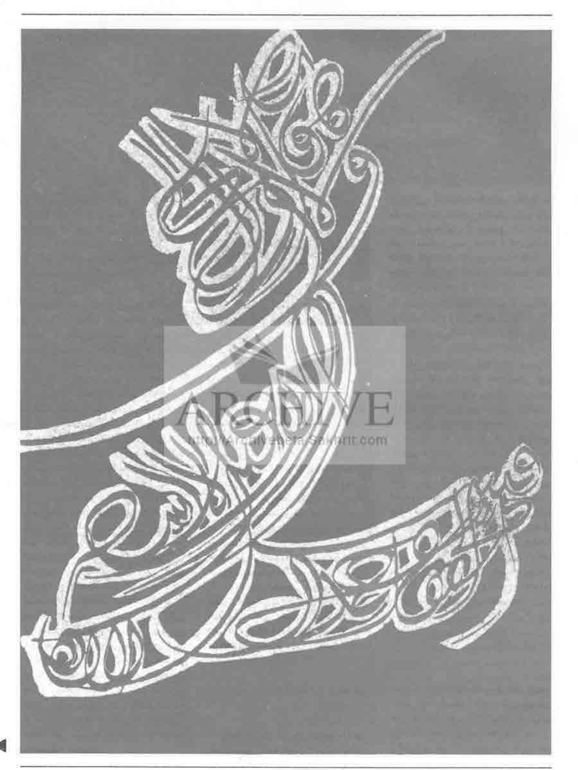
وتناقلت وكالات الانباء هذا الخبر فى دهشة وحزن ..

فهجرة « فللينى » من ايطاليا .. هى بالتأكيد أشبه بهجرة عاشق متيم لمحبوبته التى طالما تغنى بها وارتبط اسمه باسمها .. وهو الذى قال ذات يوم « روما هى بيتى » !

فكيف يترك الانسان بيته .. الا اذا فاض به الكيل ولم يعد يحتمل ما يجرى به .. ولم يعد قادرا على أن يكون موجودا هذا الوجود الذى يشبه العدم !!

وكيف هان على ايطاليا أن تفرط فى أحد ابنائها العباقرة ، والذى شارك فى صنع مجدها السينمائى ؟ !

هل يبدو السؤال رومانسيا ؟!



بعض النساء فى فيلم مدينة النساء الذى يدور حول عالم المرأة وتأثيره فى المجتمع











المخرج « فلليني» فى لقطة ساخرة



فكيف هان على السويد من قبل ان تطارد ابنها العبقرى المخرج « انجمار برجمان » بتهمة التهرب من الضرائب .. حتى قرر « برجمان » الرحيل الى امريكا ، وهو الفنان الذى عاش حياته من اجل السويد ، والسينما والمسرح السويدى .! ولم تشعر الحكومة السويدية بخطئها الا منذ شهور قليلة عندما قدمت له اعتذارا رسميا وطلبت منه العودة الى بلده . !!

وكيف هان على اليابان من قبل .. ان تقسو على مخرجها العبقرى « اكيرا كيراساوا » والذى وضع اسم اليابان على خريطة السينما العالمية .. هذا الفنان الذى قرر الانتحار بتمزيق شرايين يديه ، حزنا على ما وصل إليه حال الفن فى بلده .. ولكن لتدابير القدر ، يرفض جسده الموت ، ويتم إنقاذه .. ويتقدم إليه الاتحاد السوفيتى ليمول فيلمه التالى « درسو أوزالا » ويحقق من خلاله معجزة فنية .. وتستمر اليابان تدير له ظهرها .. فيتقدم له اثنـان من تلاميذه فى السينما الامريكية ليمولا فيلمه الجديد « ظل المحارب » والذى حقق به انتصارا جديدا ومذهلا !!

يقول المخرج « كيرا ساوا » فى مرارة بالغة :

« الذين يتخذون القرارات فى شركات الانتاج السينمائى اليابانية ، ليسـوا مسئولين فنيين ، وانما هم المسئولون التجاريون أى أكثر الناس غباء فى

بين الحرف العربي وقضايا التراث

حداثة سنة وثقافته الفنية ـ يمثل حجر الزاوية فى كل النشاطات فى السنوات الأخيرة ، فقد جعل من الأساليب المعاصرة المستحدثة ، مجرد تطوير فى المعالجة ، أما المضمون فكان ومازال دائما مستمدا من البيئة والتراث .

بدأ ممارسته الطليقة منذ بضع سنوات بأسلوب تعبيرى بين التأثيرية والرمزية .. وكان فى مجمله تعبيراً متحرراً ذا أصول واقعية . واستهوته أبحاث (البعد الواحد) أو ما يعرف عالميا (بالكاليجرافى) ، فغاص فى أعماق (الحرف العربى) ، وجعل من الحروف والكلمات تشكيلات بصرية معالجة بتجريدات لونية مختلفة ، وسرعان ما اتخذت لوحاته طابعاً خاصا به ، واكتسب شخصية مميزة . ووصل فى هذه الاجتهادات إلى درجة مبشرة ، وأصبح علما فى جميع المعارض القطرية المحلية والدولية . وقبل سفره إلى امريكا كان دائب الحركة لا ينقطع عن البحث والممارسة ، وكان يراعى مقتضى الحال ، ويميز بين ما يعرضه فى (معارض الهواء الطلق) بالدوحة والأقاليم القطرية ، وبين ما يمثل الفن القطرى فى المعارض الدولية .. وكثيراً ما تنازل طواعية عن أعماله التى استأثرت بجل اهتمامه فى أبحاث البعد الواحد ، وصاغ لوحاته بأسلوب أقرب إلى الواقعية ، لكى يخاطب أكبر عدد من الجماهير القطرية .. ولكنه فى كل الأحيان يؤدى موضوعاته بمسطحات لونية تصل بلوحاته فى شكلها العام إلى وحدة بصرية هى أقرب إلى التجريد اللونى ، ولم تستول عليه دقائق اللوحة أو تستأثر باهتمامه ، ومن هذا المنطق ، حافظ على شمولية التكوين ، واكتسب شخصيته المميزة !

الدراسة الفنية

ومنذ عامين ، ذهب يوسف أحمد إلى أمريكا لدراسات فنية تكميلية فى التصوير الزيتى .. ووجد الفرصة مهيأة بغير حدود للبحث عن قيم جديدة تتسم بحرية التعبير تحت لواء التجريدية الحديثة وتشجع الفكر الذاتى للفنان . ومن المعروف أن أبحاث (التكنيك) التى تعنى بالشكل والبناء الهندسى ، أصبحت هى السائدة حاليا فى مجالات الابداع الغربى بشكل عام . ولاشك أن هذا الاتجاه قريب كل القرب لروح الفنان واهتماماته بأبحاث البعد الواحد وتشكيلات الحرف العربى ، وهو ما يدخل فى نطاق التجريدية بمعناها الشمولى .

وساقت له الأقدار أحد أساتذته الصينيين وهو (دكتور وو) خبير الفنون الشرقية ، والذى يقوم بتدريس فن الخط الصينى ، ولم يكد يوسف أحمد أن بهرته تشكيلات الحروف الصينية ـ وهو الذى يهيم حبا بالحروف العربية ـ فاتخذ من هذه المقارنة الفنية الرائعة مادة لبحثه الذى يعكف عليه حاليا .. ويقول الفنان :

« إن الخط الصينى ـ وهو من أعرق الفنون الشرقية ـ يبلغ فى عراقته مبلغ الهيروغليفية ، المصرية ويعتمد مثلها على التكوينات التجريدية ، مكونا جملا هى فى الحقيقة لوحات متكاملة » !

الابداع والوعى

والحياة فى أمريكا بالنسبة لفنان عربى شاب ، تبدو مثيرة ومبهرة للغاية : المعارض والمتاحف تملأ المدن والقرى .. والعمل فيها بالليل والنهار .. وسيل الزوار والباحثين لا ينقطع .. وحركة الفن التشكيلى تمثل الظاهرة الحضارية الأولى فى الفكر الغربى بصفة عامة .. ويلقى الفنان من التقدير والتبجيل مالا يحظى به غيره ..

ولنتصور أن مدينة مثل (سان فرانسيسكو) والتى تبعد نحو عشرين كيلومتر من مدينة (أوكلاند) التى يدرس فنانا يوسف أحمد بإحدى كلياتها وهى (ميلز كوليج) ، بها وحدها مئات المتاحف النوعية ، كما تعج بنحو ألف قاعة للفنون الجميلة ، وآلاف أخرى من قاعات المزادات وبيع التحف الفنية ! ناهيك عن المجلات الفنية التى تعد بالعشرات ، ولا تبحث فى شىء آخر غير الفنون الجميلة ! ولا تسل كيف يقضى الفنانون وقتهم فى أى لحظة من لحظات النهار أو الليل .. فالفنان مطلوب ومرغوب ، تتهافت الناس على انتاجه ، وتغمره المحافل والمنتديات الفنية بالدعوات لاستضافته وإفساح المجال لأعماله وعرض آرائه وأفكاره ! وهكذا وجه الحضارة المشرق .. إنه الفن ، لقد أصبح اللمسة الواعية على كل مرافق الحياة المعاصرة ! وأصبح الابداع مرادفا للوعى فى أرقى مظاهره !

آفاق جديدة

من هذه الأجواء المعبقة بعطر الفكر تتفتح الآفاق رحبة فسيحة للفنان لكى يزيد من خبراته ، ولأن يوسف كان وما يزال مهتما بأبحاث البعد الواحد ، فقد وجد من فن (الليثوجراف) ـ وهو أحد فروع فن



« ماستروياني » ورحلة مثيرة إلى المدينة

العالم .. انهم لا يفهمون شيئا فى سيناريوهات الأفلام ، ويحكمون عليها بانها لن تعجب الجمهور .. واعجاب الجمهور هو قضيتهم الكبرى .. ومع ذلك فانهم لا يعرفون شيئا عن الجمهور » !!

الوطن والعباقرة

والآن .. كيف هان على ايطاليا .. الا ترعى فى حدقة العين فنانها العبقرى « فلليني » .. حتى تازمت به الامور ليفكر فى الرحيل الى امريكا . ؟!

هل مازال السؤال رومانسية ؟!

أم انه يفجر قضية الوطن الغربى الذى يقسو على ابنائه العباقرة .. وقضية الفن وابنائه المخلصين ، الذين يرفضون التنازلات ويتوقون الى الحرية والحنان والرعاية حتى يبدعوا اكثر واكثر . ؟!

أزمة السينما الايطالية

ولكن .. مما لاشك فيه ان ازمة المخرج فلليني .. هى جزء من الأزمة الطاحنة التى تعيشها السينما الايطالية الآن ، حتى ان اخلص العشاق للفن يضعون ايديهم على قلوبهم خوفا من ان تتمزق هذه السينما المبدعة .. وتتحول الى اشلاء متناثرة نتيجة ضغوط اقتصادية وسياسية تعيشها ايطاليا ككل .!

فالسينما جزء من المجتمع .. وتخضع بطبيعة الحال للجو العام .

والجو العام فى ايطاليا .. يشهد تناقضات اجتماعية حادة ، وصراعات سياسية اكثر حدة .. تتمثل فى الشارع الايطالى من خلال حوادث العنف والارهاب والاختطاف ، والاضرابات ، وايقاع الحياة المشحون دائما بالتوتر والخوف ..

ومع سرعة تلاحق الاحداث وتفاقمها .. وعدم وضوح الرؤية .. عجز كثير من المؤلفين والفنانين عن التعبير السليم عن هذا الوضع .. ولهذا خرجت الكثير من الافلام بعيدة عن الواقع .. وحدثت الهوة بين السينمائيين والفنانين من جانب .. والجمهور من جانب اخر ..

انخفاض عدد المشاهدين

وكانت النتيجة انخفاض عدد المشاهدين للسينما .. الى اقل من النصف !!

وهذا الانخفاض ظاهرة عالميـــة .. وايطاليا بالرغم من هذه النسبة الضخمة ، فهى اقل الدول تاثرا بالمقارنة بما حدث فى انجلترا وفرنسا والمانيا .

ولكن لأن الذهاب الى السينما ، احدى المتع الرئيسية للمواطن الايطالى .. لذلك كان الانخفاض مزعجا للغاية !

وقد حاول الخبراء تحليل هذه الظاهرة ، فوجدوا ان النسبة الكبرى فى الانخفاض ، حدثت فى الستينات مع انتشار التليفزيون وجاذبيته .

اما الانخفاض الثانى .. فقد جاء اخيرا نتيجة ارتفاع ثمن تذكرة الدخول للسينما بنسبة الضعف فى بضعة شهور قليلة .. مما أدى الى حرمان طبقة اجتماعية معينة من مشاهدة السينما .. وهدد السينمائيون بالتوقف عن العمل .. ولكن الحكومة الايطالية رفضت العودة عن قرارها . !

واكتشف الخبراء ما هو أدهى وأمر .. ان عدد الايطاليين الذين يذهبون للافلام الايطالية لا يتجاوزون ٢٨٪ من اجمالى المشاهدين .. بينما الأفلام الامريكية تجذب ٥٠٪ من المشاهدين !!

اى ان الجمهور لا يمول السينما الايطالية .. بل تذهب نقوده إلى السينما الأمريكية !!

وهكذا تلقت السينما الايطاليـــة ، الضربات من كل جانب .. والقى الواقع المرتبك ظلالا قاتمة على السينمائيين .. فالبعض منهم طاردته الضرائب حتى هاجر من ايطاليا .. ومنهم المنتج « دينو دى لورنتس » والمنتج « البرتو جيرالدى » والمنتج « كارلو بونتى » وزوجته نجمة ايطاليا « صوفيا لورين » .

وقصة صوفيا أصبحت مادة محزنة للصحف .. بعد ان اصبحت تعيش خارج بلدها .. مهاجرة من مدينة الى اخرى . ولا تستطيع العودة هى أو زوجها لأنهما محكوم عليهما بالسجن لمدة ثمان سنوات .. وقد قامت الحكومة الايطالية بالاستيلاء على القصر الذى كانا يعيشان فيه بروما .. واستعانت قوات الحكومة بسيارة نقل حملت كل التحف واللوحات الزيتية القيمة بالقصر ونقلتها الى متحف ميلانو .

اما الذين لم يهاجروا .. فقد تعرض بعضهم لعمليات اختطاف وطلب فدية ضخمة .. مثلما حدث لاحـــد المنتجين الايطاليين الذى اختطف ، ولم يطلق سراحه الا بعد دفع فدية توازى ٦ مليون دولار .. ومنتج اخر دفع فدية ٣٠٠ الف دولار !!

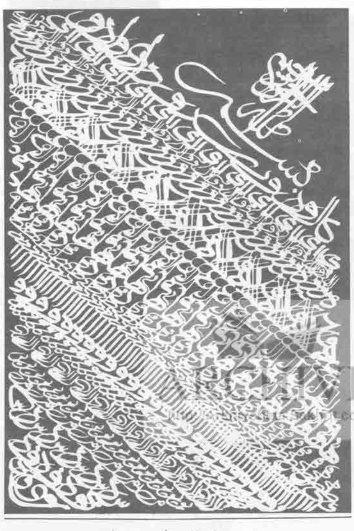
وتراكمت المشاكل على الســـينما والفنانين .

فلليني والأزمة

والمخرج « فريدريكو فلليني » ـ يبلغ هذا الشهر عامه الثانى والستين ـ واحد من انبغ وألمع المخرجين الايطاليين .. ويعد من أهم مخرجى السينما العالمية على الاطلاق .. فهو صاحب الرؤية

الى اليمين ـ لوحة «دح المرية» وهو الثوب الشعبي القطرى القديم

والى اليسار ـ لوحة توضح جمال وابداع الخط العربى داخل التشكيل الفنى .



الحفر ـ بغيته ، حيث يستطيع استنساخ العديد من اللوحات المطبوعة بالوان مختلفة من اصل لوحة واحدة !

ونجحت تجاربه فى الليثوجراف ، واستمر فى الممارسة العملية على يد أساتذته من امثال : أورنالد بومباديرو ، رولف دوكاس ، روبرت ديمار ودكتور وو فنان الخطوط الصينية ومع كل هؤلاء سيظل الحرف العربى هواه الدائم فى دراساته وابحاثه التقنية المتقدمة .

وبنفس الحركة والنشاط المستعر فى نفس الفنان ، لم يكف عن إقامة المعارض .. ويتردد اسم قطر فى الدوائر الفنية الامريكية : ففى مارس ١٩٨١ اقام معرضا خاصا لاعمـــاله فى مدينـــة (بافالو) وهى إحدى مدن ولاية نيويورك على الحدود الكندية والتى تعرف بشلالات نياجرا الشهيرة ، وقد لاقت المعروضات استحسانا لما حوته من عناصر التراث والحرف العربى وتشكيلاته الجميلة . ومعرض اخر ، يعد له الفنان منذ الآن ، حيث تقوم السفارة القطرية على اقامته فى إحدى قاعات سان فرانسيسكو ، ثم ينتقل إلى واشنطن فى شهر يونيه من العام الحالى . ومعرض ثالث دعا إليه المركز العربى الثقافى (التابع للجامعة العربيـــة) ليقام ببعض المدن الأمريكية ، ثم ينتقل إلى الدوحة ليكون اول معارض الفنان عند عودته فى الصيف القادم .

لقد كانت هذه ومضة من الاشعاع الفنى الذى يشرق على الأرض القطرية .. وسرعان ما يعم الآفاق بنور الفكر والمعرفة فى المستقبل الزاهر إن شاء الله .

جمال قطب

يوسف أحمد فى ســـطور

● تخرج عام ١٩٧٦ فى كلية التربية الفنية بالقاهرة .

● عمل موجها للتربية الفنية عقب عودته ، ثم انتقل إلى إدارة الثقافة والفنون رئيسا لقسم الفنون التشكيلية بها .

● اشترك فى جميع المعارض المحلية والخليجية والدولية التى تمثــل الفن القطرى فى هذه المحافل .

● استحدث فكرة (معارض الهواء الطلق) مع زميليه حسن الملا ومحمد على وطافت هذه المعارض معظم المدن القطرية .

● فاز بعدة جوائز وشهادات تقدير ، كان اخرها من معرض روما فى اكتوبر ١٩٨١ .

● اوفد فى بعثة فنية لمدة ثلاث سنوات للحصول على ماجستير فى الفنون الجميلة (من يونيه ١٩٧٩ الى يونيه ١٩٨٢) من كلية ميلز باوكلاند ، وهى إحدى مدن ولاية كاليفورنيـــا بالولايات المتحدة الأمريكية .



كمال الشناوي في دور العم ، وقد ارتضى نجاحاته المتواضعة بعد رحلة طويلة من التجارب

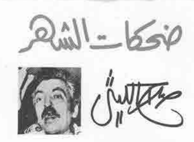
الخروج من الظل

بين السينما التسجيلية والسينما الروائية

وتساؤلات يثيرها فيلم مصري جديد

بقلم : رءوف توفيق

فنانو السينما التسجيلية فى وطننا العربى .. يعيشون غالبا فى الظل .. اسماؤهم غير متداولة ، وغير مشهورة .. وافلامهم لا تعرض الا نادرا وفى المناسبات .. ربما من خلال مهرجان سينمائى لا يتابعه غير النقاد والمهتمين أصلا بالسينما .. وربما من خلال هوجة حماس لعرض بعض هذه الأفلام فى القرى والمدن الصغيرة ، كنوع من التوعية ، وشحذ الهمم .. وغالبا ما يستقبلها الجمهور فى تلك الأماكن ، بنوع من عدم الارتياح .. لانهم عندما يجلسون امام شاشة السينما .. فهم يتوقعون ان يروا النجوم الذين يسمعون عنهم .. ويروا حدوته فيها الشجيع والمغامر الذى يدخل فى معارك ومازق لانقاذ حبيبته !!









ــ .. موش مهم أنا مين .. انا واحد من اهل الارض ..!!





(الكرسى الكهربائى)

العامل (احمد بدير) في محلج القطن قبل ان يدوخ بالحقيقة



المخرج بشارة



المصور محمود عبد السميع

والسينما التسجيلية ليس فيها نجوم .. وليس فيها حدوتة .. وليس فيها مطاردات عسكر وحرامية .. او مغامرات عشاق .. او خيال مؤلفين يعرفون كيف يقدمون الوهم .. ويبيعون الاحلام .. ويمسكون بانفاس المتفرجين !

فهى سينما تعتمد على الواقع .. ومادتها لا تخضع لأى خيال .. وانما من قدرة فنان على الملاحظة .. والاختيار من الواقع ، لاعادة صياغته داخل اطار فكرة تعرض فى دقائق قليلة .

والسينما التسجيلية .. لها تاريخ طويل ، ومدارس متعددة ، ومعروفة فى العالم اجمع ... كاخطر الفنون المرئية .. لقدرتها على التعبير المركز ، والتاثير السريع .

وفى الدول المتقدمة يعاملون السينما التسجيلية باحترام شديد .. ويضعونها فى اهمية السينما الروائية .. وربما قبلها !

اما عندنا .. فالوضع مختلف .

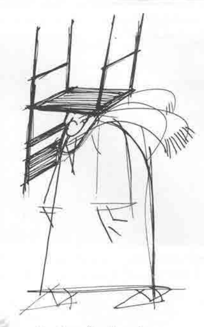
انها سينما من الدرجة الثانية .. لاتحصل الا على الرعاية الاقل .. وفتات الاهتمام !

سينما تكاد تكون سرية .. يصنعها فنانون مجهولون ، قد يقضون طوال حياتهم فى صراع من اجل تقديم افلامهم .. على امل ان يراها احد .. ويعيشون على هذا الحلم حتى يموتوا ! .. وربما لا يعرف احد بخبر وفاتهم الا من خلال سطور النعى فى صفحة الوفيات بالجريدة اليومية .

● مصرع مخرج تسجيلي

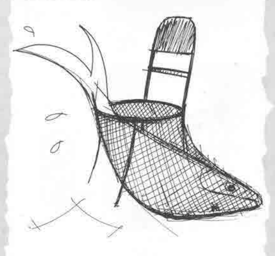
وفى الأيام الاولى من هذا العام .. فجعت السينما التسجيلية فى مصر .. بمصرع المخرج الشاب « سامى المعداوى » ــ ٤١ عاما ــ الذى لقى حتفه فى حادث سيارة وهو عائد من دمياط بعد تصوير لقطات من فيلم تسجيلى عن حياة الدكتور يوسف ادريس .. كانت معه فى السيارة الصغيرة ، اسرته المكونة من الزوجة وطفليه .. وقع الحادث فى ثوان .. مات على الفور سامى المعداوى .. اصيبت زوجته بعدة اصابات ، وانتابها حالة غياب عن الوعى .. اما طفلاه فقد اصيب احدهما بارتجاج فى المخ .. واصيب الاخر بعدة كسور !

وهكذا انتهى احد فرسان السينما التسجيلية .. فى صمت ماساوى ..

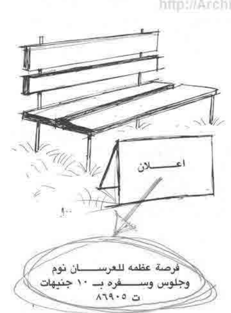


ـ .. باريح راسى شـــويه .. !!





.. !!



الخروج من الظل

وقد هزني الحادث تماما .. فانا اعرف سامي المعداوي من خلال افلامه القليلة ، ومن خلال لقاءاتي به في مهرجان ومسابقات الأفلام التسجيلية .. حتى رأيت له فيلما تعليميا قصيرا بعنوان « فول الصويا » يشرح فيه للمزارعين كيف يتعاملون مع هذا المحصول الجديد .. ورغم جفاف الموضوع ومباشرته .. الا انني احسست بمدى إيمانه بالرسالة التي يؤديها .. صريح .. ومحدد .. وواضح .. يعرف كيف يبسط المعلومات ، ويركزها في أقل وقت .. داخل صورة معبرة وصافية . وتحمست كثيرا لهذا الفيلم – وكنت وقتها عضوا في لجنة التحكيم – ودافعت عنه طويلا باعتباره نموذجا سينمائيا متميزا .. ولم يحصل الفيلم الا على شهادة تقدير .. لأن نتيجة التصويت كانت من نصيب افلام اخرى نافسته بشدة .. وتقبل سامي الفوز الاقل بروح عالية .. وبسعادة من حقق نصرا ولو محدودا .. وزاد احترامي له .. حتى كانت النهاية المؤسفة التي اختطفته ، وهو يسعى لتحقيق حلم اخر صغير !

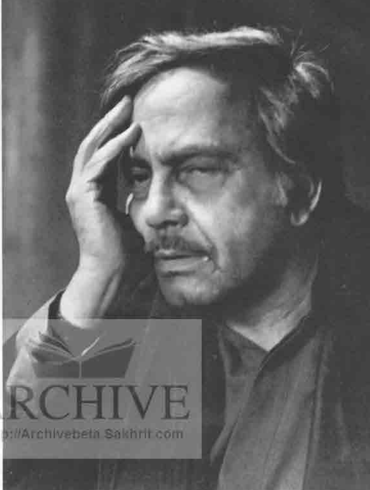
● الفيلم المفاجأة

وقد شغلتني طويلا .. الأحلام الصغيرة لفناني الافلام التسجيلية .. والقضايا الكبيرة التي يسعون لطرحها في افلامهم القصيرة .. الى ان شاهدت فيلم « العوامة رقم ٧٠ » الذي ابدعه اثنان من فرسان السينما التسجيلية في مصر .. المخرج خيري بشارة .. والمصور محمـــــود عبد السميع .. ليقدما من خلاله ازمة مخرج في الافلام التسجيلية .

والفيلم مفاجأة حقيقية على كافـــة المستويات .. فهو يتخطى الاشكال التقليدية للسينما المصرية .. ليقف على نفس مستوى السينما العالمية الجديدة ، في اللغة البصرية .. وفي تدفق المشاعر والتساؤلات .

● قصة الفيلم

يحكي الفيلم قصة هذا الشاب (احمد زكي) الذي يعمل مخرجا تسجيليا .. والذي اختار ان يكون فيلمه الجديد عن « القطن



كمال الشناوي يتذكر حكاياته



تيسير فهمي .. واحمد زكي . ومحاولة للفهم

احمد زكي وماجدة الخطيب .. ومحاولة لاعادة الماضي

العامل (احمد بدير) والصحفية (تيسير فهمي)

الخروج من الظل

المصرى الآن » .. وينتقل مع مجموعة الفنيين الى احد المحالج الصغيرة المنتشرة على خريطة مصر .. لتصوير جزء من رحلة القطن .. وهناك داخل المحلج ، يتعرف على الماكينات القديمة التى يعود تاريخ صنعها الى اوائل القرن الحالى ، والتى مازالت تعمل حتى الآن .. ويتعرف على عمال المحلج .. ومنهم نسبة كبيرة من الأطفال الصغار الذين يقضون بجوار الماكينات يلقمونها بالات القطن .. وكثيرا ما تلتهم الماكينات اذرعهم الصغيرة فى غفلة منهم .. ولهذا اطلق العمال على هذه الماكينات اســـم « العفريتة » !

ويكتشف المخرج التسجيلى اثناء تصويره لهذا الفيلم .. ان احد العمال يسعى متلهفـــا لأن ينفـــرد به ليحكى له عن الجرائم التى تدور فى المحلج .. ويحدد له موعدا فى العوامة التى يسكنها على النيل

ويأتى العامل (يلعب الدور احمد بدير) خائفا مترددا .. حتى يشعر بالأمان .. ويحكى للمخرج وخطيبته الصحفية (تلعب الدور تيسير فهمى) كيف تتم طرق تبديد القطن ، وتهريبه .. تحت ستار افتعال حرائق باكثر من طريقة !

وتتحمس الخطيبة الصحفية للموضوع .. اما المخرج الشاب فهو يتلقى معلومات العامل بنوع من الشك .. واحيانا بنوع من اللامبالاة .. وان كان يؤمن تماما بان احتمال التخريب موجود .. سواء فى هذا المحلج .. او فى غيره من مواقع الانتاج .. وان النشر فى الصحف ، لن يتم الا اذا كان هناك دليل مادى يؤمن كلامها .. وهى هنا لا تملك دليلا ماديا ! .

ولكن الخطيبة تحسم الموقف بضرورة الالتجاء الى الشرطة لابلاغها باقوال العامل .. ويوافق العامل .. ويخرج من العوامة على موعد فى اليوم التالى بمركز الشرطة .. واثناء خروجه من العوامة .. يتلقفه اثنان من عمال المحلج ، واللذان كانا يراقبانه .. وينقضان عليه فى صمت حتى يفتكا به .. ويلقيان جثته فى النيل .. وتنحشر الجثة تحت العوامة بضعة ايام !

ويتسبب اختفاء العامل فى قلق الصحفية .. لماذا لم يحضر فى الميعاد .. ولماذا اختفى ايضا عن المحلج .. بينما المخرج الشاب اعتبر ان الموضوع قد انتهى بالنسبة له .. فقد توقع منذ البداية ، بان كلام هذا العامل .. ما هو الا مجـــرد « هلوسة » !

حتى تحدث المفاجأة المرعبة .. تطفو جثة العامل القتيل مرة اخرى امام العوامة .. لتفتح طريقا من التحقيقات ، التى تنتهى الى لا شىء .. ويدرك المخرج انه تسبب بلا مبالاته فيما جرى .. ويعذبه دائما منظر جثة العامل القتيل .. يقول لخطيبته فى لحظة ندم : « مهما حاولت اشغل نفسى بأى حاجة .. باشوف الجثة فى كل وقت .. مرة شفتها فى كابوس .. ودلوقت باشوفها وانا صاحى » !

ويسرع المخرج الى غرفة المونتاج ، لينهى العمل فى الفيلم التسجيلى الذى صوره فى المحلج .. انه هنا يحاول ان يقول رأيه فيما يحدث .. فيقترح ان تكون اول لقطة من الفيلم هى لقطة العامل الذى قتل ، والذى صوروه فى المحلج .. لينزل عليها صوت المعلق قائلا « هذا العامل قد قتل اثناء تصوير الفيلم .. لأنه حاول ان يكشف جريمة من اخطر الجرائم التى تهدد الاقتصاد القومى المصرى » ! .

ويتوقف المونتير فى دهشة .. لينظر للمخرج متسائلا .. بأن هذا يعتبر خروجا عن الموضوع الاصلى للفيلم » .

فينتفض المخرج مشدودا .. متحمسا .. وكأنما اراد ان يسترد بعضا من جرأته .. ليقول بصوت محدد .. انه يتحمل مسئولية الفيلم كاملا .

ولكن .. هل هذا يكفى ؟ انه يشعر بأن عليه ان يفعل شيئا ملموسا اكثر .. فيسعى الى عمه (يلعب الدور كمال الشناوى) الذى كثيرا ما يجلس إليه يستمع الى تجاربه الطويلة فى الحياة .. فى تلك الليلة كان العم يحكى عن جريمة قتل قام بها ضد الجنود الانجليز فى معسكرات الانجليز ايام احتلالهم لمصر .. يقول العم ملخصا تجربته « تعلمت ان ابادر .. قبل ان يبادر الآخرون » .

ويلتقط المخرج الشاب .. هذه الجملة .. ليسرع فى اتجاه المحلج .. ليبحث عن الحارس ، الذى شهد ويشهد عمليات تهريب القطن .. ويعرف من هم قتلة العامل الذى حاول ان يكشف الحقيقة .. وعندما يرى الحـــارس ينقض عليه ضربا ولكما .. يحاول انتزاع الاسماء منه .. ولكن زملاء الحارس يخلصونه من قبضته .. ولا يحصل المخرج على شىء .. فيعود الى عوامته .. وقد قرر ان يصفى حسابه مع نفسه .. وان يقطع كل الارتباطات التى يتصور انها تعوق حركته .. حتى علاقته مع خطيبته .. التى تفاجأ بأنه يخلع دبلة الخطوبة ، ويلقيها جانبا .. فتنظر له بدهشة وقد هزتها الصدمة .. لتقول له وكأنها تصحح موقفه « بقى بعد الحواجز اللى بيننا كلها ما انكسرت .. بعد ما بقينا واقفين على الأرض لأول مرة فى حياتنا .. تيجى انت بمنتهى السهولة ترمى اجمل حاجة فى حياتنا .. اجمل حاجة فى حياة اثنين فى أى حته فى العالم » !

ينظر بعيدا .. وفى عينيه كل الاصرار والتحدى .. ليقول .. فيلمى الجاى عن البلهارسيا .. اللى ماخفش منها اخويا وابن عمى لغاية دلوقت .. مين المسئول ؟ » !!

وينتهى الفيلم بهذه الكلمات .

● التصوير فى الأماكن الحقيقية

وفيلم « العوامة رقم ٧٠ » .. جرعة مكثفة من المشاعر .. تقتحم المتفرج ، هادرة ، متدفقة .. لتضعه على نفس الأرض التى يتحرك عليها ابطال الفيلم .. فكل شىء صور فى اماكنه الطبيعية .. وبكاميرا حساسة واعية لا تفسد الواقع بالاضاءة الصناعية .. وانما يشبع كل مكان بالضوء الحقيقى له .. وبعد دقائق من عرض الفيلم تكاد تنسى انك فى قاعة عرض تشاهد فيلما .. وانما ينتابك هذا الاحساس بانك جزء مما تراه .. فهذه الهموم والتساؤلات .. وهذا القلق ، والرغبة فى الفرار ، ثم الرغبة فى الاقتحام .. وهذا اليأس والاصرار .. هى مشاعر حقيقية ربما انتابتك يوما .. او احسستها فى صديق او قريب !

● الممثلون

وجسد الممثلون ادوارهم ببراعة وصدق وفهم ..

احمد زكى .. الفنان الذى ينطلق فى السينما المصرية بسرعة رهيبة ، متجددا ، متنوعا ، كأنه نصل سيف حاد ، يمزق كل الانماط التقليدية فى التعبير .. ليعرض مبدأ الصدق والتقمص الكامل للشخصية التى يؤديها .. وفى هذا الفيلم يعطى احمد زكى جزءا من طبيعته الخاصة .. كفنان قلق .. عصبى .. وعندما جلست معه لاناقشه فى دوره بالفيلم .. احسست بمدى حماسه له .. وكأنه يتكلم عن تجربته الشخصية فى الحياة .. يقول لى انه عندما عرض عليه سيناريو الفيلم .. وافق دون اى شروط .. لانه على حد تعبيره .. وجد فيه بعضا من نفسه .. واثناء التصوير .. شعر انه لا يمثل .. وانما يعيش حياته !

وقدم الفيلم .. الوجه الجديد « تيسير فهمى » ليضعها فى مصاف الممثلين الكبار ..

ونجحت « تيسير » فى ان تكون النغمة الصحيحة داخل هذه المعزوفة .

ولعب « كمال الشناوى » و « ماجدة الخطيب » احسن ادوارهما فى السنوات الاخيرة .. واذكر بالتحديد ماجدة الخطيب التى اعادت الى اذهاننا تالقها الفنى فى فيلمها « زائر الفجر » .. انها هنا تلعب دور ابنة القرية التى هجرتها مع عائلتها ، بعد خلافات كثيرة مع عائلة المخرج الشاب .. كانت تكبره بست سنوات .. وكان هو طفلا صغيرا يخرج من بيته .. ليلعب معها .. ثم ينام على ساقيها .. وكبر كل منهما .. وتغيرت احوالهما .. انها الان تعيش فى القاهرة .. ترعى والدها المشلول الذى اصابه المرض بعد رحيل ابنه الوحيد الى امريكا .. انهار الأب .. وعاشت هى تحاول ان تتماسك .. حتى التقت بالمخرج من جديد وشعرت من قلقه انها من الممكن ان تعطيه بعض الاستقرار .. ولكنها كمن قبضت على الهواء

● السيناريو

وقد استطاع سيناريو الفيلم الذى كتبه « فايز غالى » ، كما كتب الحوار ايضا ، ان يضمن الفيلم العديد من المواقف والتفاصيل الإنسانية الصغيرة .. التى تشكل فى النهاية هذا الواقع القلق للشباب فى مرحلة الصراع والتحولات الاخيرة التى مرت بها مصر .

فهذا المخرج التسجيلى الشاب .. بطل الفيلم يستطيع ان يصنع افلاما تسجيلية جريئة تثير الاهتمام .. ولكنه لا يستطيع ان يعيش حياته بنفس الجراة .. وهو لهذا يشعر بالتوتر .. والحيرة .. والقلق .. وبقدر حيرته يصبح لغزا بالنسبة للذين يتعاملون معه ..

انه فى احدى لقاءاته مع عمه .. يشعر برغبته فى المكاشفة .. فيقول له : « تعرف يا عمى .. اجمل حاجة فى حياتك انها غنية .. الواحد لما يبص لها .. ويبص لحياتى يلاقيها فاضية .. او على الاصح متلخبطة .. الغريبة ان انا وسط كل اللى بيحصلى .. مش لاقى حكاية .. حكاية واحدة ممكن احكيها زى حكاياتك » !

ويقول هو عن نفسه بين اصدقائه .. يشكو لهم عدم فهم خطيبته له :

« انا كده .. وحاافضل كده .. جايز فى يوم تغير .. وجايز فى يوم ما اتغيرش .. لكن اللى اعرفه ان افلامى حتعيش .. وحتحرك الناس يوم ورا يوم » !

وربما هذه الكلمات الاخيرة .. هى احسن تعبير عن حلم مخرجى السينما التسجيلية ، فى صراعهم المرير من اجل تاكيد رسالتهم السينمائية .

● حوار مع المخرج

والمخرج خيرى بشارة ـ ٣٤ عاما ـ قدم للسينما التسجيلية عددا من الافلام الهامة منها : صائد الدبابات ـ طبيب فى الارياف ـ حديث القرية .. وفاز عن هذه الأفلام بعدة جوائز .. وله ايضا تجربة سابقة فى الأفلام الروائية الطويلة حيث اخرج فيلم « الاقدار الدامية » عن ماساة هزيمة حرب ٤٨ .. وفيلم « العوامة رقم ٧٠ » هو فيلمه الروائى الثانى .. وقد كتب هو قصته .

وفى لقاء معه .. سالته عن المعنى الذى يقصده من عنوان فيلمه « العوامـــة رقم ٧٠ » ؟ .

اجاب ـ اننى اقصد فترة السبعينات التى مرت بها مصر .. وقلق جيلى خلال عشر سنوات .

سالته ـ ما الذى تريد ان تقوله فى الفيلم ؟

اجاب ـ الفيلم مجرد تشخيص حالة .

ـ وما الذى وصلت اليه فى هذا التشخيص ؟

ـ ان الحل الفردى ليس هو الاسلوب الاجدى لمواجهة المشاكل .. بل هو الحل الجماعى .

ـ اين انت من بطل هذا الفيلم ؟

ـ الفيلم عنى .. وليس عنى .. فجذورى ليست بيضة .. ولم احتك بجريمة كبيرة فى حياتى .. ولكن كل القلق الذى مر به بطل الفيلم .. مررت به انا .. والمتغيرات التى حدثت فى المجتمع المصرى انعكست على حياتى فى شكل صراعات مستمرة .. هل ابيع نفسى واخرج افلام الحواديت .. ام استمر فى الافلام التسجيلية .

ـ لقد عشت فترة فى بولندا .. ما الذى استفدته هناك ؟

ـ بعد تخرجى من المعهد العالى للسينما .. اكتشفت اننى تزودت بثقافة سينمائية .. ولكنى افتقر الى خبرة الحياة .. وفى لحظة ياس .. قطعت تذكرة ذهابا بلا عودة على ظهر مركب مسافره الى بيروت .. ومنها تنقلت الى اكثر من بلد .. حتى وصلت الى بولندا .. كان عمرى وقتها ٢١ عاما .. عشت هناك عامين .. لم اتلق فى بولندا دراسة عن السينما او الايدلوجيات .. ولكنى درست الحياة وتاثرت جدا باسلوب البولنديين فى حبهم الشديد للحياة .. والروح الساخرة عند الفنانين فى نظرتهم للواقع .. وتعرفت على افلام كبار المخرجين البولنديين .. وعندما عدت للقاهرة .. اكتشفت اننى جاهل بمصر .. وقلت وداعا للغة السينمائية .. وداعا لانبهارى بها .. وبدات اغوص فى قرى ومدن مصر .. ابحث عن الحقيقة والانسان .

ـ ماذا استفدت من تجربة العمل فى السينما التسجيلية ؟

ـ استفدت الكثير .. ربما اهم شىء .. اننى اقتربت اكثر من الناس .

● حوار مع المصور

وفيلم « العوامة رقم ٧٠ » هو اول فيلم روائى طويل يصوره الفنـــان محمـــود عبد السميع بعد رحلة طويلة مع الأفلام التسجيلية صور منها ما يزيد عن المائة فيلم .. وفاز بعدة جوائز .. وهو عندما يحكى عن تجربته السينمائية ، يقول انه بالرغم من تخرجه من كلية الفنون التطبيقية الا ان تخرجه الحقيقى جاء من جمعية الفيـــلم « فانا عضو فيها منذ انشائها عام ١٩٦٠ .. حتى اصبحت رئيسها فى الفترة الاخيرة .. ومن احتكاكى بالمثقفين والنقاد ومشاهداتى للافلام .. قررت ان اكون على نفس المستوى

سالته كيف تفهم التصوير السينمائى ؟

اجاب ـ التصوير بالنسبة لى ليس بحثا عن جماليات الصورة .. وانما بحثا عن قوة التعبير عن الموضوع بالصورة .. فانا ضد التكوينات المفتعلة .. او الكادرات الغريبة وما ياسرنى تماما هو قوة الموضوع ومدى واقعيته .

ـ من الواضح فى فيلم العوامة .. تحكمك فى توزيع الاضاءة ..

ـ لقد علمتنى تجارب التصوير فى الافلام التسجيلية .. ان أتصرف فى اضيق الإمكانيات .. فقد تعرضت لمواقف صعبة وكان على ان اصور بلا اضاءة تقريبا .. وبالفعل صورت افلاما تسجيلية على كشافات السيارات ولهيب اعواد الكبريت .. ان قلة الامكانيات تولد حلولا عظيمة .. ولكن من اهم الاشياء التى تعلمتها من الافلام التسجيلية .. ان المكان لا يقل اهمية عن الانسان .. فمثلا الحائط لا يقل عندى اهمية عن اى ممثل .. فالاثنان يمثلان امامى ..

وهكذا اهدت السينما التسجيلية فى مصر .. اثنين من افضل رجالها .. الى السينما الروائية ..

وكان السينما التسجيلية هى الام .. التى تربى اولادها .. حتى يكبروا .. ويستقلوا بانفسهم .. ويخرجوا من بيت العائلة الى بيوتهم الجديدة ..

ربما كان هو خروجا من الظل .. الى دائرة الضوء .. والشهرة .

ولكن .. نادرا ما ينكر احد منهم ، فضل السينما التسجيلية عليه .. انها المدرسة الحقيقية للسينما الواقعية .. ولهذا يعود اليها الكثيرون اذا ما شعروا يوما بصعوبة الحياة .. واشتاقوا الى دفء الام .. وحنانها .. وصدقها . !

رءوف توفيق



الزجاج بين يدي الفنان السوري

بقلم: عـــادل أبوشـنب



احد العمال يصهر الزجاج

احدى الاواني الجميلة

من الزجاج يصنع الزجاج . هذا هو العنوان الكبير ، لكن التفاصيل اكثر من مثيرة .

فى وقت ما ، ربما قبل عدة الاف من السنين عرفت دمشق بانها من اوائل المدن التى صنعت الزجاج ، وفى الآثار المكتشفة ما دل على أن صناعة الزجاج فى هذه المدينة كانت رائجة ، لكن المدن الاخرى سرقت هذه الصناعة واحتكرتها وطورتها ، ونبذت طرائقها القديمة ، واستنبطت طرائق جديدة ، يصنع الزجاج فيها اليا ، وحدثت المفارقة عندما تنكرت دمشق لتراثها ، واقامت عددا من المصانع التى تنتج الزجاج اليا . اثنان او ثلاثة رجال فقط .. تمسكوا بتراث دمشق فى هذا النوع من الصناعة ، فانشاوا معامل تصنع الزجاج يدويا ، كما كان الأجداد يفعلون .. وبالتحديد ، تصنع الزجاج بطريقة النفخ .

القديم الجديد

فى بعض الاوقات ، كان رجال شعبيون يطوفون بحارات دمشق وازقتها – ومازالوا حتى الآن – يقايضون على قطع الزجاج المكسرة بشيء مما يسلى الاطفال . وكان كثيرون يتساءلون : ماذا يصنع هؤلاء الرجال بشقفات الزجاج المكسورة الى اين يأخذونها ؟ وماذا يفعلون بها ؟ وهل من الممكن الاستفادة من قطع الزجاج التى تنبذ عادة ؟ كان الرجال يبتسمون اذا ما جوبهوا باسئلة كهذه ، ومن ثم يحملون اكياسهم فوق ظهورهم ، ويسرعون بها الى معامل الزجاج اليدوية . فهناك ستصهر شقفات الزجاج التى لها الف لون ولون ، وستصبح سائلا لزجا من شدة حرارة الفرن الذى تصهر فيه ، وهناك ستتحول الى زجاج جديد . نعم .. من الزجاج القديم يصنع زجاج جديد .. وبالطريقة نفسها التى كان الاجداد يصنعون بها الزجاج فى دمشق قبل الاف السنوات ، اى بطريقة نفخ السائل الزجاجى المستخرج من الفرن (لنلاحظ ان الفرن يعمل الآن بالمازوت وهو تطوير اقتضته الظروف) .

هاهنا تتدخل المهارة والخبرة والذوق . فالعمال (الذين صاروا قلة والذين يندثرون واحدا بعد الآخر) يتكيفون بكتل الزجاج اللزج التى يخرجونها من الفرن بانابيب حديدية



مجموعة من الاواني الزجاجية

الزجاج

مفرغة . ينظر واحدهم الى الكتلة التى اخرجها مقدرا حجمها ، بضوء الآنية التى ينوى صنعها ، ثم يهيئها للصناعة بطرقها على مصطبة رخامية او حجرية موضوعة فى فم الفرن ، ثم ينفخها ، واحيانا يلوح بها الى الأعلى والأسفل عدة مرات ، فبهذه التلويحات تتمدد كما يشاء ، ثم يضعها فى قالب حديدى مصنع بحجم الآنية ، ثم يضيف اليها القطع اللازمة او التزيينية المطلوبة ، ومن ثم يسويها بملقط خاص ، ثم يضعها فى الفرن لمدة محددة حتى تشوى ، وبعد ذلك يخرجها ، ليضعها مساعده فى مكان التبريد المعد ، وهو يضعها بحرفية ، إذ عليه ان يتخلص من الأنبوب الحديدى الملتصق بها ، ويتم ذلك بضربه متانية عليه ، فينفصل عنها ، ويصبح جاهزا لاستخدامه فى صنع انية جديدة .

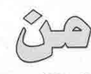
اعادة تشكيل

وبقدر ما فى العودة من تاكيد على قيمة التراث الشعبى .. فان هذه العودة تتيح للذوق الشعبى ان يعلن عن نفسه ، لأن المهارة فى تكوين الآنية الزجاجية فى مصنع كهذا .. تعبير عن قدرة الفنان الشعبى على الابتكار فى اعداد كل نموذج كما يريد ، وعلى هذا فان تصنيع الزجاج ، هنا ليس فلكلورا فحسب ، بل هو ميدانا فنيا تتاح فيه للمواهب ان تبرز وتتكامل ، ومن المؤكد ان المتلقين ، اى الجمهور يقبلون على هذا النتاج الزجاجى باعتباره نتاجا فولكلوريا وفنيا ، وغالبا ما يعرض للفرجة او الزينة وليس للاستعمال . ولقد عرف عمال ومنتجو هذا الزجاج هذا .. فاتجهوا الى التجديد فى التزيين ، بل اتجهوا الى انتاج آنية تنفع فى العرض اكثر من نفعها اذا ما وضعت فى الاستخدام اليومى ، فالثريات المصنوعة من مئات القطع الصغيرة تحف فنية تفى بالغرضين ، الاستخدام والفرجة ، والعقود الزجاجية التى توضع فى نحور الفتيات .. لها الخاصية نفسها ، لكن الاباريق الصغيرة وبعض « الفازات » لم تصنع الا لتعرض .. وجمالها فى معرفتك بانها نتاج يدوى ، وان الفنان الشعبى هو الذى ابدعها بهذه الصور وانه ليس فى العالم ما يماثلها حرفيا .

ان الفرجة على فنانى الزجاج اليدوى السورى وهم يعملون .. مثير والسواح الاجانب غالبا ما تجد فى برامجهم زيارات لمعمل الزجاج اليدوى ، يجلسون ، يرون كيف يقوم الفنان بعمله أمام الفرن ، وكيف يستخدم مهاراته فى تحريك الانبوب او فى نفخ المادة الزجاجية السائلة ، او فى طرقها على الرخامة السوداء المثبتة فى الفرن ، او فى التدخل لتوسيع فمها او تضييقه ، او وضع اضافات تزيينية من الزجاج . ودائما يقف المعلم (وهو ابو احمد صاحب المعمل فى محلة الباب الشرقى بدمشق) يمنح النصح ويتحدث عن دقائق العمل وخواص الزجاج المنتج ، ويرحب بك .. ويأخذك بنفسه الى صالة العرض لترى النتاج الرائع .

نعم .. من الزجاج يصنع الزجاج . والفارق بين الزجاج المكسور والزجاج المشكل من جديد ، هو الفارق بين ما هو مادة خام وبين ما هو نتاج فنى ، ان الفارق كبير اذن ، والفنان الشعبى هو الذى يجعل ما لا قيمة له .. شيئا ذا قيمة كبرى .

عادل ابو شنب



من بعيد

للشاعر: عبدالعليم القباني

قلبي على البعد، لاسالٍ ولا ناسِ
هلّا تذكرته .. يا أجمل الناسِ ؟

تركتني والغد المأمول في خلدي
رؤى ظنون وأوهام ووسواس

أغدو ومع الصبح والحرمان يصحبني
ويقبل الليل والأشجان في كاسي

لا شيء بعدك تغريني ملاحته
فأنت وحدك إسعادي وإيناسي

وأنت وحدك روح الشعر في كلمي
وأنت وحدك قيثاري وأجراسي

• • •

يا قاسي البعد، آمالي شقيتُ بها
فهل علمتَ بما ألقاه يا قاسي ؟

أرى سواك فلا تهتز عاطفتي
ولا يَهشُّ له بالود إحساسي

كأنما الحسن مقصور عليك فما
أرى بغيرك إلا بعض أقباس

سرٌّ من الله، في عينيك أقرأه
وحدي، ويقصر عن معناه نبراسي

• • •

يا من على القرب ينساني، وأذكره
رغم البعاد، وحولي كلُّ جُلّاسي

ماذا لوانك لم تسمع لما نقلوا
من قال إن زجاج الود كالماس ؟

ماذا لوانك قد أحرقت زَيْفَهُمو
بلاهبٍ من شعور القلب حسّاس ؟

أم كان حبُّك لي وهمًا ؟ وكنت أنا
ضحيّة ؟ أم ترى الظمآن كالحاسي ؟

يا أجمل الناس، قلبي ليس بالقاسي
فكيف تقسو إذن .. يا أجمل الناس ؟





مع أنور المعداوي في كتابه كلمات في الأدب

بقلم : الدكتور عيسى الناعوري

حين أكتب اليوم عن أنور المعداوى ـ بعد نحو ستة عشر عاماً من وفاته ـ تعود بي الذاكرة الى عهد مجلة (الرسالة) القاهرية الزياتية فى أواخر أعوامها ، حين كان أنور المعداوى من أكبر النقاد الذين يصولون على صفحاتها ويجولون بأقلام قوية جريئة ، لا تتردد فى أن تفقأ الدمامل حيثما وجدتها ، ولا تخجل من أن تقول للأعور « أعور فى عينه » ، فى مجالات الأدب والفكر .

من المؤسف ان المعداوى اليوم غاب فى طيات النسيان ، فما عاد يتردد اسمه على الاقلام الا نادرا . ولولا وفاء صديقه الأستاذ رجاء النقاش ، الذى شاء ان يحيي ذكره بكتـــابه « صفحات مجهولة فى الادب العربى المعاصر » ، لقلت ان ادباء الجيل الحاضر قد نسوا المعداوى كل النسيان .

ولعل الكتاب الذى اكتب حوله الآن ، وهو كتاب «كلمات فى الأدب» ، لانور المعداوى ، المطبوع فى لبنان سنة ١٩٦٦ ، بعد وفاة المعداوى بسنة واحدة ، هو الكتاب الوحيد الذى قرأته للمعداوى . وهو يقع فى ١٧٢ صفحة من القطع الكبير ، ويضم اثنى عشر فصلا من بحوث الأدب المختلفة التى كان يكتبها المعداوى . ويذكر النقاش فى كتابه (صفحات مجهولة) أن للمعداوى كتابين مطبوعين غير هذا الكتاب ، وهما : (نماذج فنية فى الأدب والنقد) ، ١٩٥١ ، و (علي محمود طه الشاعر والانسان) ، المطبوع فى العراق سنة ١٩٦٥ ، قبل وفاة المؤلف بشهور .

هذا الكتاب ينبش امورا كثيرة : من الادب العربى المعاصر ، ومن غير الادب العربى ، لكنها



مع أنور المعداوي في كتابه كلمات في الأدب

بقلم: الدكتور عيسى الناعوري

حين أكتب اليوم عن أنور المعداوى ـ بعد نحو ستة عشر عاماً من وفاته ـ تعود بي الذاكرة الى عهد مجلة (الرسالة) القاهرية الزياتية فى أواخر أعوامها، حين كان أنور المعداوى من أكبر النقاد الذين يصولون على صفحاتها ويجولون بأقلام قوية جريئة، لا تتردد فى أن تفقأ الدمامل حيثما وجدتها، ولا تخجل من أن تقول للأعور « أعور فى عينه »، فى مجالات الأدب والفكر.

من المؤسف ان المعداوى اليوم غاب فى طيات النسيان، فما عاد يتردد اسمه على الاقلام الا نادرا. ولولا وفاء صديقه الأستاذ رجاء النقاش، الذى شاء ان يحيي ذكره بكتابه «صفحات مجهولة فى الأدب العربى المعاصر»، لقلت ان ادباء الجيل الحاضر قد نسوا المعداوى كل النسيان.

ولعل الكتاب الذى اكتب حوله الآن، وهو كتاب «كلمات فى الأدب»، لانور المعداوى، المطبوع فى لبنان سنة ١٩٦٦، بعد وفاة المعداوى بسنة واحدة، هو الكتاب الوحيد الذى قرأته للمعداوى. وهو يقع فى ١٧٢ صفحة من القطع الكبير، ويضم اثنى عشر فصلا من بحوث الأدب المختلفة التى كان يكتبها المعداوى. ويذكر النقاش فى كتابه (صفحات مجهولة) أن للمعداوى كتابين مطبوعين غير هذا الكتاب، وهما: (نماذج فنية فى الأدب والنقد)، ١٩٥١، و (علي محمود طه الشاعر والانسان)، المطبوع فى العراق سنة ١٩٦٥، قبل وفاة المؤلف بشهور.

هذا الكتاب ينبش امورا كثيرة: من الادب العربى المعاصر، ومن غير الادب العربى، لكنها



كلها من امور الأدب : ابتداء من «المسرح الاتجاهي بين سارتر وتشيكوف» و «الأثر الفني بين الفهم والتذوق» و «مشكلة العلاقة بين مي وجبران» الى «رواية الأرض» بين ايديولوجية الفن وواقع الحياة» و «من واقع الأدب فى مصر» وما بين هذه الفصول من دراسات ادبية اخرى .

فالكتاب مجموعة دراسات من مقالات المعداوى التى كان ينقل بها الى القراء افكاره ومفاهيمه الأدبية ، فى زمن لم تكن قد طغت فيه مفاهيم الثورة السياسية والانقلابية العسكرية على مفاهيم الأدب والفن وجرفتها فى طريقها .

الأثر الفني بين الفهم والتذوق

من هذه الدراسات المركزة التى شاء المعداوى ان يشق بها لنفسه طريقا الى القراء ، ويشق بها للقراء طريقا الى نفسه ، باعتباره ناقدا له موقف وافكار ، وله مفهوم واتجاه ، المقال الثانى من الكتاب ، وعنوانه : «الأثر الفنى بين الفهم والتذوق» ؛ وقد اختط فيه المعداوى دربا فى النقد الأدبى دعاه (الأداء النفسى) ، وشاء ان يجعل من هذا «الأداء النفسى» ميزانا يزن به ما يريد دراسته من ادب الأدباء وفن شعر الشعراء .

والذين قرأوا كتاب النقاش (صفحات مجهولة) ، يذكرون ان النقاش قد اطال الحديث فى كتابه عن المقال ليؤكد أهميته بالنسبة الى المعداوى ، ويقول عنه انه : «ليس نظرية ولا مذهبا ادبيا ، ولكنه فكرة ذكية» (صفحات مجهولة ، ص ٣٢ وما بعدها) . وهو فعلا مقال جدير بأن نقف عنده ، ونقدم نماذج من اراء المعداوى الواردة فيه .

يهتم المعداوى بأن يؤكد أن «الفهم» وحده للأثر الفنى ــ والفهم عملية عقلية صرف ــ لا يكفى ، بل لابد مع الفهم من «التذوق» ــ وهو عملية وجدانية مشاركة فى الاحساس بالأثر الفنى ــ وهو يشرح ذلك فى الصفحة (١٦) من الكتاب ، فيقول :

«إن الفهم اداته الذهن الثاقب ، وأن التذوق اداته الاحساس الرهيف ... انهما طاقتان : طاقة عقلية وطاقة شعورية» .

ويقول ايضا فى الصفحة عينها : «ان فهم الحياة هو ان نفتح «لمشاهدها» ابواب العقل ، اما تذوق الحياة فهو ان نفتح «لتجاربها» ابواب الشعور . اننا «نراها» هناك تحت اشعاع الومضة الذهنية ، ولكننا نتلقاها هنا تحت تأثير الدفقة الوجدانية» .

والمعداوى يقدم بهذا الشرح الموجز لفكرة «الأداء النفسى» ، التى يعتبرها «نظريته» الخاصة وطريقه الى القراء ، وطريق القراء اليه كناقد متميز ؛ فهو يقول بعد ذلك مباشرة :

«هذه الكلمات هى معالم الطريق الى «الأداء النفسى» ، أو الى هذه المحاولة المذهبية التى تحمل ذلك العنوان ، وهدفها أن تزن قيم الفن بميزان جديد ...» (ص ١٧) .

وهو يرى أن الفن فى جوهره ليس فهما للحياة يقف بنا عند حد الرؤية المادية والاثارة العقلية .. وإنما هو الى جانب ذلك حركة فى الوجود الخارجى ، تعقبها هزة فى الوجود الداخلى ، يتبعها انفعال : انفعال يحدث تلك المشاركة الوجدانية بين منتج الفن ومتــذوق الفن» (ص ١٧) .

وما هو الفن ؟

يشرح المعداوى الفن فيقول :

«ان الفن ، فى حقيقته المثلى ، عملية استقبال حسية ، تعقبها عملية ارسال نفسية ... وإننا لنفرق ، تبعا لهذا التحديد ، بين انتاج فنى لا يهز من الكيان الشاعر غير الحواس الخارجية ، وانتاج اخر يتمر فى هذا الكيان ما اثاره الانتاج الأول ، ثم يزيد عليه حقيقة اخرى حين يطرق ابواب الشعور فى صدق وأصالة» (ص ١٨) .

والخلاصة : «ان المحور الرئيسى الذى ندور حوله منذ البداية ، هو التذوق الشعورى الكامل للوجود الخارجى حين يتحول الى تجربة داخلية كاملة فى النفس الانسانية» (ص ٢٢) .

ويضيف قائلا : «هذا التذوق الشعورى الكامل هو أساس الأداء النفسى» (ص ٢٣) .

وأيضا : «إن الأداء النفسى لا يكمل معناه إلا وهو قائم على دعامتين ، هما : الصدق الشعورى والصدق الفنى ، متحدين فى مجال صورة تعبيرية . أما الصدق الشعورى فهو ذلك التجاوب بين التجربة الحيــة ومصــدر الاثارة ...» (ص ٢٤) .

لقد أطلت فى الاقتباس من أقوال المعداوى فى شرح فكرة «الأداء النفسى» . والحقيقة ان المعداوى كان فى الكثير مما قاله يكرر المعنى نفسه ، على طريقة المعلمين فى محاولة ادخال الأفكار والمعلومات الى عقول طلابهم بواسطة التكرار . والمهم أن المعداوى شرح فكرته ــ بهذا التكرار ــ شرحا وافيا ومنطقيا ومعقولا . وكان تطبيقه لفكرته ــ أو فلسفها «نظرية» ، كما يريد هو أن يسميها ــ على النماذج التى اختارها : من حكاية فرانز ليست وزميله فريدريك شوبان ــ وهما من اعاظم الموسيقيين ــ وكذلك من قصة (أم) لفرانسوا مورياك ، موفقا ومقنعا كذلك ، ودالا على ذكاء ، وعلى مقدرة نقدية جديرة بالاحترام .

بين مي وجبران

ثم ننتقل من هذا المقال الى المقال الذى يليه ، وعنوانه : «مشكلة العلاقة بين مي وجبران» ، وهو كذلك بحث جدير بأن نقف عنده وقفة خاصة لنرى كيف ينظر المعداوى الى هذه العلاقة بين مي وجبران .

والمعروف ان علاقة حب بالمراسلة قامت يوما بين جبران ، فى امريكا ، ومي زيادة ، فى مصر ؛ ولم يحاول اى من الحبيبين الأديبين ان يلتقى بحبيبه : وكان من اسهل السهل عليهما أن يلتقيا لو ارادا ، ولو كانا جادين فى حبهما ، وأن يخرجا عن طور المراسلة الورقية ــ الحب على الورق فقط ــ الى طور النظر والسمع واللمس .. ولكنهما لم يشاءا ، ولم يلتقيا قط .

يرى المعداوى فى مي رأيا لا أعرف أحدا سبقه اليه . وأنا أرى فى جبران أيضا الرأى عينه ؛ وقد سجلت رأيى هذا فى أكثر من مقال لي .

يقول المعداوى فى مقدمة البحث : «الحقيقة التى فتلها الدارسون «المسرعون» هى أن عاطفة الأنوثة فى مي لم تتجه يوما الى جبران !!» (ص ٢٥) .

ثم يضيف الى ذلك قوله : «إن صورة تلك العلاقة قد بدأت فى نفسى وهى داخل اطار من الشك المثير . اما مصدر هذا الشك فهو طبيعة من الأنوثية : لقد بدت لي هذه الطبيعة يوما وهى مغلفة بالانحراف ، ملفعة بالشذوذ ... هل كانت مي امرأة ؟ امرأة ورثت ، كغيرها من النساء ، تلك التركة الخالدة عن الأم الأولى حواء» (ص ٢٥) .

ويشرح المعداوى ما يعنيه بالانحراف والشذوذ ، فيقول :

«المرأة الطبيعية ــ فى رأيى ــ هى التى يستيقظ فى أعماقها الشعور بالرجل ... أما المرأة الشاذة فهى تلك التى (تنام) فى أعماقها مثل هذه (اليقظة) ... هى مي فى حقيقتها العميقة التى لم



كلها من امور الأدب : ابتداء من «المسرح الاتجاهى بين سارتر وتشيكوف» و «الاثر الفنى بين الفهم والتذوق» و «مشكلة العلاقة بين مي وجبران» ، الى «رواية الأرض ، بين ايديولوجية الفن وواقع الحياة» ، و «من واقع الأدب فى مصر» وما بين هذه الفصول من دراسات ادبية اخرى .

فالكتاب مجموعة دراسات من مقالات المعداوى التى كان ينقل بها الى القراء افكاره ومفاهيمه الأدبية ، فى زمن لم تكن قد طغت فيه مفاهيم الثورة السياسية والانقلابية العسكرية على مفاهيم الادب والفن وجرفتها فى طريقها .

الأثر الفنى بين الفهم والتذوق

من هذه الدراسات المركزة التى شاء المعداوى ان يشق بها لنفسه طريقا الى القراء ، ويشق بها للقراء طريقا الى نفسه ، باعتباره ناقدا له موقف وافكار ، وله مفهوم واتجاه . المقال الثانى من الكتاب ، وعنوانه : «الأثر الفنى بين الفهم والتذوق» : وقد اختط فيه المعداوى دربا فى النقد الأدبى دعاه (الأداء النفسى) ، وشاء ان يجعل من هذا «الأداء النفسى» ميزانا يزن به ما يريد دراسته من ادب الأدباء وفن شعر الشعراء . والذين قرأوا كتاب النقاش (صفحات مجهولة) ، يذكرون ان النقاش قد اطال الحديث فى كتابه عن المقال ليؤكد أهميته بالنسبة الى المعداوى ، ويقول عنه انه : «ليس نظرية ولا مذهبا ادبيا ، ولكنه فكرة ذكية» (صفحات مجهولة ، ص ٣٢ وما بعدها) . وهو فعلا مقال جدير بان نقف عنده ، ونقدم نماذج من اراء المعداوى الواردة فيه .

يهتم المعداوى بان يؤكد ان «الفهم» وحده للاثر الفنى — والفهم عملية عقلية صرف — لا يكفى ، بل لابد مع الفهم من «التذوق» — وهو عملية وجدانية مشاركة فى الاحساس بالاثر الفنى — وهو يشرح ذلك فى الصفحة (١٦) من الكتاب ، فيقول :

«إن الفهم اداته الذهن الثاقب ، وان التذوق اداته الاحساس الرهيف ... انهما طاقتان : طاقة عقلية وطاقة شعورية» .

ويقول ايضا فى الصفحة عينها : «ان فهم الحياة هو ان نفتح «لمشاهدها» ابواب العقل ، اما تذوق الحياة فهو ان نفتح «لتجاربها» ابواب الشعور .. اننا «نراها» هناك تحت اشعاع الومضة الذهنية ، ولكننا نتلقاها هنا تحت تاثير الدفقة الوجدانية» .

والمعداوى يقدم بهذا الشرح الموجز لفكرة «الأداء النفسى» ، التى يعتبرها «نظريته» الخاصة وطريقه الى القراء ، وطريق القراء اليه كناقد متميز : فهو يقول بعد ذلك مباشرة :

«هذه الكلمات هى معالم الطريق الى «الأداء النفسى» ، أو الى هذه المحاولة المذهبية التى تحمل ذلك العنوان ، وهدفها ان تزن قيم الفن بميزان جديد ...» (ص ١٧) .

وهو يرى أن الفن فى جوهره ليس فهما للحياة يقف بنا عند حد الرؤية المادية والاثارة العقلية .. وإنما هو الى جانب ذلك حركة فى الوجود الخارجى ، تعقبها هزة فى الوجود الداخلى ، يتبعها انفعال : انفعال يحدث تلك المشاركة الوجدانية بين منتج الفن ومتــــذوق الفن» (ص ١٧) .

وما هو الفن ؟

يشرح المعداوى الفن فيقول :

«ان الفن ، فى حقيقته المثلى ، عملية استقبال حسية ، تعقبها عملية ارسال نفسية ... وإننا لنفرق ، تبعا لهذا التحديد ، بين انتاج فنى لا يهز من الكيان الشاعر عبر الحواس الخارجية ، وانتاج اخر يثير فى هذا الكيان ما اثاره الانتاج الأول ، ثم يزيد عليه حقيقة اخرى حين يطرق ابواب الشعور فى صدق واصالة» (ص ١٨) .

والخلاصة : «ان المحور الرئيسى الذى ندور حوله منذ البداية ، هو التذوق الشعورى الكامل للوجود الخارجى حين يتحول الى تجربة داخلية كاملة فى النفس الانسانية» (ص ٢٢) .

ويضيف قائلا : «هذا التذوق الشعورى الكامل هو اساس الأداء النفسى» (ص ٢٣) .

وايضا : «إن الأداء النفسى لا يكمل معناه إلا وهو قائم على دعامتين ، هما : الصدق الشعورى والصدق الفنى ، متحدين فى مجال صورة تعبيرية . اما الصدق الشعورى فهو ذلك التجاوب بين التجربة الحيــــة ومصـــــدر الاثارة ...» (ص ٢٤) .

لقد أطلت فى الاقتباس من اقوال المعداوى فى شرح فكرة «الأداء النفسى» . والحقيقة ان المعداوى كان فى الكثير مما قاله يكرر المعنى نفسه ، على طريقة المعلمين فى محاولة ادخال الأفكار والمعلومات الى عقول طلابهم بواسطة التكرار . والمهم ان المعداوى شرح فكرته — بهذا التكرار — شرحا وافيا ومنطقيا ومعقولا . وكان تطبيقه لفكرته — أو فلنسمها «نظرية» ، كما يريد هو ان يسميها — على النماذج التى اختارها : من حكاية فرانز ليست وزميله فريدريك شوبان — وهما من اعاظم الموسيقيين — وكذلك من قصة (أم) لفرانسوا مورياك ، موفقا ومقنعا كذلك ، ودالا على ذكاء ، وعلى مقدرة نقدية جديرة بالاحترام .

بين مي وجبران

ثم ننتقل من هذا المقال الى المقال الذى يليه ، وعنوانه : «مشكلة العلاقة بين مي وجبران» ، وهو كذلك بحث جدير بان نقف عنده وقفة خاصة لنرى كيف ينظر المعداوى الى هذه العلاقة بين مي وجبران .

والمعروف ان علاقة حب بالمراسلة قامت يوما بين جبران ، فى امريكا ، ومي زيادة ، فى مصر : ولم يحاول اى من الحبيبين الأديبين ان يلتقى بحبيبه : وكان من اسهل السهل عليهما ان يلتقيا لو ارادا ، ولو كانا جادين فى حبهما ، وأن يخرجا عن طور المراسلة الورقية — الحب على الورق فقط — الى طور النظر والسمع واللمس .. ولكنهما لم يشاءا ، ولم يلتقيا قط .

يرى المعداوى فى مي رايا لا اعرف احدا سبقه اليه . وانا ارى فى جبران ايضا الراى عينه : وقد سجلت رايى هذا فى اكثر من مقال لي .

يقول المعداوى فى مقدمة البحث : «الحقيقة التى قتلها الدارسون «المسرعون» هى ان عاطفة الانوثة فى مي لم تتجه يوما الى جبران !! (ص ٢٥) .

ثم يضيف الى ذلك قوله : «إن صورة تلك العلاقة قد بدات فى نفسى وهى داخل اطار من الشك المثير . اما مصدر هذا الشك فهو طبيعة من الانثوية : لقد بدت لي هذه الطبيعة يوما وهى مغلفة بالانحراف ، ملفعة بالشذوذ ... هل كانت مي امراة ؟ امراة ورثت ، كغيرها من النساء ، تلك التركة الخالدة عن الام الأولى حواء» (ص ٢٥) .

ويشرح المعداوى ما يعنيه بالانحراف والشذوذ ، فيقول :

«المراة الطبيعية — فى رايى — هى التى يستيقظ فى اعماقها الشعور بالرجل ... اما المراة الشاذة فهى تلك التى (تنام) فى اعماقها مثل هذه (اليقظة) ... هى مي فى حقيقتها العميقة التى لم

«تتذوق» طعم الحب ، لانها فقدت «شهية الأنوثة» (ص ٢٦) .

والمعداوي يؤكد ان هذا الذي يقوله «كان نتيجة لتتبعه حياة مي النفسية وهي بين الرجال ، وهي في صالونها الادبي في ايام الثلاثاء» . وهو يرى ان امرأة مثلها «كان يحيط بها رجال ممتازون ، بعضهم لا تنقصه الرجولة ، وبعضهم لا تنقصه الشهرة ، وبعضهم لا تنقصة المكانة الأدبية والاجتماعية» ، فلم تلتفت قط الى واحد منهم ، رغم ان فيهم من كانوا يكتبون اليها الرسائل الملتهبة بالشوق ، والمضطرمة بالعشق ، ومنهم ولي الدين يكن ، ومصطفى صادق الرافعي ، واسماعيل صبري ، وغيرهم .

ثم يتساءل المعداوي ، بعد ان يورد امثلة من رسائل ولي الدين يكن والرافعي اليها : «اتكون مي قد نظرت الى الرجلين نظرة المرأة المدلة بكبرياء الأنوثة الى كل حب ذليل ؟ ام قد تكون نظرت اليهما كاديبين نظرة الأديبة المعتزة بشرف الثقافة الى كل ادب غير خلاق» ؟ (ص ٢٧) .

ويعلق على ذلك بقوله : «فتور عجيب يزلزل في نفسك قوائم الايمان بانها كانت امرأة : امرأة يضطرب بين جنبيها الاحساس الخالد بالانوثة ، وينطلق من وجودها الداخلي نداء الأعماق» (ص ٢٨) .

قد يكون المعداوي على حق فيما استنتجه من صالون مي الادبي ، ومن صلاتها الطويلة والمستمرة مع رجال من صفوة المجتمع المصري ، وقد نستطيع ان نفسر تصرف مي هذا في انها لم تجد قلبها في واحد منهم ، لانه كان مع واحد اخر بعيد ... كل هذا ، وغير هذا ايضا ، جائز .

ولكن المعداوي لا يكتفي بما ساقه من حديث الصالون الادبي ومن كانوا يؤمونه من الرجال ، بل ينطلق من هناك ليبحث في علاقة مي وجبران معتمدا على بعض ما دار بينهما من رسائل ، ومقتبسا فقرات منها : واقتباسه موفق فعلا .

المعداوي يرى ان جبران كان محبا حقيقيا لمي يشعر نحوها بنداء الأعماق لدى الرجل الذي يسعى الى نصفه الآخر ، ولكنه يرى في مي انها هي التي لم تكن تلك الأنثى الباحثة عن نصفها الآخر في الرجل ، بل كانت «مقتولة الانوثة» ، كما يقول .

«انوثة مقتولة ولو التمست لها مي الأسباب والمعاذير ، ولو حاولت ان تبرر شذوذها وهي تقول لجبران ... ... ما معنى هذا الذي اكتبه ؟ انني لا اعرف ماذا اعني به ، ولكنني اعرف انك محبوبي ، واني اخاف الحب ، انني انتظر من الحب كثيرا ، فاخاف الا يأتيني بكل ما انتظر ... كيف اجسر على الافضاء اليك بهذا ... ؟ الحمد لله انني اكتبه على الورق ، ولا اتلفظ به ، لانك لو كنت حاضرا بالجسد ، لهربت خجلا ... ولاختفيت زمنا طويلا ، فما ادعك تراني إلا بعد ان تنسى» (ص ٣٠) .

اما تعليق المعداوي على هذا فهو كما يلي :

«تزعم مي انها تخشى الحب ، ولو صدقت لقالت انها لا تستطيع ان تتذوقه ، لانها ـ كما سبق القول ـ قد فقدت ابرز الخصائص عند المرأة الطبيعية» (ص ٣٠) .

مي زيادة

جبران خليل جبران

ويقول : «لقد ارادتها صداقة فكرية ، واردها ـ اي جبران ـ علاقة وجدانية» (ص ٣١) .

والخلاصة كما يراها المعداوي : «على ضوء هذا كله نستطيع ان نقول ان علاقة مي بجبران لم تكن علاقة قلب ، وإنما كانت علاقة فكر» (ص ٣٥)

وانا اضيف الى ذلك ان علاقة جبران بمي ايضا كانت علاقة فكر ، ولم تكن قط علاقة قلب : فالذي يراه المعداوي في مي ، ارى مثله تماما في جبران . ودليلي على ذلك شيئان :

- رسائل جبران الى مي ـ كما جاءت في كتاب (الشعلة الزرقاء) ، لسلمى الحفار الكزبري ، والدكتور سهيل بشروئي .
- مذكرات ماري هاسكل ، كما جاءت في كتاب (اضواء جديدة على جبران) ، لتوفيق الصائغ .

وحسبك من مذكرات ماري هاسكل اعترافها بمحاولاتها العديدة اغراء جبران بها ، ومرة واحدة عرض عليها جبران ان يتزوجها ، لا لانه يريد الزواج حقا ، ولكن لانه يريد ان يرد لها الجميل الذي اضفته عليه منذ شبابه الباكر حتى اخر عمره .

في رايي ان جبران كان «مقتول الرجولة» ، مثلما يقول المعداوي ان ميا كانت « مقتولة الانوثة» ، وهكذا كانت العلاقة بينهما علاقة فكر لا علاقة حب . ولو لم تكن حقيقتهما كذلك ، لكان من المؤكد ان يسعى اي منهما للقاء الآخر ، لتحويل الحب من مجرد كلام على الورق ، الى لقاء ، فزواج ، كما هي خاتمة كل حب طبيعي ، ولقد كانت فرص اللقاء متاحة لكليهما : في مصر او في امريكا ، وكانا قادرين عليه لو ارادا ، حتى لو لم يكونا قادرين عليه ماليا ـ وهذا عكس الواقع ـ فان الحب الطبيعي يتغلب على كل العوائق لكي يصل الى غايته . ولكن ثمة شيئا اساسيا كان يعوز هذه العلاقة ، من طرفيها معا ، بين الاديب الكبير والاديبة الكبيرة ، لكي تصبح علاقة حب حقيقي .

في نظري ان دراسة المعداوي لهذه العلاقة بين مي وجبران ، دراسة مهمة وفي الصميم . ولكن يبدو ان المعداوي فهم حقيقة احد طرفيها فقط ، وغابت عنه حقيقة الطرف الثاني : فجبران ومي كانا ، كما يبدو ، فاقدين لرجولة الرجل الكاملة ، ولانوثة الانثى الكاملة : وكلاهما كان يتسلى عن نقصه الكبير بالحديث عن الحب العقلي لا الحب العاطفي . ولذلك ظل حبهما على الورق فحسب .

الدكتور عيسى الناعوري

«تتذوق» طعم الحب ، لأنها فقدت «شهية الأنوثة» (ص ٢٦) .

والمعداوى يؤكد ان هذا الذى يقوله «كان نتيجة لتتبعه حياة مي النفسية وهى بين الرجال ، وهى فى صالونها الادبى فى ايام الثلاثاء» . وهو يرى ان امراة مثلها «كان يحيط بها رجال ممتازون ، بعضهم لا تنقصه الرجولة ، وبعضهم لا تنقصه الشهرة ، وبعضهم لا تنقصة المكانة الأدبية والاجتماعية» ، فلم تلتفت قط الى واحد منهم ، رغم ان فيهم من كانوا يكتبون اليها الرسائل الملتهبة بالشوق ، والمضطرمة بالعشق ، ومنهم ولي الدين يكن ، ومصطفى صادق الرافعى ، واسماعيل صبرى ، وغيرهم .

ثم يتساءل المعداوى ، بعد ان يورد امثلة من رسائل ولي الدين يكن والرافعى اليها : «اتكون مي قد نظرت الى الرجلين نظرة المراة المدلة بكبرياء الأنوثة الى كل حب ذليل ؟ ام قد تكون نظرت اليهما كاديبين نظرة الأديبة المعتزة بشرف الثقافة الى كل ادب غير خلاق» ؟ (ص ٢٧) .

ويعلق على ذلك بقوله : «فتور عجيب يزلزل فى نفسك قوائم الايمان بانها كانت امراة : امراة يضطرب بين جنبيها الاحساس الخالد بالانوثة ، وينطلق من وجودها الداخلى نداء الأعماق» (ص ٢٨) .

قد يكون المعداوى على حق فيما استنتجه من صالون مي الادبى ، ومن صلاتها الطويلة والمستمرة مع رجال من صفوة المجتمع المصرى ، وقد نستطيع ان نفسر تصرف مي هذا فى انها لم تجد قلبها فى واحد منهم ، لانه كان مع واحد اخر بعيد ... كل هذا ، وغير هذا ايضا ، جائز .

مي زيادة

ولكن المعداوى لا يكتفى بما ساقه من حديث الصالون الأدبى ومن كانوا يؤمونه من الرجال ، بل ينطلق من هناك ليبحث فى علاقة مي وجبران معتمدا على بعض ما دار بينهما من رسائل ، ومقتبسا فقرات منها : واقتباسه موفق فعلا .

المعداوى يرى ان جبران كان محبا حقيقيا لمي يشعر نحوها بنداء الأعماق لدى الرجل الذى يسعى الى نصفه الآخر ، ولكنه يرى فى مي انها هى التى لم تكن تلك الأنثى الباحثة عن نصفها الآخر فى الرجل ، بل كانت «مقتولة الانوثة» ، كما يقول .

«انوثة مقتولة ولو التمست لها مي الأسباب والمعاذير ، ولو حاولت ان تبرر شذوذها وهى تقول لجبران ... ... ما معنى هذا الذى أكتبه ؟ انني لا اعرف ماذا اعني به ، ولكنني اعرف انك محبوبى ، وانى اخاف الحب ، انى انتظر من الحب كثيرا ، فاخاف الا ياتينى بكل ما انتظر ... كيف اجسر على الافضاء اليك بهذا ... ؟ الحمد لله انني اكتبه على الورق ، ولا اتلفظ به ، لانك لو كنت حاضرا بالجسد ، لهربت خجلا ... ولاختفيت زمنا طويلا ، فما ادعك ترانى إلا بعد ان تنسى» (ص ٣٠) .

اما تعليق المعداوى على هذا فهو كما يلى :

«تزعم مي انها تخشى الحب ، ولو صدقت لقالت انها لا تستطيع ان تتذوقه ، لانها ـ كما سبق القول ـ قد فقدت ابرز الخصائص عند المراة الطبيعية» (ص ٣٠) .

جبران خليل جبران

ويقول : «لقد ارادتها صداقة فكرية ، وارادها ـ اى جبران ـ علاقة وجدانية» (ص ٣١) .

والخلاصة كما يراها المعداوى : «على ضوء هذا كله نستطيع ان نقول ان علاقة مي بجبران لم تكن علاقة قلب ، وإنما كانت علاقة فكر» (ص ٣٥)

وانا اضيف الى ذلك ان علاقة جبران بمي ايضا كانت علاقة فكر ، ولم تكن قط علاقة قلب : فالذى يراه المعداوى فى مي ، ارى مثله تماما فى جبران . ودليلى على ذلك شيئان :

- رسائل جبران الى مي ـ كما جاءت فى كتاب (الشعلة الزرقاء) ، لسلمى الحفار الكزبرى ، والدكتور سهيل بشروئى .
- مذكرات مارى هاسكل ، كما جاءت فى كتاب (اضواء جديدة على جبران) ، لتوفيق الصائغ .

وحسبك من مذكرات مارى هاسكل اعترافها بمحاولاتها العديدة اغراء جبران بها ، ومرة واحدة عرض عليها جبران ان يتزوجها ، لا لانه يريد الزواج حقا ، ولكن لانه يريد ان يرد لها الجميل الذى اضفته عليه منذ شبابه الباكر حتى اخر عمره .

فى رايى ان جبران كان «مقتول الرجولة» ، مثلما يقول المعداوى ان ميا كانت «مقتولة الانوثة» ، وهكذا كانت العلاقة بينهما علاقة فكر لا علاقة حب . ولو لم تكن حقيقتهما كذلك ، لكان من المؤكد ان يسعى اى منهما للقاء الآخر ، لتحويل الحب من مجرد كلام على الورق ، الى لقاء ، فزواج ، كما هى خاتمة كل حب طبيعى . ولقد كانت فرص اللقاء متاحة لكليهما : فى مصر او فى امريكا ، وكانا قادرين عليه لو ارادا ، حتى لو لم يكونا قادرين عليه ماليا ـ وهذا عكس الواقع ـ فان الحب الطبيعى يتغلب على كل العوائق لكى يصل الى غايته . ولكن ثمة شيئا اساسيا كان يعوز هذه العلاقة ، من طرفيها معا ، بين الأديب الكبير والأديبة الكبيرة ، لكى تصبح علاقة حب حقيقى .

فى نظرى ان دراسة المعداوى لهذه العلاقة بين مي وجبران ، دراسة مهمة وفى الصميم . ولكن يبدو ان المعداوى فهم حقيقة احد طرفيها فقط ، وغابت عنه حقيقة الطرف الثانى : فجبران ومي كانا ، كما يبدو ، فاقدين لرجولة الرجل الكاملة ، ولانوثة الأنثى الكاملة : وكلاهما كان يتسلى عن نقصه الكبير بالحديث عن الحب العقلى لا الحب العاطفى ، ولذلك ظل حبهما على الورق فحسب .

الدكتور عيسى الناعورى



في مالطا أدب له جذور عربية

أنطون بوتجيج

رئيس جمهورية مالطا وشاعرها الأول

بقلم : عبدالعزيز السيد المصري

بالرغم من هذا الشعر الأبيض
الذى يكلل راسى
بالرغم من هذه التجاعيد .. والأخاديد
التى تركتها الأيام فى وجهى
لم أهرم
لأنى شاعر
وشاعر الجماهير ..
قلبى غض
وأجنحتى مازالت قوية
قادرة على أن تحلق بى هناك ...
وراء الأفق
انئى أغنى للكادحين والشرفاء
وأغنى للحب .. والأمل
وأغنى لجمال الطبيعة
ولجمال الروح
فأنا شاعر الأشياء .. كل الأشياء
بلا خجل
أغنى للصغير
وأغنى للكبير
وإذا مات جسدى
فستظل روحى حية خالدة
تسكب أنغامى فى ضوء كل فجر
وتغنى للدنيا بمزمارى من وراء زرقة السماء

قائل هذا الشعر ليس غريبا عنا ، إنه يتحدث لغة ثمانين فى المائة من ألفاظها ـ على الأقل ـ ألفاظ عربية ، وبقاؤها حية حتى الآن يعد إحدى الظواهر العجيبة فى البحر المتوسط ، فالمتحدثون بها لا يزيدون عن ٣٠٠٫٠٠٠ نسمة ، ويعيشون فى جزيرة صغيرة تقع فى منتصف المسافة بين شمالى افريقيا وأوربا ، ولم تعش لحظة من تاريخها بمنأى عن أحداث التاريخ وحركته ، فقد استوطنها الفينيقيون ومن بعدهم الرومان ، ثم جاءها العرب بالاسلام واللغة العربية ... لم يتخذوها مستعمرة بل اتخذوها كعادتهم موطنا عمروه .. وعرفت جزيرة مالطا لأول مرة فى تاريخها معنى الاستقلال الاقتصادى .. والاكتفاء الزراعى الذاتى حين فرش العرب وجهها الحجرى الأبيض بالتربة الحمراء ، وانتشرت ظلال أشجار الفاكهة فى كل

مكان ... وامتدت الخضرة الجميلة في معظم بقاع الجزيرة القاحلة ... ولم تعد مالطا مجرد محطات تجارية ، ولا أوكارا للقراصنة من هنا وهناك ، ولا مركزا عسكريا استراتيجيا تتنازعه قوى العصر الكبرى .. وعرفت الاستقرار والازدهار والأمان وترعرعت جذور لغتها السامية في الحديقة العربية ، وامتزجت بها امتزاجا ، وامتدت جذورها عميقة في وجدان السكان الأصليين ، ولم تستطع موجات الاستعمار التي تعاقبت على الجزيرة بعد أفول الشمس العربية في ربوعها منذ سنة ١٠٩٠ م أن تزيلها. وما استطاعت لغات المستعمرين التي فرضوها ـ مستعمرا وراء الآخر ـ لغة رسمية أن تقتلع هذه الجذور أو تضعف تمسك أهلها بها ، بل كانت هذه اللغة هي هويتهم التي بقيت لهم من عبث الاستعمار بكل ما خلفته الحضارة العربية من آثار في الجزيرة .. ظلت تكافح من أجل الحياة منزوية في أحراش الجزيرتين « جوزو ومالطا » ، وفي أكواخ « البدو » الفلاحين ، وفي قيعان مراكب الصيد وفي الحانات المنعزلة بين صخور الشطئان ، وبين آنية المطابخ في بيوت السادة الأجانب .

ولوى الاستعمار وجه مالطا الصغيرة ناحية أوربا ، فاتخذت الحروف اللاتينية أبجدية لها بدلا من العربية ، واتخذ شعراؤها من قوالب وإيقاعات الشعر اللاتيني والأوروبي الحديث قوالب وإيقاعات شعرهم ، ولكن اللفظ العربي .. التركيب العربي .. النكهة العربية لم تمت بعد . وجاهد مثقفو مالطا وأبطال الوطنية فيها من أجل بعث اللغة المالطية وترسيخ قواعدها وتأكيد شخصيتها ، وإثبات وجودها كلغة حية لمجتمع حي .. وبذلت جهود في جميع المجالات منذ ٥٠٠ سنة حتى ازدهرت وصارت لغة ذات أدب وتراث وقواعد وقواميس .. الخ مما شجع الانجليز على أن ينتهزوا فرصة تورط ايطاليا في حرب الحبشة سنة ١٩٣٤ ويعتبروها اللغة الرسمية الأخرى لمالطا مع الانجليزية بدلا من اللغة الايطالية ، ثم صارت فيما بعد اللغة الرسمية الوحيدة لجمهورية مالطا بعد استقلالها .

كان شاعرنا انطون بوتجيج واحدا من شعراء الرعيل الأول الذين أمدوا اللغة المالطية بروحهم الشعري ، وارتقوا بأدائها الفني إلى مستوى اللغات الحية الحديثة ، وأعطوها من ملامحهم الفنية سمة الانسانية والشمول ، والنضال من أجل الحرية والصلاة في محاريب السلام والجمال ، والتفاؤل ورفع رايات الأمل بيضاء بلون الفجر فوق غيوم اليأس والألم .. إلى جانب عالم الانسان الفرد بهمومه وأفراحه وأمانيه ..

تعلم انطون بوتجيج وحصل على ليسانس الآداب من جامعة مالطا ثم درجة الدكتوراة في القانون وعمل مفتش شرطة ثم محاميا ثم اجتذبته الحياة السياسية فانضم لحزب العمل الاشتراكي ومثله في مجلس النواب ، ثم صار نائبا لرئيس الحزب ثم نائبا لرئيس مجلس الوزراء ، ووزيرا للعدل والشئون البرلمانية ثم تولى في أواخر سنة ١٩٧٦ منصب رئيس جمهورية مالطا ولا يزال يشغله حتى الآن .

كتب « انطون بوتجيج » شعره كله باللغة المالطية .. وقد ترجم مجموعة منه إلى اللغة الانجليزية صديقي الكاتب الشاعر المالطي فرنسيس إيبر ، وقبلت هذه المجموعة ضمن سلسلة اليونسكو للترجمات الأوروبية .

أذكر في حديث عابر مع الشاعر الكبير في احدى الحفلات الوطنية الرسمية أنه قال : إنه لم يطل على الشعر العربي الحديث إلا من نافذة جبران خليل جبران .. وأنه يشعر أن بينه وبين روح الشرق نسبا ووشائج قديمة .. وإنه يطرب لكل إيقاع شرقي يسمعه ، ويحس بمزيد من الحرية والأصالة ، وهو ينسج شعره على نوله .. ولذا لم يتردد أن يكتب شعرا على مثال « الهايكو » الياباني عندما اطلع عليه ، و « الهايكو » يعد من أقصر قوالب الشعر الياباني يركز فيه الشاعر تجربة شعرية سريعة قصيرة سواء أكانت مجرد صورة لمنظر طبيعي أو حالة نفسية عابرة منفصلة :

● إنه واحد من شعراء الرعيل الأول الذين أمدوا اللغة المالطية بروحهم الشعري وارتقوا بأدائها الفني إلى مستوى اللغات الحية الحديثة

● تطربه كل الايقاعات الشرقية التي يسمعها ، ويحس بالمزيد من الحرية والأصالة وهو ينسج شعره على نولها

أنا كالفجر
أبتكر كل يوم عالما جديدا
يفيض بالجمال .
فؤادي هو الشرق
وأنت الشمس
تشرقين منه في بهاء
إلهي .. أشكرك
أشكرك على الشياه والحملان
وأشكرك على ... الأفاعي
يأكل الشحاذ
ويلتقط الطير من حوله
فتات خبزه
أيتها الشجرة .. رميت في حضني
ورقة ذابلة
أنا أدركت ...
فهمت يا شجرة
أيتها القوقعة الصغيرة
بالرغم من صغر حجمك ..
علمتنا كيف نعشق بيوتنا
بسط الطفل
أصابعه العشر
ليبدي لي مقدار حبه

كما كتب شعرا متأثرا بقوالب « التانكا » اليابانية أيضا . ومنه قصيدة تحتوي على واحد وثلاثين مقطعا في خمسة أبيات ، في كل من البيتين الأول والثاني خمسة مقاطع وكل من الأبيات الثلاثة الباقية يتكون من سبع مقاطع :

الربيع

أطل الربيع من الشرق
مع نور الفجر
كان يتنفس برقة
فاستحال كل نفس من أنفاسه
إلى وردة

ماريا

بيت ماريا بعيد منعزل
وماريا تقيم فيه وحيدة

أنطون بوتجيج رئيس جمهورية مالطا وشاعرها الأول

لكن الربيع ذهب إلى فنائها
وملأ إصصها بأجمل الأزهار

اجراس مالطا

كنسوة ذوات ألسنة طويلة
تضايق العبـاد
ولكن من يستطيع
أن يقطع لسان أيهن ؟

على شواطىء مالطا

كانت هناك صبية غضة
خلعت بجمالها ومرحها على الشاطىء بهاء
كانت ترتدى « البكينى »
وكان الناس مشمئزين
لكنهم يحملقون

حزمة قصـب

كنت فى الحياة
كحزمة قصب فى مهب الرياح
لم تحطمنى .. لم تقتلعنى الريح ابداً
ولكن لا تسلنى
كم مرة كفاتنى ، ولعقت الرماد

النعناع

دخلت الحديقة مساء
لم أر شيئاً .. كان الظلام كثيفاً
ولكن النعناع
نادانى برائحته العطرة
انا هنا .. بأى شىء تريدنى ان ابوح

الموسيقار

عندما تسكن كل حركة من حولى
ويلفنى الصمت الشامل
يشرع قلبى فى العزف على قيثارته
لأنه موسيقار السكون .

شاعر كل الأشياء

يقول الشاعر أنطون لوبجيج انه شاعر الأشياء كل الأشياء . وهذه حقيقة . فانه في شعره يرصد اللمحات الخاطفة ، ويبرز ما قد تتخطاه العين ويلتقطه كما يفعل ناقد خبير ، ويتصيد الومضات الرقيقة من عمر الأشياء ، ويبرز ذلك كله من خلال احساس دافق بجمال وقيمة الأشياء كل الأشياء ، لكنك تجده دائما وراء كل ومضة او لقطة او لمحة او احساس عابر هو هو بارائه واتجاهاته الفكرية والسياسية والاجتماعية .. وتكاد تلمح وجهه بابتسامته الرقيقة العذبة التى لا تفارقه وراء ذلك كله . ولكنه يستغرقه الحزن فتشعر برطوبة دموعه ورجفة قلبه وشحوب النور فى عينيه ، فى كلماته ، وصوره ، لا تكاد تتوقع أن يجف نهر الدموع ويخمد اوار الحزن وينقشع ليل اليأس ولكنك سرعان ما ترى كل شىء مشرقاً نضراً رقيقاً يتطلع ببسمته الحلوة إلى نور الأمل البهى الرفيق .. ففى قصيدته « وفاة الرفيقة » عن زوجته الأولى التى رحلت إلى السماء وتركت ثلاثة اطفال يقول :

طائران : ذكر « الصفنج » وانثاه
كانا يحلقان فى غابة جميلة
وبينما هما يرفرفان بين الأشجار فى سعادة
وينتقضان ويلتقطان الديدان
ويطعمان فراخهما
طائران سعيدان في ميعة الشباب
استقبلا وليدهما الثالث منذ وقت قريب
يكافحان ليطعما نفسيهما وأفراخهما
منهمكان يستطعمان افراح الحياة
بينما هما كذلك
سمعت فجاة طلقة
لطخت الشظايا الأوراق بالوحل
اصيبت انثى الصفنج في صدرها
وسقطت ميتة في مياه النافورة
تمزق قلب الزوج
ولكنه كان عليه أن يعود ... وحيداً ... الى العش
ماذا يمكن أن يحدث لأفراخه
لو انه تركها وحدها بين اشجار الغابة؟
بكى حتى جفت ماقيه
وصمت عن الغناء
وظل يربي ـ باكياً ـ ثلاثة افراخ
لم يكن في مقدور احدهم أن يفهم أنه فقد أمه !!

وفي قصيدته سان مارك يقول :

حطت حمامة بيضاء على كتفي
وحدقت في عيني
قالت لي : عرفتك منذ ثلاث سنوات
لقد اخذت مع زوجتك صورة تذكارية في
هذا الميدان .. وقد اكلت إذا كنت تذكر
من يدها
فلماذا اتيت وحيداً
ومتها :
فقالت : الى اين انت ماض
انني منطلق هائم مع الايام
وحيداً .. أهيم خلال دروب هذا العالم القفر
ابحث عن حبي الذي لم أجده في أي مكان

ويقول في قصيدته «اقبل الربيع» :

أقبل الربيع وسألني : أين زهور شبابك ؟
أين الفراشات ؟ فين النحل ؟
قل لي : أين احلامك المشرقة ؟
فاجبته :
لم يمل الخريف فى حديقتي بعد
انظر ... كثيرة هي الازهار في جنتي
املأ جرابك

وانثر ازهار الحب في كل مكان
ويقول في قصيدته «في الساحة» :
عندما كنت صبياً
ذهبت الى الساحة
واخذت أتكلم
فقالوا لي : دع الكبار يتكلموا
اسكت .. انك ما زلت صبياً
وعندما صرت كهلا
عدت الى الساحة
اخذت أتكلم .. فلووا وجوههم عني
وقالوا :
دع الشباب يتكلموا
اسكت فانت رجل عجوز
فتساءلت : اذن متى أستطيع الكلام ؟
فردوا جميعاً قائلين
نحن آسفين .. لقد ولدت في غير زمانك
وفي قصيدة «الفجر» يقول :
الفجر يبزغ
انظر فوجه البحر ينور
وشعاع من ضياء يظهر
فوق سحابة حمراء
وتتفقق الورود فى حديقتى
ان الفجر يلتقط براعم البحر والسحب
لكنه يدع ورود حديقتي لي
وفي قصيدة «الدار» نقرأ له :
أملك داراً جميلة
مليئة بالورود
الناس جميعاً يودون استئجارها
بيد اني ساعطيها هبة
عندما تتفتح كل وردة فيها
بلا أشواك
وفي قصيدة «الفانوس» :
كل مساء
والضوء يلفظ انفاسه الاخيرة
والنهار تخور قواه
يأتي «مايسي» بسلمه الصغير
ويشعل تحت نافذتي فانوساً صغيراً
يذوب الظلام
وتخور قواي مع كل نهار
لكنما .. هناك انشودة
تتسلق سلمها الصغير
كل مساء
فتضيء في قلبى فانوساً يبدد وحشته
حزين هو اليوم الذي يتخلف فيه «مايسي»
فلا يشعل الفانوس
وحزين هو اليوم الذي لا تتسلق فيه
انشودة سلمها الصغير
لتبدد من قلبي وحشته .
ويقول فى قصيدة «تنهيدة» :
ياالله
قلب الانسان .. اصلب من الجرانيت
أشد البرونز ...
تسلقت الجبال
لاشعل مصباحاً في فناء معبدك
لكن الأنفاس الباردة ... اطفأت المصباح
اشعله فتطفئه ... أشعل فتطفىء
ضاعت محاولاتي سدى
وساد سلطان الظلام
ياالله
الشمس التي خلقها لتضيء للانسان
قد اخفقت .. كما أخفقت وانا
أشعل مصباح المعبد
ياالله
من اجل قلب الانسان المكدود
اخلق شمساً جديدة .. ابهى ضياء
من تلك التي شاخت وذهب رواؤها
يا الله
لا تسخر مني وتقول
ماذا يريدني أن افعل
هل ارغم الانسان على فعل الخير؟
يا الله
لا اجد الجواب
لكن تنهيدة المرضى والجياع
المكبلين في الأغلال ...
والقتلى الابرياء في حروب مجرمة آثمة
تجعلني أتنهد امامك دون ملل
كالبحر في ليلة عاصفة
التمس السكينة والهدوء
وبعد اخشى أن يطول بى الحديث وانا انتقل معك في حديقة الشاعر الفسيحة المتعددة الأشجار والأزهار والثمار فدعني أعرض عليك الآن مقطوعة صغيرة من شعره كما كتبها هو بلغته المالطية
تورؤ تا مالطا
بليسيم تاً لأديسين
فوين يعيشو شياتين
وهي قريبة جداً من كثير من اللهجات العربية العامية مثل الطرق بتاع مالطا «طرق مالطا» بالاسم بتاع الاديسين «باسماء القديسين» في وين يعيشو الشياطين «فاين تعيش الشياطين»
ارأيت ألم اقل لك من قبل ان الشاعر يتحدث لغة قريبة من لغتك ٠٠؟

عبد العزيز السيد المصرى

● كنت في الحياة كحزمة قصب في مهب الرياح .. لم تحطمني .. لم تقتلعني الريح أبداً .. لكن لا تسألني : كم مرة كفأتني ولعقت الرماد ؟

● دخلت الحديقة مساء .. لم أرشيئاً .. كان الظلام كثيفاً .. ولكن النعناع ناداني برائحته العطرة : أنا هنا .. بأي شيء تريدني أن أبوح ؟

ميشيل خليفي

أول مخرج فلسطيني من الأرض المحتلة

بقلم : سمير فريد

أسبوع النقاد الدولى الذى يقيمه اتحاد نقاد السينما هو أقدم البرامج الموازية فى مهرجان كان . وقد اقيم عام ١٩٨١ للمرة العشرين حيث عرض ٧ افلام طويلة من ٧ دول من بين ٩٩ فيلما من ٢٨ دولة شاهدتها لجنة الاختيار ، وكلها الأفلام الأولى والثانية لمخرجيها حسب قواعد الأسبوع .

وأهم فيلمين عرضا فى اسبوع النقاد العشرين هما الفيلم الألمانى من المانيا الاتحادية «مالو» اخراج جانين ميرافيل ، والفيلم الفلسطينى «صور من مذكرات خصبة» اخراج ميشيل خليفى ، وهو فى الواقع فيلم بلجيكى صور فى فلسطين المحتلة (اسرائيل) ، ولكن مخرجه فضل أن يعرضه باسم بلاده فلسطين .

ومن غريب المصادفات أن يعبر فيلم «مالو» عن المشكلة "يهودية بينما يعبر فيلم «صور من مذكرات خصبة» عن المشكلة الفلسطينية . وان تكون مخرجة الفيلم الاول يهودية ، ومخرج الفيلم الثانى فلسطينياً . أما فيلم «مالو» فيعبر عن «المشكلة اليهودية» من خلال مدرسة المانية تدعى حنا تعيش مع زوجها المهندس فى برلين الغربية ، وتحاول ان تعرف كل شىء عن والدتها «مالو» التى هربت فى الثلاثينات من الاضطهاد النازى ، وهاجرت مع زوجها الى الارجنتين حيث ماتت هناك . والفيلم سيرة ذاتية لمخرجته التى عاشت سنوات الحرب مع اسرتها فى الارجنتين وعادت الى المانيا الغربية بعد الحرب ورغم جودة الفيلم من الناحية الفنية ، إلا انه فيلم ميت يكرر اسطوانة مشروخة عن اضطهاد اليهود فى عهد النازى ، والمؤكد انه لم يكن جديراً بالفوز بجائزة فيبريسى لأحسن افلام البرامج الموازية .

اما فيلم «صور من مذكرات خصبة» فهو احد اهم افلام مهرجان كان ١٩٨١ بصفة عامة ، وليس فقط افلام برنامج أسبوع النقاد . وقد عرض لأول مرة فى مهرجان قرطاج سنة ١٩٨٠ وفاز بجائزة العمل الأول وجائزة النقاد ، وكان اكتشاف المهرجان بحق ، بل لقد خسر المهرجان التونسى بعدم فوز هذا الفيلم بالجائزة الكبرى سواء من الناحية الفنية أم من الناحية السياسية. ففيلم «صور من مذكرات خصبة» يمثل فصلا جديداً فى تاريخ سينما المقاومة الفلسطينية ، انه اهم فيلم تسجيلى فى السينما العربية منذ الفيلم السورى «الحياة اليومية فى قرية سوريا» اخراج عمر اميرالاى عام ١٩٧٢ .

ميشيل خليفى ولد فى قرية يافة الناصرة بالجليل فى فلسطين المحتلة عام ١٩٥٠ هو ظاهرة فى حد ذاته . انه من جيل فلسطينى ولد فى ظل الاحتلال الصهيونى الاستيطانى لفلسطين ، فتعلم العبرية مع العربية منذ نعومة اظافره ، وحمل هوية «اسرائيلية» منذ اصبحت له أوراق رسمية وقد كان المتوقع بالنسبة للسلطات الاسرائيلية انيكون هذا الجيل هو اقل الأجيال الفلسطينية قدرة على مقاومة الصهيونية ، بل لقد كان هذا ما يعتقده بعض العرب ايضاً خارج وداخل الارض المحتلة ، ولكن على العكس تماماً يبدو هذا الجيل من خلال فيلم «صور من مذكرات خصبة» اكثر الأجيال رغبة فى المقاومة ، واكثرها قدرة على المقاومة ايضا . انه جيل يعرف جيداً ما هى اسرائيل وما هى الصهيونية . ومعرفة اسرائيل والصهيونية جيداً تجعل اى انسان فى العالم ، وليس فقط فى فلسطين المحتلة ، معادياً لاسرائيل والصهيونية .

ولقد شاهدت اغلب الانتاج السينمائى الصهيونى الذى صور فى فلسطين وكذلك اغلب الانتاج السينمائي الاسرائيلى ، ولكن المرء لا يستطيع أن يتعرف على «المكان الفلسطينى» إلا فى فيلم ميشيل خليفى . انهم جميعايصورون داخل الغرف المغلقة ، أو فى المعسكرات الحربية ، أو شوارع المدن التى تم بناؤها على اطلال القرى العربية ، ولكننا فى فيلم «صور من مذكرات خصبة» نشاهد لأول مرة الأرض

الفلسطينية وجمالها الطبيعي الخلاب، والعمارة الفلسطينية القديمة. بل ونشعر بايقاع مختلف، واحساس مختلف بالضوء واللون.

ويبدو هذا الأمر للوهلة الأولى مثيراً للدهشة. ولكن الواقع انه أمر طبيعي تماماً. فميشيل خليفي يصور ارضه، وأولئك الغزاة يصورون فى أرض غيرهم والغزاة يشعرون دائما بوعى أو بغير وعى انهم غزاة. و «صور من مذكرات خصبة» هو أول فيلم فلسطينى فى تاريخ السينما. فقبل الاحتلال عام ١٩٤٨ لم يتمكن اى فلسطينى من اخراج فيلم بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، وبعد الاحتلال لم يتمكن اى فلسطينى من صنع فيلم داخل فلسطين إلا ميشيل خليفى مستغلا هويته «الاسرائيلية» الرسمية، وتناقضات الكيان الصهيوني



سحر خليفة فى فيلم ميشيل خليفي

درس ميشيل خليفى بالمعهد القومى العالى لفنون العرض فى بروكسل وتخرج عام ١٩٧٧ بدراسة عن الادب والثقافة عند العرب فى «اسرائيل» وفيلم تجريبى بعنوان «حدود» عن قصة قصيرة للكاتب الفلسطينى اميل حبيبى وأثناء دراسته عمل ميشيل خليفى مساعداً للمخرج الفرنسى روبير حيروتيس فى مسرحية «القصر فى الحقول» التى قدمت على المسرح القومى البلجيكى عام ١٩٧٥ م، وفى مسرحية «السلطة البيضاء» التى عرضت فى باريس فى نفس العام.

وبعد تخرجه، عمل ميشيل خليفى فى التلفزيون البلجيكى مساعداً للمخرج ميشيل جاكار فى فيلم «المناجم» عام ١٩٧٧، ومخرجا لثلاثة تحقيقات سينمائية هى «الضفة الغربية: أمل الفلسطينيين» و«المستعمرات الاسرائيلية فى سيناء» عام ١٩٧٨، و «الفلسطينيون والسلام» عام ١٩٧٩. كما اشترك فى اخراج تحقيق «الحرب فى جنوب لبنان» و «الاشرفية» عام ١٩٧٨. واخرج للراديو البلجيكى ثلاثة برامج عن الموسيقى العربية، ورواية «المراة الثانية» للكاتب الارجنتينى جوليو كورتازار عام ١٩٧٩، واشترك فى اخراج رواية «أرض المنفى» للكاتب البلجيكى بيير ميرتينس فى نفس العام.

وبالتعاون بين خمس شركات صغيرة اثنتان فى بلجيكا وثلاث فى هولندا تمكن ميشيل خليفى من اخراج فيلمه الطويل الأول «صور من مذكرات خصبة» الذى صوره ايف فاندرميرسين ومارك أندريه باتين وقامت بمونتاجه المونتيرة التونسية مفيدة التلاتلى.

وكما ان «صور من مذكرات خصبة» هو أول فيلم فلسطينى يصور داخل فلسطين فى تاريخ السينما، كذلك هو اول فيلم يعرض باسم فلسطين فى تاريخ مهرجان كان. ومن المعروف ان مهرجان كان هو اكبر ميدان تستخدمه الدعاية الصهيونية فى مجال السينما. وقد كان وجود كلمة فلسطين فى البرنامج ولو مقرونة بكلمة بلجيكا حدث هام. والفضل فى ذلك يرجع الى البندقية الفلسطينية التى تفرض الوجود الفلسطينى على عالم لا يعترف إلا بالقوة، ثم الى المستوى الفنى الرفيع للفيلم الذى لم تملك ادارة المهرجان ازاءه إلا ان توافق على رغبة المخرج فى عرض الفيلم باسم فلسطين حتى يحظى جمهور المهرجان بمشاهدة هذا الفيلم الجميل الأصيل.

يبدأ فيلم «صور من مذكرات خصبة» بكتابة أهم تواريخ القضية الفلسطينية فى لافتة واحدة من المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ الى حرب ١٩٧٣ مروراً بفرض الانتداب البريطانى على فلسطين وقرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، ثم انشاء اسرائيل عام ١٩٤٨، وحرب ١٩٤٨ وحرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧.

وهذه اللافتة الموجزة التى تسبق عناوين الفيلم تشير الى موضوع الفيلم فمن خلال التركيز على حديثين طويلين لامراتين من فلسطين قد يبدو الموضوع هو المراة الفلسطينية، ولكن الواقع ان موضوع الفيلم هو القضية الفلسطينية، والأرض الفلسطينية، وما المراة هنا إلا رمز للارض، ورمز للأمومة والخصوبة المتجددة.

وما يؤكد ذلك ان المراة الأولى وهى فرح رومية من يافة الناصرة اى من الأرض المحتلة بعد حرب ١٩٤٨، وان المراة الثانية وهى سحر خليفة من رام الله بالضفة الغربية، اى من الأرض المحتلة بعد حرب ١٩٦٧. وان كلا منهما تقاوم الاحتلال، ولكن بطريقتها الخاصة النابعة من بيئتها والطبقة التى تنتمى اليها والزمن الذى عاشت فيه. وتكمل كل منهما الأخرى على نحو مدهش فهذه عاملة فى مصنع وتلك كاتبة من الطبقة الوسطى. هذه من قرية وتلك من مدينة. هذه مسيحية وتلك مسلمة. هذه فى الخمسينات من عمرها وتلك فى الثلاثينات. هذه تقاوم عن طريق التمسك بالأرض، وتلك تقاوم بالكلمة عن طريق الكتابة.

وليس معنى أن موضوع الفيلم هو القضية الفلسطينية والأرض الفلسطينية انه لا يتناول قضية المراة، وهى هنا المراة الفلسطينية فى ظل الاحتلال ولكنه يتناول هذه القضية فى اطار تناول القضية الأساسية التى

أول مخرج فلسطيني
من الأرض المحتلة


فرح رومية فى فيلم ميشيل خليفي

يعانى منها الانسان الفلسطينى رجلا كان أم امرأة . والحقيقة التى تبدو فى الفيلم أن المرأة الفلسطينية من خلال مقاومة الاحتلال تنهى كل الأوضاع الشاذة الموروثة للمرأة العربية حيث يصبح تحرير المرأة شرطاً للمقاومة ، ويصبح تقييدها تكريسا للاحتلال . ومن الملاحظ أن كلا المرأتين تعيشان بدون رجل .

فالأولى فرح رومية أرملة مات زوجها فى بيروت بعد حرب ١٩٤٨ ، وكان عليها أن تعمل لتربى أولادها . والثانية سحر خليفة مطلقة لم تستطع أن تعبر عن نفسها بالكتابة إلا بعد طلاقها .

تقول سحر خليفة «تزوجت وانا بنت ١٨ سنة ، وطلقت بعد ١٣ سنة وبدأت من جديد . كانت أمنية حياتى أن أعبر عن نفسى بطريقة أخرى . بعد أن طلقت فكرت أرجع للدراسة . دخلت جامعة بير زيت ودرست أربع سنين .. وفى هذا الوقت نشر كتابى الأول . وبعد أن انتهيت من الدراسة نشر كتابى الثانى .. والآن أنا أعمل فى نفس الجامعة ، وقد انتهيت من كتابى الثالث» . وتقول الكاتبة التى أصدرت ثلاث روايات عندما يسألها المخرج من وراء الكاميرا عن المرأة الفلسطينية المناضلة تحت الاحتلال «شو بتقصد بالمناضلة .. اذا كان بدك مناضلة صحيح مش لازم تكون أنا .. أنا لي حياتى العادية لا بأخرج بالمظاهرات ، ولا سجنت ، ولا عملت اللي ممكن أتسمى بيه مناضلة .. نضال حقيقى» . وفى هذا تعبر سحر خليفة بصدق عن شعور الكاتب بالعجز إزاء البندقية .

ويبدو التركيز على قضية المرأة فى الحوار مع سحر خليفة ، وذلك بحكم تكوينها وثقافتها . فالى جانب حديثها عن حياتها الخاصة كمثال على قدرة المرأة العربية على التحرر من سيطرة المفاهيم الموروثة السائدة ، نراها تتحدث فى زهو عن ابنتها التى تدرس طب الأطفال فى لينجراد ، وتشترك مع فرقة موسيقية للشباب فى اعداد أغنية ذات طابع فولوكلورى تسخر من الرجل التقليدى الذى يتعامل مع المرأة مثل الديك ، ولا يترك للمرأة من البيضة إلا قشرتها ، ومن الفرخة إلا ريشتها .

وبقدر ما تمثل سحر خليفة مستقبل الانسان الفلسطينى ، بقدر ما تمثل فرح رومية ماضيه العريق ، وبقدر ما يمثلان معا حاضره المضطرم حيث يواجه هجمة شرسة لم يتعرض لها شعب آخر فى التاريخ الحديث والمعاصر . تغنى فرح رومية لحفيدها «شادى» أغنية فلسطينية قديمة من أغانى المهد ولكن هذه الأغنية تتحول بالتدرج الى أغنية حزينة تندب الأرض الضائعة . وفى مشهد آخر تحكى فرح رومية عن عائلتها المشردة فى أقطار العالم من خلال صور ألبوم العائلة . فهذا فى امريكا وذاك فى كندا ، وهذه فى الأردن ، وتلك فى لبنان . يجسد هذا الحديث «الشتات الفلسطينى» أدق تجسيد .

وفى مشهد من أروع المشاهد فى السينما العربية نرى فرح رومية فى المطبخ تقشر البطاطس ، ومعها ابنتها وزوج ابنتها . يطلب منها زوج الابنة أن تبيع قطعة الأرض الصغيرة التى صادرتها سلطات الاحتلال الاسرائيلية عام ١٩٤٨ . فتقول لا . يرد عليها بأن الأرض ضائعة لا محالة ، وعلى الأقل تستفيد العائلة من ثمنها . تقول لا ، لقد عملت من أجل تربية أولادى ، والآن كبروا وتزوجوا ويعيشون مثل كل الناس . ويرد عليها بأن هذا الوضع استمر ثلاثين سنة ، ومن الممكن أن يستمر ثلاثين سنة أخرى . تقول لا ، ولو استمر ثلاثمائة عام .. لا .. لن أبيع الأرض .. لا يتوقف الحوار إلا عندما تنهيه ابنتها قائلة لا فائدة ، ولا داعى لارهاق العجوز أكثر من ذلك .

لقد قال الملوك والرؤساء العرب ثلاث لاءات ، وقالت فرح رومية مائة لا وهى تجلس فى المطبخ تقشر البطاطس . ولو عاش بريخت ورأى هذا المشهد لانتفض من الفرح فالمقاومة الحقيقية هى مقاومة الانسان العادى وهو يمارس أعماله العادية حيث تصبح المقاومة جزءاً من الحياة اليومية ، وليست ترفاً لاثبات الذات ، أو اخفاء الشعور بالذنب .

ان فرح رومية تملك هذا الحس التاريخى اليقظ بأن الزمن مهما طال لا يجعل الحق باطلا ، ولا يجعل الباطل حقاً . انها تدرك أن الانسان الفلسطينى عاش على هذه الأرض قروناً طويلة ومن يحسب تاريخه بالقرون لا يؤثر فيه عشر سنوات ، أو ثلاثين ، أو ثلاثمائة على حد تعبيرها . وهذا الحس التاريخى سواء كان مدركاً بوعى كامل ، أو دون وعى دقيق ، هو الذى يحمى الانسان الفلسطينى من الفناء الثقافى ، كما تحميه البندقية من الفناء الجسدى وينتهى فيلم «صور من مذكرات خصبة» ببطلته فرح رومية وهى تمارس عملها فى

المصنع ، وتضرب القطن بقوة ، وفى ايقاع منتظم ، وتتوقف الصورة لتركز عليها طويلا .

وتبدو أصالة ميشيل خليفى فى تعامله مع الواقع الفلسطينى الذى يعرضه باعتباره جزءًامنه ، وليس طرفا ينظر اليه من عل فنرى أحد المشاهد يصور فتاة تتجمل وهى تغنى اغنية «غازلاله يا امه بايدى الطاقيه» ، وإزاى يامه ما يلبسهاش» من أولها الى أخرها . ومع استمرار الأغنية ، نرى العديد من اللقطات لفتيات ينتظرن فى الشرفات والنوافذ . وفى مشهد آخر يصور فرح رومية وهى تذهب الى أحد «الشيوخ المباركين» حتى يصنع لها تعويذة تحميها ، وتحمى أسرتها وأرضها . وطوال المشهد نرى لقطات طويلة للأرض على صوت الشيخ ، وهو رجل مسلم يستشهد فى مناجاته بالعديد من آيات القرآن الكريم .

إن أغلب المخرجين العرب وخاصة أصحاب الشعارات الكبيرة والأحاديث الكثيرة يترددون فى تصوير مشهد للعذارى ينتظرن الرجال فى فيلم يدافع عن حقوق المرأة ، أو فى تصوير مشهد تستعين فيه البطلة بالتعاويذ لكى تحمى أسرتها وأرضها فى فيلم عن النضال من أجل حرية الانسان وتحرير الأرض ، بل وفى تصوير امرأة مسيحية تستعين بشيخ مسلم يردد آيات القرآن . ولكن ميشيل خليفى لا يتردد فى تصوير كل هذا ليس فى اطار وصف الواقع ، فنحن بازاء فيلم تحليلى من الدرجة الأولى ، وإنما لانه يسعى لابراز الشخصية الثقافية الفلسطينية بكل جوانبها ، ولأن هذه الشخصية بكل جوانبها وليس بجانب منها فقط ، هى التى تقاوم الاحتلال الصهيونى .

ويبدو هذا السعي لابراز الشخصية الثقافية الفلسطينية أيضاً في المشاهد التى يصور فيها ميشيل خليفي شوارع قرية يافة الناصرة وحقولها ، والفلاحين وهم يعملون فى هذه الحقول ، والمشاهد التى يصور فيها مدينة نابلس حيث تعيش سحر خليفة ، وبناياتها المتميزة فى سفوح الجبال ، وكذلك في المشهد الذى تتطلع فيه اسرة فرح رومية الى التليفزيون يعرض مسلسلا يمثله يوسف شعبان مع تيسير فهمي فى ملابس عربية قديمة ، وفى مشهد العرس الفلسطيني الذى تحضره هذه الأسرة ، والذى يقدمه بكافة تفاصيله وطقوسه،ومشهد زيارة النساء للمقابر فى الأعياد والمناسبات الدينية .

والبناء الدرامي لفيلم «صور من مذكرات خصبة» يوضح طابعه التحليلي فهو يقدم فرح رومية تحكي قصة حياتها على شريط الصوت ، بينما نراها فى حياتها اليومية على شريط الصورة تذهب الى محطة الاتوبيس وتنتظر لتذهب الى عملها . ثم يقدم بعد ذلك سحر خليفة فى منزلها . وبعد تقديم بطلتيه ،وتحديد المكان الذى تنتمي اليه كلا منهما على الشاشة والزمان الذى يتم فيه اللقاء معهما عام ١٩٨٠ ، يبدأ مونتاج متواز طويل بينهما ، ولكنه ليس المونتاج الذى يقارن ،فيقدم لقطة هنا ولقطة هناك ، وانما المونتاج الذى يدرس ويحلل بمنطق جدلي . فقد نستمر مع فرح رومية طويلا ونعود فجأة فى لقطة سريعة الى سحر خليفة . وقد نستمر مع هذه طويلا ، و نعود الى تلك فى لقطة اخرى وهكذا .

إن ما يحكم الانتقال بين لقطة واخرى عند ميشيل خليفي ليس هو منطق الرد ، وانما منطق التعبير عن فكره . فنجد الانتقال من حوار فى سيارة سحر خليفة عن ظروف المقاومة ، الى اغنية «باديك يا أبو القنبره عليش طلقت المره» . ومن فرح روميه تغني لحفيدها فى المهد ، أى العمل فى الحقل . ومن الحديث عن العائلة المشتتة أى العرس الفلسطيني . ومن النساء في المقابر ، الى ابنة فرح روميه تنظف طفلها .

وفيلمنا ليس مزيجا من السينما الروائية والسينما التسجيلية ، وانما هو من هذه الأفلام التى يمكن أن نطلق عليها الى حين العثور على تسمية أفضل بافلام السينما الخالصة . فقد يقال انه فيلم تسجيلي يتقن مخرجه ادارة شخصياته كما يدير المخرج الروائي ممثليه ، وقد يقال انه فيلم روائي يستخدم مخرجه شخصيات عادية بدلا من الممثلين المحترفين . ولكن الابداع السينمائى هنا فى علاقة الكاميرا بما تصوره ، وهي علاقة مباشرة وحميمة ، والحديث عن المخرج بين السينما الروائية والسينما التسجيلية هو نوع من العبودية لتقسيم الاجناس السينمائية ، وهو فى جوهره عبودية للغرب ولمنطق ديكارت .

ويجمع ميشيل خليفي بين فكر المناضل واحساس الشاعر ، والشعر هنا هو شعر اللغة السينمائية حيث يصبح فنان السينما فنانا تشكيليا فى تكويناته واستخدامه للألوان ، وفنانا موسيقيا فى التعامل مع الفيلم كمساحة فى الزمان وفى استخدامه للموسيقى والمؤثرات الصوتية ولحظات الصمت . والموسيقى فى فيلم « صور من مذكرات خصبة » تنويعات على لحن شعبي فلسطيني يعبر عن رؤية الفنان للواقع ، ويؤكد سعيه لابراز الشخصية الثقافية الفلسطينية .

وتبدو شاعرية ميشيل خليفي منذ اللقطة الأولى بعد العناوين ، وهي لقطة «طبيعة صامتة» للخضروات والفاكهة فوق مائدة مطبخ . وفى اللقطات التالية لمنزل فرح روميه من الخارج ، والحياة اليومية فى قرية يافه الناصرة فى الصباح المبكر . وعندما تحكي فرح روميه عن عملها فى إحدى الأديرة قبل أن تعمل فى المصنع ، نرى لقطات للدير ولتمثال العذراء ، تعقبها لقطات للعمل فى المصنع . ومن أروع مشاهد فيلمنا مشهد العمل في الحقل ومشهد اغنية المهد التى تغنيها فرح روميه لحفيدها ، والتى تبدو مثل لوحات رمبرانت . وهنا تبدو الخلفية الثقافية لمصوري الفيلم ، وإن كان من الممكن أن نشاهد مثل هذا التكوين فى لوحات فناني أوربا التى تصور حياة المسيح في فلسطين . ويقدم المخرج أغنية المهد فى لقطتين طويلتين الأولى عامة والثانية متوسطة مع تحول معاني الأغنية .

إن ميشيل خليفي شاعر سينمائى فلسطيني عربي مسيحي يملك من الموهبة ، ومن الاصالة ، ما يجعلنا نامل الكثير فى أفلامه القادمة ، ولعله يفرحنا دائما ، كما افرحنا فى فيلمه الأول . وإذا كان الاعجاب هو الشعور الغالب أمام بعض الأعمال الفنية فان الفرحة هى الشعور النادر : الفرحة العميقة التى تسيطر على كل الوجدان . إن « صور من مذكرات خصبة» عمل لا مثيل له فى السينما العربيــــة .

سمير فريد

العالم في محنة

جمال كناني

لماذا لا يفكر الإنسان المعاصر إلا في الدمار والانتحار ؟!

البشرية فى محنة لأنها تقف على شفا هاوية سحيقة تكاد تتردى فيها لولا أن الله لطيف بعباده فالبشرية تتفنن فى اتقان واعداد وسائل انتحارها وتدميرها لذاتها .

والبشرية فى محنة لأنها لم تقنع بالقنبلة الذرية سلاحاً يفتك بالناس كما فتكت بهيروشيما وناجاساكى ، بل أضافت اليها القنبلة الهيدروجينية ليكون الفتك أشمل والدمار أعم والقضاء أكثر حتمية على أكبر عدد من المخلوقات ..

وليت البشرية اكتفت بذلك كله ولكنها أضافت القنبلة النيوترونية لتصون البيوت وتفنى ساكنيها .. قنبلة رحيمة بالحجارة والأصنام ، تبيد بنى ادم والانعام .

والبشرية فى محنة لان الانسان بما اخترع وما ابتكر قد حرم نفسه حرية اتخاذ القرار فكل من الدولتين الأعظم مثلا تنظر الى الأخرى وتحسب لها ألف حساب قبل أن تتخذ أى قرار له أية صبغة دولية .

ولعل احد اسباب هذه المحنة أن التوازن بين العلم من ناحية وبين الفن والأدب وما اليهما من ناحية أخرى قد اختل تماما فرجحت كفة العلم وشالت كفة الأدب والفن والفلسفة وما اليها ورجحت مع العلوم كفة الماديات وشالت مع الفنون كفة المعنويات والمثل والقيم . وفى عصر العلم الذى يعيشه المجتمع ويعتمد فيه على التكنولوجيا ـ وبالتالى على العلم نفسه ـ يحمل العلماء على اكتافهم اكبر قسط من المسئولية .

العلم نفسه يواجه ازمة ..

وازمة العلم تؤثر على بقاء الانسان مباشرة ، ولها مدلول عميق فيما يتعلق بمعتقداته وحكمه على القيم .

ومن العلماء من ينكر ان هناك ازمة ، ومنهم من ينكر ان العلم يواجه محنة ، وهؤلاء يواصلون عملهم كما واصل غيرهم العمل على مدى نصف القرن الماضى .

علماء امريكا واليابان يزورون المختبرات البريطانية ويبدون إعجابهم بما تتمتع به من هدوء وسكينة واستقرار .. ومن هنا ندرك مدى اختلاف الظروف التى يواجهها العلماء فى مختلف البلاد ..

والمعروف ان مبنى البحوث العلمية فى إحدى الجامعات الأمريكية نسف ودمر ، وان العمل فى بعض المختبرات الامريكية الرئيسية قد تعطل لأشهر طوال .. وان الاضطراب شاع فى اليابان من زمن غير بعيد بعد ان كان العلم فيها يسير قدماً .. وعلى حين أن مرجع هذا الاضطراب ، أو الجزء الأكبر منه هو القلق الذى يملأ قلوب طلاب الجامعات ، وما يدركونه من فشل السياسية والسياسيين ، فانا نرى أن بعض هذا الاضطـراب يرجع الى العلم نفسه بماله من منظمات وأسبقيات اجتماعية .

والملاحظ انه حتى اولئك العلماء الذين يعملون فى هدوء بعيداً عن الاضطرابات ، قد تغيرت اتجاهاتهم نحو عملهم منذ نهاية الحرب بدرجة كبيرة . وعلى الرغم من ان العديد من العلماء لا يناقشون ما يعملون لا اننا نلمح ، على وجه العموم ، بعض التغيير . والسبب الرئيسي هو « القنبلة » .. فمن العلماء من كاد يفقد ثقته التى لا تتزعزع فى قيمة العلم . اما غير العلماء فيتساءلون علنا وبقدر متزايد عن قيمة العلم . وهناك من يذهبون الى ابعد من ذلك ويعترضون على الفكر العقلانى كلية ويلاحظون أن العقل وحده لا يحيط إدراكا بالتجربة الانسانية بكاملها ، وهم لذلك يشجبون العقل وينادون بأن يكون التصوف وحده هو الذى يهدينا خلال حياتنا ويوصلنا الى المستقبل .. ونرى شواهد انعدام الثقة فى العقل ممثلة فى الشعبية التى اكتسبتها الانواع الدنيا من علـــم التنجيم . والدليل على ان هذا الاتجاه المنافى للعقلانية قد اخذ يسود وينتشر هو انه اليوم رائج بين الشباب ومنهم المثقف . كما أن تلاميذ المدارس لا يقبلون كثيرا على المواد العلمية رغم الدور الهائل الذى يلعبه العلم فى الحياة اليومية .

القيمة الفعلية للعلوم

ولما كان أمر القنابل النووية وما يتبعها من تلوث اشعاعى يشغل بال الناس ، فاننا نجد ان الملايين قد اخذت تتساءل عن القيمة الفعلية للعلوم . ولكن حتى اذا صرفنا النظر عن النواحى السلبية والتدميرية للقنابل النووية فاننا نجد أن المبالغ الفلكية التى تنفق على رحلات الفضاء والوصول الى القمر والدوران حول المريخ وغيره من الكواكب والأجرام السماوية تحدونا الى التشكك فى الفوائد التى تعود بها هذه المغامرات على البشر . زد على ذلك ان الناس فى هم وقلق بسبب السرعة التى بها يغير العلم حياتنا ونظمها ونسيجها .. السيارة والطائرة واقراص منع الحمل والكمبيوتر وغيرها تغير تفكيرنا واتجاهاتنا . وهذا التغيير السريع لا يمكننا من الافادة مما نمر به من تجارب .. فالعلم يبدو وكأنه يجردنا من انسانيتنا .. نحن نعيش فى عالم جديد ... له قصصه الأسطورية الجديدة ... اجنة فى انابيب اختبار ، ورجال يستبدلون بالكمبيوتر وغيرهم بالميكروتشب .. والفكر المنطقى المجرد يقضى على الدفء الانسانى والشعر .. فالراديكاليون اليساريون يعتبرون أن العلم وسيلة بعض الحكام لاخضاع الناس ، اكثر منه قوة لتحسين المجتمع وتغييره .

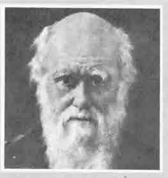
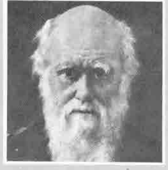
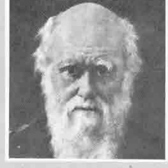
والعلماء ينظرون الى هذه المصائب كل من زاويته . والغالبية منهم تعمل بميل غريزى مبهم غامض دون أن تكون لها القدرة الكلامية والبلاغة اللازمة للرد على نقادهم . ومنهم من يرى أن مناقشة الصعوبات التى يواجهها العلم قد تؤثر على الوضع الراهن وتؤكد الجوانب غير المرغوب فيها . وهم يدينون الفئة التى تبشر بالويل والثبور ، لأن هؤلاء إما يرفضون العلم رفضاً تاماً أو أنهم يدفنون رؤوسهم فى الرمل . والعلماء ينفرون بفطرتهم ممن يكثرون وعظهم ولفت انظارهم الى مسئولياتهم الاجتماعية . ولعل غريزتهم تصدقهم فى ذلك إذ أن العالم لن يحرز تقدما لمجرد أن يضيف طبقة رقيقة من المسئولية الاجتماعية الى كتلة ما حققه العلم . والعلماء على حق فى قولهم إن العلم لكى يزدهر يحتاج الى اكبر قسط من الحرية وهم مع ذلك يسلمون بأن حرج موقف الانسان قد بلغ حداً يستلزم ويتطلب اجراء سريعاً .

وأهم ما فى هذه الاعتبارات جميعاً هو تكوين فكرة سليمة عن قيمة العلم حالياً . وليست الحاجة الى احساس بالقيم أمراً قاصراً على العلم وحده ، ولكنها تنتمى الى درجات المعرفة العليا على وجه العموم . وليس يخطىء من يقول إن للعلم قيمة لأن فى تطبيقه ما يعود على الانسان بفوائد جمة ، لكن هذا القول على صحته وسلامته لا يكفى . فهذه الفوائد معظمها مادى ، مثل تحسين مستوى المعيشة أو التغلب على الامراض . ولهذه الاعتبارات الاسبقية الأولى فى المجتمعات المتخلفة ولكن الحاجة الى تقدم مادى فى البلاد المتقدمة تكنولوجيا ليست ماسة بهذا القدر ، والناس ، وخاصة الشباب يولون اكبر اهتمام لنوعية الحياة من حيث قيمتها الروحية وما فيها من علاقات انسانية .

وعلينا إذن أن نحدد قيمة العلم من ناحية تتعدى الناحية المادية وأن نذكر أن تطوير العلوم التجريبية فى القرن السابع عشر اكتسح الأثر العقـدى السلبى الذى جاء نتيجة لعدة قرون من السكولاستية ، وفتح السبيل امام عصر الفكر والثورة الفرنسية .

وكان افتتاح العالم الجديد رمزاً للتحرير الروحى للانسان ، ولازال من الممكن حتى يومنا هذا ان نمارس شيئاً من النشوة المبدعة التى صحبت ذلك التحرير ... خذ مثلا ذلك الفرع من الطب الذى يتعلق بالجهاز العصبى ... مثل هذا العلم يجب ان لا يقتصر على التحكم فى الامراض العصبية وحسب ، بل يجب ان يمهد لنا سبل فهم الطريقة التى يعمل عقل الانسان بمقتضاها وأن يلقى ضوءاً






داروين

فرويد

على ذات العقل نفسه ... داروين وفرويد كلاهما غير تفكير الانسان تجاه نفسه ، وكلاهما غير احساس الانسان بالقيم ... ومن نتيجة ذلك اننا نستطيع الآن أن ندخل الطبيعة الحيوانية فى حسابنا ونحن نقيم التسامح بين الناس ونرفعه على عمد وأصول جديدة . ولنا أن نتوقع عندما يتقدم علم النيورو بيولوجيا ، اى عندما يتواشج علم النيوروفسيولوجيا وعلم النفس بصورة اتم ، ظهور اضواء جديدة تلقى على طبيعتنا البشرية ، وان تؤثر معرفة الذات على ما عندنا من قيم . فالعلم مفيد إذن من ناحية تعريفنا بذاتنا ومادمنا جزءا من هذا العالم المادى فواجبنا هو دراسة ذلك العالم كله لكى يكون فهمنا لأنفسنا اكمل واتم . وفى هذا تكمن قيمة العلم .

وواجبنا هو أن نسلم باننا لا نستطيع اليوم استعادة او استرجاع تلك الثقة والدفعة التى مهدها العلم للانسان فى الماضى . فعلى الرغم مما هناك من توقعات ، منها مثلا معرفتنا لذاتنا عن طريق علم الأعصاب ، فاننا ندرك أن زيادة معرفة الذات لا تعنى بالضرورة زيادة فى الحكمة . ثم إن هناك ما يخاف من سوء استخدام هذا العلم فى السيطرة على بعض العقول . والهم الذى نحمله ، نتيجة قصورنا وعجزنا ، والذى كتف ايدينا ومنعنا من استعمال القنابل الذرية مرة اخرى هو الخوف وليست الاريحية أو التسامح .

ومن الناس من يسأل عن الحاجة التى يسدها العلم ..

المفروض هو ان تطوير العلوم جاء نتيجة للقدرة على حل المشاكل ... تلك القدرة التى حصل عليها الانسان عن طريق الانتخاب الطبيعى ، لمواجهة الحاجات اللازمة للبقاء .

واذا قبلنا ان الانسان فى حاجة أساسية الى تطوير عقله وتنميته – وإلا تأخر وتراجع عقليا – فان هذه الحاجة نفسها تنتمى الى مستلزمات البقاء ، وبهذا تتصل حاجات الانسان الأساسية بعضها ببعض .

ويجب لكى نوضح قيمة العلم أن نستغنى عن فكرة الفصل بين العلوم البحتة والعلوم التطبيقية وحاجات الانسان وهكذا ... ويجب أن لا يبتعد البحث العلمى وتدريس العلوم عن الحياة بجملتها (أى النواحى العاطفية للفرد والنمو العقلى والنشاط الثقافى والتنظيمات الاجتماعية ...) ونذكر ان اللورد سنو أشار ذات يوم الى ثقافتين مفصولتين فى مجموعتين من الرجال – العلوم والآداب ... وتقول إن الأدهى أن يكون هذا الفصل والانفصام فى داخل الفرد الواحد .. وفكرة المسئولية الاجتماعية فى العلم توحى بان للعلم جزءه التفكيرى وجزءه العاطفى .. فاذا أمكن التوحيد بين الجزئين كان انتساب العلم لحاجات الانسان وآماله أفضل وأتم ، وكانت نواحى تجريد العلم للانسانية اقل ، واصبح العلم قوة واداة لتحسين المجتمع ، والمسئولية الاجتماعية جزءا من كيان العلم نفسه .

وقد تتضح هذه الافكار اذا نحن بحثنا ماهية العلاقة بين العلم والفن .. فهناك أولا مشكلات بينهما مشتركة .. وأزمة العلم ليست إلا جزءا من الأزمة الكبرى للثقافة . كما أن الفن والعلوم المتقدمة والسياسة والاقتصاد لا تنتمى كلها لحاجات الانسان تماما وكلها مفتتة مقسمة . ولهذا اصبح الفن ، شأنه فى ذلك شأن العلم ، بعيدا عن مجرى الحياة ولم يعد كما كان مثلا فى بعض المجتمعات البدائية ، جزءا من التراث لا يتجزأ يتواجد فى كل نواحى الحياة ، وفى كل الامور والشئون اليومية ، وفى الدين . لقد أصبح الفن منفصلا ومتخصصا لا يفهمه إلا القلة ، معزولا فى صالات العرض والمتاحف وصالات الموسيقى (وهو كالعلم يستعمل لأغراض سياسية وأغراض تجارية) .

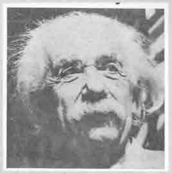
بين العلم والفن

على أن هناك ما يدل على عودة التقارب بين العلم والفن ... هناك بعض معارض الفن / التكنولوجيا وغيرها مما يوحى بان الثقافة تحاول بناء كيان جديد على قاعدة اوسع ، وفى هذا ما قد يؤدى الى تغيير يدخل على العلم نفسه ... ونحن نلمح بعض تباشير هذا التغيير ، فمن الطلاب من يلح فى المطالبة بنوع العلم الذى يتصل بالمجتمع .. وهناك البحوث العلمية فى مشاكل البيئة .

ومن الناس من يفترض احيانا ان الحرص على تجنب التطبيقات الخطرة للعلوم ، قد يحمل المجتمع على فرض قيود بغيضة على البحث العلمى ، لان فى العلوم ناحية لا يمكن توقع نتائجها الفعلية ، وقد نحرم من نتائج بحوث مفيدة بهذا السبب .. فالكنيسة مثلا كانت تؤمن بإخلاص بانها إنما تقوم بواجبها الاجتماعى لما حاولت منع جاليليو من ممارسة عمله . على أن مثل هذا الموقف لا يكون خطرا اذا لم يكن العلم فى عزلة تامة عن المجتمع ، فالمجتمع فى هذه الحالة يقر ويسمح بالقدر من الحرية اللازم للبحث العلمى ويعتبره حاجة من حاجات الانسان الأساسية .

فى القرن السابع عشر ، مر تطور العلم بمرحلة كانت حرجة للغاية ولكنها كانت مرحلة ايجابية تنطوى على ثقة فى العلم . اما اليوم ، وبعد تطور هائل على مدى ٣٠٠ سنة ، فالعلم يواجه مرحلة حرجة اخرى ولكنها هذه المرة مرحلة سلبية تعوزها الثقة فى العلم ومواجهة هذه الأزمة تقتضينا ان نتوقع ان يحتاج العلم الى وسائل جديدة والى اتجاهات جديدة تبلغ من الراديكالية حدا يعادل راديكالية القرن السابع عشر التى واجهت الأزمة حينذاك .. ويجب هنا ان نلجأ الى الطريقة التجريبية ، وقد نصل الى نتائج غير متوقعة عن طريق اعداد مشاريع جديدة للبحوث ورسم دراسات جديدة للطلاب وتنظيم ندوات ومناظرات وغير ذلك .. وليكن بدء الحوار محاولات لبناء اطر عقلانية ، ومناقشة قيمة العلم. ثم علينا بعد ذلك ان نبحث بعض نواحى علم الحياة وتطبيقاتها العلمية ، لأننا لا نستطيع بحث كل النواحى .. فهذا عمل ضخم ..

لنبدا مثلا بالخصائص والصفات الوراثية للمكروبات ، ثم للانسان ، وننتقل بعدها الى بيولوجيا الجزيئات والخلية ، ثم الى الطب . ونحن نبحث هذه الحقول العلمية المختلفة لا لأننا نهتم اساسا بتفاصيلها ــ رغم أن دراسة التفاصيل قد تكون لازمة لما نحن بصدده ــ ولكن لأننا نهتم بما قد تكشف عنه هذه الاعتبارات فيما يتعلق


اينشتاين

بالنظريات العلمية العامة والمجتمع .

وهناك أزمة الضمير التى تواجه العلم والعلماء .. هل نجح العلماء فى حل هذه الأزمة يوم اتفقوا على صيغة قسم أو يمين جديد اقرها الإتحاد البريطانى لتشجيع العلوم فى اجتماعه السنوى الذى عقد فى عام ١٩٧٠ .. وهاك نص اليمين :

«نقسم بوصفنا علماء مسئولين اجتماعيا بأن لا نخفى على الناس اية معلومات تتعلق بالطبيعة العامة للبحوث التى نجريها او عن استعمالاتها الخطرة» .

على ان من العلماء من يرى ان هناك من المواقف ما قد يرغم العالم على إخفاء نتائج بحث من بحوثه اذا رأى أن للنتائج مدلولات خطرة او ان فيها مثارا للنزاع .. ويعارض هذا الرأى فريق يقول بأن ما يخفيه أحد العلماء اليوم قد يكشفه غيره وينشره غدا .. فلا داعى اذن لاخفاء النتائج بل الواجب ان تنشر على الملأ .. ويذكر الناس المشكلة التى واجهها عالم الفيزياء المجرى زيلارد ، احد من اكتشفوا أهمية فلق الذرة ، والاشعاع الذرى ، فلجأ الى صديقه اينشتاين وطلب منه ان يعلم الرئيس ايزنهاور بالأمر حتى لا يكون للألمان السبق فى اختراع قنبلة ذرية يكون فيها هلاك العالم او إذلاله ... ترى هل كان العالم المجرى على حق فيما فعل ؟ الم تكن نتيجة عمله ضرب هوريشيما وناجاساكى بقنابل الأمريكيين الذرية ؟ وهل هناك فرق اخلاقى او مادى بين قنبلة ذرية يلقيها الأمريكيون واخرى يلقيها السوفييت أو غيرهم ؟

يجب ان نذكر أن العالم قد لا يكون كفوا لما يخترع .. قد يخترع ماردا ويعجز عن وضعه فى قمقم ... الاختراع قد يكون اكبر من المخترع ، والعلم اقوى من العلماء مجتمعين . ونعود الى صاحبنا زيلارد ونقول إنه كتب فى يوم ٢ فبراير ١٩٣٩ لصديقه البروفسور جوليو كورى الفرنسى مقترحاً أن يعقد علماء الذرة اتفاقية ثورية مبتكرة تلزم كل من يوقع عليها بالا ينشر اى كشف جديد يحققه فى مجال الانقسام النووى لليورانيوم . وكان ذلك فى أعقاب ما جرى فى ميونخ ، وهتلر فى اوج قوته وجبروته يدق طبول الحرب ...

وحدث ان نشر بعض العلماء إذ ذاك ما يدل على ان ذرة اليورانيوم يمكن فلقها وحذر زيلارد من عواقب التفاعل المتسلسل ومن انه يوصل حتما الى قنبلة ذرية بالغة الفتك والخطورة وهكذا نجد ان عالما نوويا من وزن زيلارد ومكانته قد عبر عن حلم رجل الشارع الذى يطمع فى فرض موراتوريوم على العلم والحد من نشاطه .

أسئلة تشغل بال العلماء

على أن ما تلا ذلك من «يمين» أعده العلماء كما ذكرنا يدلنا على ناحية من نواحى الأزمة التى يواجهها العلم . ثم إن فرض موراتوريوم على العلم يعتبر اليوم ، كما كان يعتبر من قبل . امرا غير واقعى وغير عملى ، إذ يستحيل فرضه إلا اذا اوقفت الحكومات والمؤسسات كل ما تقدم من عون مالى للبحوث والعلماء ... وهل توجد اليوم فى العالم حكومة مهمة تقدم على ذلك والعالم فى قبضة سباق التسلح ؟ والمفروض ان العالم الذى يسعى الى اضافة جديدة الى العلم لا يمكن ان يقبل مختارا ان يفرض موراتوريوم على عمله ..

على ان فكرة الموراتوريوم الذى يقترح البعض فرضه قد تحتوى فى طياتها على بذور فكرة أخرى قد تكون اقرب الى حيز



التنفيذ .. وتعنى بذلك فكرة اتفاقية اختيارية تبرم بين العلماء .. لأنه اذا جاز للعالم أن يعبر عن دخيلة ضميره فلابد وان يكون التعبير تلقائيا صادراً عن محض اختيار العلماء انفسهم وهنا يتساءل أهل الشك : هل يمكن التبشير والتأثير على العلماء وهم كتلة واحدة ؟ وهل العلم قادر على أن يخلق فى العلماء احساسا جماعيا بالمسئولية ؟ وهل يمكن للعلماء مجتمعين أن يقبلوا الأحكام الأخلاقية التى يفرضها عليهم مركزهم فى هذه الحضارة ؟

هذه أسئلة تشغل بال العلماء ، ولا تسمح لبعضهم بنوم هادىء ... ويمكن أن نقسم هذه الأسئلة الى قسمين يشغل كل منهما ناحية مختلفة من نشاط العالم وشخصيته ، رغم أن كلا منهما ينتمى الى الضمير الأخلاقى .

فالقسم الأول من هذه الأسئلة يتعلق بوجه عام بموضوعات «إنسانية» والثانى يتعلق بما نسميه التمامية الخلقية .

فالناحية الانسانية تتعلق بموقف الانسان من كفاح الشعوب المستمر للتفوق على غيرها وخاصة فى القدرة على شن الحروب . وعلى العالم أن يوازن بين شعوره بالوطنية وبين احساسه بالانسانية الكونية فاذا كان هناك ما يخصه هو اكثر مما يخفى غيره فهو شعوره كعالم بانه ينتمى الى عشيرة دولية .

أما الناحية الثانية ، ناحية التمامية الخلقية ، فهى تنبع من ظروف العمل التى يفرضها العلم على من يزاوله ، فالعلم يبحث عن الصدق والحقيقة لا ينتهى ، وعلى من يكرس حياته للعلم أن يقبل قيوده الصارمة ، وعليه ان لا يخفى اية حقيقة لأى سبب كان ولأى غرض ما يكون ، وعليه ان لا يفرق بين الهدف والوسيلة فالعلم لا يعترف إلا بالصدق والحقيقة وهو لذلك يرفض الوسائل الملتوية التى يلجا اليها بعض الحكام الذين يستعملون وسائل غير مشروعة بحجة انهم يحققون بها أغراضا نبيلة .

ويندر ان نجد بين الناس عاقلا متحضرا يرضى مختارا ان يشن على غيره حربا نووية .. أو حربا يستعمل فيها قنابل النابالم أو الصواريخ الموجهة ، ولكنا نعرف ان الكثير من الحكومات تشجع تطوير هذه الأسلحة لأن واجبها نحو شعوبها يقضى عليها بذلك . لهذا نجد ان رجل الشارع يتمنى لو ان العلماء احتفظوا لأنفسهم بما يكشفون من اسرار رهيبة وهو يعلم أن رئيس حكومته مغلوب على امره لأن مهمته الأولى هى حماية الشعب .

ومن العلماء من يرى ان الواجب الوطنى يقضى باطلاع رئيس الدولة على كل سر يكشف ، ولرئيس الدولة أن يتصرف فى ضوء ما يعرف من ظروف وبما يضمن مصالح بلاده . ومن الواضح إذن ان العالم الذى لا يجد من ضميره وازعا على اجراء البحوث التى تساعد مجهود بلاده الحربى ، يجب أن لا يقبل القيام بأى جزء من هذه البحوث . واذا كان العالم ممن يكرهون الحرب ويشجبونها فواجبه هو أن لا يقبل اى منح أو مكافات تقدمها اية هيئة عسكرية . ونحن نسلم بان هذا عسير تنفيذه وخاصة فى بلاد مثل روسيا أو الولايات المتحدة حيث تتولى الدوائر العسكرية تحويل البحوث الفيزيائية كلها إما بطريق مباشر أو عن طريق غير مباشر .

ولعل الوقت قد حان للوصول الى طريقة يمكن ان يفصل بها العلم عن الحكومة فصلا يكاد يكون تاماً فى جميع انحاء العالم . والذى نعنيه هنا هو فصل من نوع الفصل بين الحكومة والكنيسة مثلا ... وعندنا على ذلك مثل كابتزا الذى رفض أن يمتثل لأوامر ستالين فى روسيا وماكس فون لاو الذى رفض العمل من اجل ألمانيا الهتلرية .

وهذا الفصل بين السلطتين ـ سلطة العلم وسلطة الحكومة ـ يعنى حتماً استبدال السياسات الوطنية بسياسات دولية يناقشها العلماء ثم يضعون صيغها التى يتفقون عليها . والأمل هو أن يكون حكمهم صائبا ، وكل حكم فى هذه الحياة يحتوى على تقدير صامت للقيم الانسانية والاجتماعية ، ولن يستطيع ممثلو العلم أن يتخلوا عن ذلك . ولسنا نضمن أن ينجح العلماء فى التوفيق بين العلم والانسانية ولكن الوقت قد حان لأن يواجه العلماء التزاماتهم الأخلاقية .


ستالين

هتلر

جمال الكنانى



انطلاق

شعر: شهاب غانم

اريـــد البـــكاء
فيمنعي الخوف .. لا الكبرياء
وفي اضلعي جبل من شـــقاء

●

اريـــد الســؤال
ولـــكن محـــال
لأن الظـــلال
تصيخ الى كل قيـــل وقـــال

●

اريـــد التنفس والانطلاق
والا فبعض هـــواء يطـــاق
فقـــد حز في لحم روحي الوثاق
وكـــدت اموت من الاختنـــاق

●

اريد ولو لحظـــة من ســـلام
واحـــلم بالنور يولد بين الركـام
بصيصـــا ..
فغيضا يمزق حولي ستور الظلام
فاحظى بقهقهـــة في القتـــام

●

اريـــد ولو لحظة من امـــان
اريـــد .. ويهزأ منى الزمـــان
ويغرز بين ضلوعي السنان

●

اريـــد الذهـــاب
ولكنه مثـــل لمع السراب
وامنـــع من ريشـــة فى عقـــاب
فقـــد اوصـــدوا ألف باب .. وباب

●

اريـــد الرحيـــل
فكيف الســـبيل ؟
وفي كل ركن تـردى قتيـــل

●

اريـــد
ولكن .. ولكن .. ولكن ..
اريـــد الخـــلاص
ولو دكني وابـــل من رصـــاص

سوق الفن نحو أزمة عالمية

فشلت محاولة استدراج ثروات العرب والشرق عبر سوق الفنون الإسلامية

رسالة باريس

من : عبود عطية

في سنة ١٨٢٥ ، تزوج احد الموظفين في مكتبة قرطاسية في باريس ، ويدعى « جان دوران » من صاحبة المكتبة الآنسة « روبيل » وخطر على باله ان يضيف الى بضاعته بعض المواد التي يحتاجها الرسامون ، مثل الاقمشة ، الدهان ، الريش الخ ... فكانت مناسبة لان يتعرف على الكثيرين منهم الذين كانوا يعطونه بعض لوحاتهم مقابل المواد التي كانوا ياخذونها منه وبسرعة كبيرة ، اتبع نفس النظام ثلاثة من اصحاب المكتبات القرطاسية في باريس ، صحيح ان هذه اللوحات كانت تباع باسعار بخسة جدا ، وكانت تؤجر في غالب الاحيان ولا تباع ، ولكن خطوة « جان دوران » كانت نقطة الانطلاق في تاسيس نظام تجارة الفن المعاصر . هذا النظام الذي سيضيف الى الذهب والنقد النادر الفن الذي اصبح بدوره نقدا نادرا ، وجزءا مهما من اقتصاد القرن العشرين واليوم ... ؟



قطعة من الفن الاسلامي من الهند، عرضت في أشهر مزاد في العالم

● العرض بدأ يفوق الطلب ، وبعض الأعمال الهامة لاتجد من يشتريها

● فشلت محاولة استدراج ثروات العرب والشرق عبر سوق الفنون الإسلامية



أغلى لوحة رسمت فى القرن العشرين .. بيكاسو بريشته ..
واللوحة ثمنها خمسة ملايين و ٣٠٠ الف دولار .

بيعت ، خلال شهر ايار من العام الماضي ، مجموعة لوحات حديثة حطمت ارقاما قياسية عديدة : «جولييت ومربيتها» للانكليزي «تورنر» حصلت على اغلى سعر دفع مقابل اية لوحة فى التاريخ : ٢٦ر٤٠٠ر٠٠٠ فرنك فرنسي (حوالى ٤ر٦ مليون دولار) . « حديقة الشاعر » «لفان غوخ» بيعت بـ ٢١ر٤٠٠ر٠٠٠ فرنك فرنسي لتصبح اغلى لوحة من الانطباعية الجديدة . لوحة اخرى لبيكاسو وجدت من يشتريها مقابل ١٢ر٠٠٠ر٠٠٠ فرنك واصبحت بذلك اغلى لوحة رسمت فى القرن العشرين . وخلال صيف هذا العام تحطمت الأرقام القياسية المدفوعة لاعمال بعض الرسامين مثل فرنان ليجيه سيسلي ، راوول دوفي ، بالتوس وبيكاسو . كل هذا يوحي بان سوق الفن بات فى عز ازدهاره . ولكن ..

صالات العرض

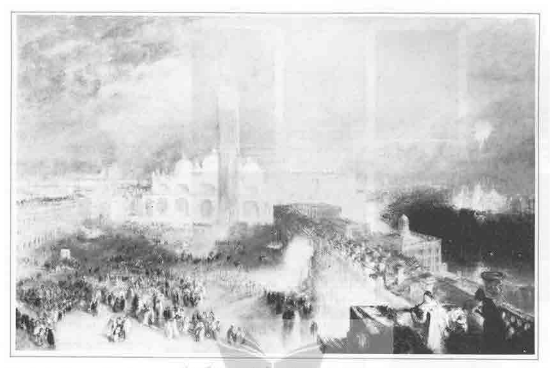
لجس نبض سوق الفن ، وللحديث عن ازدهاره وازماته ، لابد من العودة الى نقطتي انطلاق مترابطتين :

اولهما : نظام صالات العرض التجارية ، عندما تقيم صالة عرض معرضا لفنان معاصر تاخذ بالاضافة الى العمولة المالية على المبيعات ، عددا معينا من اللوحات اذا كان هذا الرسام جديدا . المهم فى هذه الناحية . انه عندما تتبنى صالة عرض معينة رساما ما ، تقيم له اكثر من معرض ، واحيانا تلزمه بعقد يمنعه من التعامل مع غيرها فى بلدها . أي انه مع الوقت ، تصبح هذه الصالة صاحبة عدد من لوحات هذا الفنان . ويجب ان تبيعها والمعروف انه كى تباع اللوحات باسعار مرتفعة ، يجب أن تكون نادرة . أي بات على الصالة تحويل ما تملكه إلى نادر . الامر ليس صعبا : فى الموسم التالى تتبنى الصالة رساما جديدا ينتج بشكل مختلف . أي تساهم فى خلق مدرسة فنية جديدة . كي تصبح اللوحات المجمعة لديها منتمية الى مدرسة قديمة . لكنا نعرف أن الانطباعيين احتاجوا الى عشرات السنين كي يتم الاعتراف بهم كرسامين كبار . « الفن النظرى » لم يحتج الى اكثر من ٦ اشهر كي يصبح مدرسة رسمية . « والواقعية الدقيقة » اصبحت مدرسة عالمية خلال بضعة اسابيع فقط . حتى المتاحف التى كانت ما تزال متاخرة عن اللحاق بالسوق ، بدأت تساهم بشكل فعال واكثر من صالات العرض ، فى تتويج بعض الرسامين .. متحف الفن الحديث فى نيويورك بات ينظم « معارض شاملة » تدعى « اعادة رؤية » لرسامين شباب . مثل المعرض الذى اقيم سنة ١٩٧٠ للرسام فرانك ستيلا . ولم يكن الرسام قد بلغ انذاك ٣٤ عاما. هذا التسارع ، كان ولابد من ان يؤدى الى ازمة ولكن كي تكون الازمة حقيقية يجب ان ترافقها ازمة توزيع .

سقوط الأسعار

اما النقطة الثانية فهى العرض والطلب ، فمبدأ سوق الفن لا يختلف عن غيره : عرض وطلب . وكي تستمر اسعار الأعمال الفنية فى الارتفاع يجب أن يبقى العرض دون الطلب والمثال الاوضح هو بلا شك الأسعار المدفوعة للوحات بيكاسو . فالمعروف أن بيكاسو ترك وراءه اكثر من ١٣ الف لوحة ومنحوتة . ومع ذلك لا توجد فى باريس كلها سوى ما بين ٦ و ١٠ صالات عرض تملك اعمالا لهذا الرسام ، ومن بينها لا توجد سوى ثلاث صالات فقط تملك لوحات مهمة من صنعه . فى حين ان الاكثرية الساحقة من اعماله مخباة فى خزائن المصارف السويسرية والامريكية .

ولكن الحفاظ على التوازن بين العرض والطلب لا يخضع دوما لمشيئة التجار او الهواة . ففى سنة ١٩٧٤ ، كان سوق الفن اول ضحايا الازمة الاقتصادية التى وقعت فى الغرب . والسبب هو ان هذه الازمة اثرت على القوة الشرائية عند الهواة الذين هم فى غالب



جوليت ومربيتها للفنان الانجليزي « تورنر » ـ اغلى لوحة في التاريخ ـ ثمنها ستة ملايين و ٤٠٠ الف دولار

الأحيان رجال اعمال ، واصحاب اموال مستثمرة . فقد توقف هؤلاء الهواة عن الشراء لفترة ، فسقطت الاسعار .

وتراوح السقوط ما بين ٣٠ و ٥٠ في المائة ، وطال كل الفنون من الكلاسيكية حتى الحديثة مرورا بالانطباعية وغيرها ، ولكن سقوط الأسعار في السوق يعين هبوط قيمة المجموعات التي يملكها الهواة بنفس النسبة .. وهكذا وجد الهواة انفسهم مجبرين على الشراء ، على الأقل للحفاظ على قيمة ما يملكونه . وبالرغم من ذلك ، فان اثار هذه الازمة ما تزال واضحة المعالم على السوق حتى اليوم !

مؤشرات المستقبل

والسؤال المطروح الان : وغدا ماذا سيحدث ؟

لاستكشاف وضع سوق الفن في المستقبل القريب ، لابد من العودة الى بعض المؤشرات الحالية ، إن كانت هذه المؤشرات توحي بان الطلب سيفوق العرض . فلا خوف عندها على وضع هذا السوق . ولكن إن كان العرض سيفوق الطلب ، فان السقوط سيكون عندها اكيدا . وقد يصعب الآن حسبان نتائج هذا السقوط ، ومعرفة الدرك الذي سيصل اليه .

وإذا ما نظرنا إلى مؤشرات الأزمة لوجدنا أن :

١ ـ عند افتتاح « مركز جورج بومبيدو للفن والثقافة » ، كان اكثر من ٤٥ تاجرا فرنسيا قد استاجروا صالات عرض في الشوارع المحيطة بالمركز ، لانهم اعتقدوا بان وجودهم بالقرب من هذا القطب الثقافي سينشط اعمالهم . ولكن الرياح جرت بمالا تشتهي السفن ، فاضطر بعضهم لاعلان افلاسه ، وانسحب بعضهم من الميدان قبيل وصوله الى حافة الافلاس . من هذه الصالات يمكننا ان نذكر « لوبالكون دي زار » ، التي قدمت بضجيج كبير معرضا جماعيا لسبعة رسامين من امريكا اللاتينية ، وبعد انتهاء المعرض باسبوع ، تحولت صالة العرض الى ... مطعم . واليوم ، لا يمكننا ان نعدد أكثر من ١٥ صالة عرض تمكنت من النجاة وبقيت في المنطقة المذكورة .

٢ ـ في « شارع السين » (وول ستريت الفن في باريس) ، بدا الركود يظهر بشكل واضح .. السيدة ليليان فرانسوا ، صاحبة الصالة التي تحمل نفس الاسم ، اكدت بانها دفعت ١٣ فرنكا فرنسيا فقط كضريبة دخل عن فصل الشتاء المنصرم . بالرغم من انها لم ترفع اسعار معروضاتها الغرافيكيه والليتوغرافية منذ عامين . هذا وشهد الشارع المذكور والاحياء المحيطة به في الضفة اليسرى من باريس ، افلاس خمس صالات عرض خلال الموسم الماضي ..

٣ ـ تتوقع دار المزاد العلني البريطانيـــة « سوثبي » اذ تبلغ مبيعاتها حتى نهاية العام الحالي ٣١٧ مليون ليرة استرلينية ، اى بزيادة ٣٤٪ عن العام الماضي الامر نفسه ، تقريبا ، ينطبق على دار المزاد العلني كريستي التي تتوقع أن تبلغ مبيعاتها هذا العام ١١٧٫٥ مليون ليرة استرلينية ، اى بزيادة ١٦٪ عن العام الفائت . وإن كانت هذه الأرقام تبعث السرور في قلوب المسؤولين في هاتين المؤسستين ، فانها تبدو للعديد من المراقبين خطرة وملغومة . وذلك لسببن :

● هذه الأرقام تفضح ضخامة الكميـــات المعروضة للبيع . وتدل على ظهور اختلال بين العرض والطلب .

● هذه الأرقام تحوي ايضا الأسعار التي دفعها اصحاب المجموعات لاعادة شراء مجموعاتهم . مثل ما حدث عند « كريستي » خلال مبيعات شهر تموز من هذا العام ، والتي كانت نتيجتها في غاية السوء ، اذ ان اكثر من ٥٠٪ من اللوحات المعروضة للبيع اضطر اصحابها الى اعادة شرائها ، لانها لم تجد من يدفع مقابلها الحد الأدنى المطلوب . ومن جملة



Myles Birket Foster, R.W.S., *The Ferry*, one of a pair, both heightened with white, signed with monogram, each 17·5 by 12·5 cm.







Sir Edward John Poynter, Bt., P.R.A., H.R.S.A., R.W.S., *The Princess and the Frog*, signed with monogram, 58·5 by 43 cm.



Helen Allingham, R.W.S., *Gathering Firewood*, signed, 31 by 43 cm.

Charles Edward Wilson, *By the Cottage Door*, signed and dated 1904, 53 by 37 cm.



Buddig Anwylini Pughe, *The Nurse*, heightened with bodycolour, signed and dated 1896, inscribed on a label on the backboard, 62 by 81·5 cm.

Edward Killingworth Johnson, R.W.S., *The Arrival*, heightened with bodycolour, signed and dated 1878, 48 by 76 cm.



Myles Birket Foster, R.W.S., *A Village near Witley, Surrey*, heightened with bodycolour, signed with monogram, 23 by 33 cm.

Edward Robert Hughes, R.W.S., *A Viking*, heightened with bodycolour, signed, inscribed and dated 1903 on a label on the backboard, 42·5 by 32 cm.

George Goodwin Kilburne, R.W.S., *The New Frock*, 28 by 24 cm.

صفحة من كتالوج مزاد « سوزي » الذي تم فيه بعض الصفقات الخيالية

اللوحات التى لم تبع بعض القطع الهامة مثل لوحة تمثل الملكة « ماري ـ انطوانيت » رسمتها « فيجيه ـ لوبرون » ، وبعض رسوم « جان فوكيه » .

٤ ـ الجزر الياباني : حتى سنوات قليلة مضت ، كان اليابانيون فى عداد زبائن الفن الأوربى المهمين . ولكن بعد ازمة ١٩٧٤ بدا اليابانيون انسحابهم التدريجي ، ولاول مرة ظهروا كباعة وليسوا كمشترين . خلال معرض « بال » للفن الحديث فى العام الفائت اقتصر حضور اليابان على ثلاث صالات فقط . وفى سوق الفن المعاصر فى باريس من نفس العام تمثلوا بخمس صالات فقط ، الامر ملفت للنظر بشكل خاص بسبب حضور اليابانيين القوى الذى اعتادته المعارض الاوروبية فى الماضى .



ضرائب على الفن

٥ ـ الا ان اهم مؤشر لهذه الازمة ظهر فى باريس خلال شهر اكتوبر من هذا العام ، عندما تقدم الوزير الفرنسي « لوران فابيوس » بمشروع قرار تعتبر بموجبه الأعمال الفنية من ضمن الثروات الخاضعة للضرائب .. صحيح ان مشروع القرار هذا قد الغي بتدخل من الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران شخصيا ، ولكن الحملة العنيفة التى خاضها تجار الفن والمعارضة اليمينية عبر وسائل الأعلام فضحت اكثر من عيب فى وضع سوق الفن فى باريس . كما ان هزيمة الوزير « فابيوس » لم تكن ساحقة ، اذ استطاع فرض قيدين جديدين على سوق الفن :

● رفع الضرائب على سماسرة ، المزاد العلني بنسبة ٥٠٪ ودفعة واحدة .

● منع كل بائعي الانتيكات والأعمال الفنية من قبول ثمن اية قطعة فنية نقدا ان كان هذا الثمن يتجاوز مبلغ ٥ الاف فرنك فرنسي . واجبار المشترين على توقيع شيك بالمبلغ لتسهيل مراقبته من قبل السلطات . وهذا يعني انه بات من الممكن ان يبيع الهاوى وهو مجهول ، ولكن من المستحيل شراء قطعة فنية ذات قيمة كبيرة دون الافصاح عن هوية المشترى ، وبالتالى لفت الانظار الى ثروته فى فرنسا الاشتراكية . وهذا امر قد يدفع بالعديد من الهواة الى الابتعاد عن هذه السوق الملغومة . مما يصيب التوازن بين العرض والطلب باختلال كبير . هذا الاختلال ظهر بشكل واضح فى تصريح لصاحبة مخزن الانتيكات « ليتي » فى باريس ، حيث لا توجد اية قطعة سعرها اقل من ١٠ الاف فرنك ، اذ قالت : « انى لم ابع اية قطعة منذ ثلاثة اشهر .. وللاثبات ، الامر بسيط : لم ادفع اي فرش كضرائب » .

التهريب إلى الخارج

٦ ـ الصحف الفرنسية باسرها بدات تتحدث عن تهريب التحف والأعمال الفنية الى خارج فرنسا . خاصة بعدما شددت المتاحف الفرنسية فى فرض حظرها على الاعمال الهامة ومنعها من الخروج من البلاد . ولكن الهواة الذين تمكنوا من تهريب مجموعاتهم من فرنسا والتجار الذين بدءوا يعتمـــدون على الزبون الرئيسي المتبقى ، اى الزبون الامريكى ، اصبحوا اشبه بمقامرين منجرفين فى لعبة خطرة ، وذلك لسببين :

● اضطراب السوق الامريكى . صحيح ان نيويورك هى المدينة التى تعرف اكثر من غيرها تحطيم الأرقام القياسية فى سوق الفن . ولكن الصحيح ايضا ، هو ان السوق الامريكى هو الاقل خضوعا للمنطق والقوانين . العالم باسره يتذكر ما حدث فى اواخر العام الماضى عندما اعلن متحف « ويتني » ، ومن دون اية مقدمات ، عن شراء لوحة لجاسبر جونس بمبلغ مليون دولار . وهو اغلى سعر دفع لاية قطعة فنية ما يزال صاحبها على قيد الحياة . وكان السوق الامريكى اراد وضع هذا الرسام ، وفجاة ، فوق شاغال ودالى وامثالهما . الأمر الذى علق عليه « جاسبر جونس » نفسه بالقول : « انها دعاية .. ليس لها اية علاقة باللوحة » . من ناحية اخرى ، نرى ان السوق الامريكى لم يرفع قط من قيمة اعمال : « فرنسيس بيكون » و « دايفيـــد هوكني » و « اندى وارهول » بنفس المستوى خلال العامين الماضيين . هذا اذا تجاهلنا الهمس الذى يدور فى باريس حول سقوط اسعار لوحات اندى وارهول .

● ارتباط الهواة الامريكيين بوضع الدولار

● الاضطراب يقلّص عدد المشترين للوحات في فرنسا

بنسبة الفائدة المدفوعة عليه . ان كان الفرنسيون يفضلون بيع لوحاتهم لأمريكيين ، وقبض قيمتها بالدولار . خاصة بعد سقوط الفرنك الفرنسي . فمن الغباء التوهم بان الاثرياء الأمريكيين سيرمون بدولاراتهم فى سوق الفن من دون تفكير ، فى حين ان المصارف باتت تعرض فوائد تتجاوز الـ ٢٠٪ ، وارتفاع اسعار الفائدة على الدولار الأمريكى ، سيجعل من عائدات الودائع فى المصارف اضمن واكبر من عائدات الاستثمار فى الفن . وسيقلص عدد الزبائن فى السوق .

سوق للعرب

وبما ان هذا التحقيق موجه اساسا الى القراء العرب ، تجدر الاشارة الى بعض نقاط علاقتنا بالموضوع . وهى علاقة اكبر مما حاول البعض ان يظهرها حتى الآن .

بعد ازمة ١٩٧٤ ، انتبه تجار الفن فى اوربا الى ان العرب والايرانيين باتوا يملكون ثروات طائلة فحولوا قطع الفن الاسلامى التى كانت تباع كمتفرقات وفى مخازن قليلة ، الى سوق منظمة ، لها مزادات علنية خاصة بها ، ولكن ، وان عرفت بورصة الفن الاسلامى صعودا مذهلا ومستمرا حتى عام ١٩٧٩ ، فيجب الاعتراف ان هذا السوق لم يعرف ابدا الاستقرار . ومنذ عام ١٩٧٩ باتت كل الدلائل تشير الى فشل المحاولة الهادفة الى جر الرساميل العربية والايرانية الى هذا الميدان . ويمكننا ان نذكر من أسباب الفشل ما يلى :

● جهل الخبراء الاوربيين بالبضاعة الجديدة . والامثلة هنا اكثر من ان تحصى . منها ما جرى عند « كريستي » فى ٢٤ نيسان من العام الفائت عندما بيعت مخطوطة انجزت فى ايلول سنة ١٦٢٩ وتحوى ٨٠ رسما ، قال عنها الخبير انها مجهولة الصانع . فى حين انها موقعة بيد « محمد صادق بن محمد الحافظ » . وللرسام نفسه مخطوطة مؤرخة ١٦٣٢ ومحفوظة فى المكتبة الوطنية فى طهران وخلال نفس المزاد ، وصف الخبير احدى القطع كما يلى : « .. وعاء اسباني ـ عربي من الفولاذ صنع فى القرن السادس عشر » . فى حين ان القطعة هى من البرونز وصنعت فى ايران فى القرن التاسع . وفى باريس ، بيعت مجموعة من القطع الاسلامية فى ١٨ نيسان من العام نفسه . وجاء المزاد العلنى حافلا بالمفاجات والفضائح . نكتفي هنا بذكر بعضها: خنجر ايرانى من القرن التاسع عشر كتبت عليه صلاة معروفة . صحيح ان احرفها متداخلة وتتعقد قراءتها ، ولكن الصلاة تحولت عند الخبير ، الى اسم صاحب القطعة . كما ان قطعة تحمل بيتا شعريا بالفارسية للسعدي معناه « الهي ، اجعل المصير سعيدا » (الهي لكبت محمود كردان) او شيء من هذا القبيل ، ظن الخبير انه توقيع الرسام . وقراه « عن عمل محمود كردان » ، اسم وهمي اخر . الى كل هذا يضاف بعض « الاخطاء » ، كان يقول الخبير : « وعاء نحاسي من تركيا ، صنع فى القرن الثامن عشر » .. فى حين ان نفس الوعاء يبدو مالوفا جدا فى سوق الحميدية فى دمشق ، وتفوح منه رائحة القرن العشرين .

● جهل الهواة . وهم فى معظمهم ايرانيون ولاعطاء امثلة يمكننا ان نبقى فى نفس المزاد الذى تحدثنا عنه (١٨ نيسان ١٩٨٠ فى باريس) . فى هذا المزاد ، رأينا احد الايرانيين يشترى صحنا تركيا من السيراميك يعود للقرن السادس عشر (قطره ٢٩ سم) بمبلغ ٢٣٫٥٠٠ فرنك . فى حين انه يستحيل بيعه فى اوربا باكثر من ١٠ ـ ١٣ الف فرنك فرنسى ، وقطعة من مخمل الحرير صنعت فى ايران فى القرن السادس عشر (١٢٢ × ٤٥ سم) ومصابة باضرار كبيرة بيعت بـ ٢٨٫٥٢١ فرنك . فى حين قطعة قماش صوفية من مصر الفاطمية وعليها النص التالى « نصر من الله لنزار ابي المنصور الامام العزيز بالله امير المؤمنين صلوات الله عليه . باسم الله الرحمن الرحيم » . هذه القطعة تعود الى القرن العاشر ونادرة جدا (٧١ × ٣٢ سم) قدرت قيمتها بـ ١٥ الف فرنك على اقل تقدير ، ولكنها بيعت بـ ٦ آلاف فقط . كما ان معظم المخطوطات والرسوم الهندية بيعت فى نفس المزاد بنصف قيمتها المقدرة . واحيانا اقل .

● عدم انجراف العرب فى هذا السوق وذلك لسببين رئيسيين وهما ان نسبة القطع العربية الأصل لا تتجاوز ١٠٪ من مجموع القطع الفنية الاسلامية المطروحة للبيع فى اوربا . وقد يمكن فهم موقف المتاحف العربية التى لا ترى نفسها مهتمة بقطع فنية من صنع ايران او الهند او تركيا . خاصة وانها لم تستكمل بعد سيطرتها على كنوزها الفنية الخاصة بالبلاد العربية .. والسبب الثانى يكمن في أن مستوى القطع الاسلامية المعروضة فى اوربا لا يضاهي موجودات المتاحف والمكتبات فى الشرق ، بالرغم من ان مخطوطات وكنوز المكتبات العربية لا تلقى الأضواء التى تستحقها .

قلق التجار والهواة

والآن ماذا سيحدث .

١ ـ قد لا يحدث شيء يستحق الذكر ، الا ان اكثر التوقعات تفاؤلا ، والتى تؤكد ان هبوطا ملحوظا فى سوق الفن امر غير وارد ، بدات تعترف بان ارتفاع الأسعار بالشكل الذى عرفناه فى الستينات وبداية السبعينات بات حلما يصعب تحقيقه .

٢ ـ نظام سوق الفن بات يشبه صخرة كبيرة ـ تسندها حصاة صغيرة ، وبامكان اي هاو كبير ، او اي تاجر كبير او وزير ، ان يزيح هذه الحصاة لتتدحرج الصخرة وينهار كل شيء . اذ يكفى اليوم ان يسجل سوق الفن هبوطا لا يتجاوز ٣ ـ ٥٪ كي يسارع الهواة الى طرح مجموعاتهم للبيع بسبب تلقهم والجو المشحون الذي يعيشون فيه حاليا . وهذا ما سيجعل الامور تتطور فى واحد من ثلاثة اتجاهات .

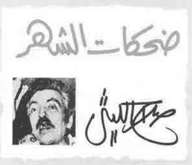
● استمرار هبوط اسعار الأعمال الفنية حتى وصولها الى ادنى مستوى عرفته سابقا ، أى خسارتها ما بين ٢٠ و ٥٠٪ من قيمتها التجارية ، وهذا ما عرفناه سنة ١٩٧٤ . وبعدها يعود الهواة الى الشراء لوقف التدهور وللحفاظ على قيمة ما يملكون .

● ان يتابع الهواة طرح مجموعاتهم للبيع ولو بخسائر كبيرة . فيكونون بذلك اشبه بمن يطفىء النار بالبنزين . خاصة اذا كان المناخ الاقتصادى العام لا يوفر هواة جددا ، وعندها قد تهبط اسعار الأعمال الفنية بنفس الشكل والمستوى الذى هبطت فيه الاسهم الامريكية خلال ازمة ١٩٢٩ .

● ان يتوقف الهواة عن الشراء ، وان يمتنعوا عن البيع تماما ، عندها قد يلجا التجار الى تخفيض الاسعار للترهيب اكثر مما هو للترغيب . ولكن الكل يعلم انه ليس باستطاعة التجار تخفيض اسعار بضائعهم اكثر من ١٠ ـ ١٥٪ على الفنون القديمة ، و ٢٠ ـ ٤٠٪ على الفنون الحديثة . تبدا بعدها سلسلة من إعلانات الافلاس فى صفوف التجار .

قد تبدو هذه التوقعات متشائمة . ولكن وضع سوق الفن حاليا يبرر كل انواع القلق . خاصة وان الفن الذى كان يفترض به ان يكون تعبيرا عن مشاعر وتطلعات انسانية ، وان يقدم الملجا والطمانينة اللذين يبحث عنهما الانسان باستمرار ، تحول الى مصدر لقلق يقض مضاجع المستثمرين من تجار وهواة !

عبود عطية ـ باريس





جاء الشتاء ... !!



بدون كلام

... !!



كرسى هندسى .. !!



الكاتب الجالس القرفصاء .. !!
— .. اتفضل يا بيه .. استريح .. !!



— ... !!

عصر الفضاء

... طبيخ الكوره ... !!

طالب ــ ...يا رب انجح

الايرلنديون المضربون عن الأكل حتى الموت)
حرامى لحرامى .. ونضرب عن السرقة والنهب حتى نموت

أدب سياحي

بقلم : عباس خضر

قرأت المقال الذى كتبه الاستاذ درويش مصطفى الفار فى « الدوحة » – العدد ٧٢ – بعنوان « ادباؤنا والبادية » والذى ذكر فيه أدباء الغرب الذين جاسوا خلال البوادى العربية واندسوا بين البدو وخالطوهم ، ثم الفوا عنهم الكتب ونشروا المقالات والبحوث ، ثم نعى على أدبائنا العرب أن أحداً منهم لم يفعل مثل ذلك ، إذ قال :

« وتتلفت باحثا ، لاهثا ، عن قلم أديب عربى غاص صاحبه فى أعماق الصحراء أو حتى قرب من مشارفها يستطلع البادية والبدو ، فلا تجد » .

اقول : لا داعى لعناء البحث وكفاك الله شر اللهاث .. فمن نحو خمسة عشر عاماً فعلها الكاتب القصصي المصرى صبرى موسى (غير موسى صبرى) إذ منحته وزارة الثقافة المصرية منحة تفرغ لمدة سنة قضاها في « جبل الدرهيب » وهى الصحراء التى تقع شرق الصعيد وتمتد الى البحر الأحمر ، وتشارف حدود السودان جنوباً . وخالط البدو هناك وعايشهم ، ثم كتب رواية اسمها « فساد الأمكنة » كشىء لا مثيل له فى أدبنا العربى الحديث ، واظن انه نال بها جائزة الدولة التشجيعية ، وقد تناول فيها رجالا من البدو ورجلا يونانيا جاء الى هذه البادية وعاش فيها ، ثم لحقت به ابنته واقامت معه .

والحق ان ذلك عمل لم يتكرر ، والحق مع الأستاذ درويش فيما قال ، فى ما عدا رواية صبرى موسى ، الحق معه فى تقرير الظاهرة ، لا فيما أخذه على أدباء العرب ، فادباؤنا مساكين .. من منهم يستطيع أن يترك عمله الذى يرزق منه ويجوب الصحراء ؟ ادباء الغرب يرتزقون من كتاباتهم وتاليفهم ، بل أن كتبهم تدر عليهم ما يعيشون منه مترفين ويسيحون فى الارض . أما نحن فلا أديب منا يحترف الأدب بحيث يستمد من جهده فيه ما يقوم به حياته ، ولولا منحة التفرغ ما استطاع صبرى موسى ان يفعل ما فعل وهل يستطيع الأستاذ درويش ان يفعل ؟ اذا كان يستطيع فهيا ...

الأديب منا يصدر الكتاب فلا يجد له صدى يشعره بان الناس يتجاوبون معه اذا كانت الناس لا تقرا الكتاب فكيف يجوب لهم المؤلف الصحارى ويعيش مع البدو ؟

على أن الذين يستطيعون ذلك من القادرين على الانفاق ليسوا فى الغالب من الأدباء ، وموسرونا يتجهون الى الغرب : الى لندن وباريس وما اليهما طلبا لأجواء اخرى غير التى يعيشون فيها ، كما يأتى بعض الغربيين الى البوادى لنفس الغرض ، فكل منهم مشتاق الى جديد مختلف عما هو فيه .

واقول : ان ما يكتبه السائحون عن البدو والبادية انما هو « أدب سياحى » فلا يعرف دقائق الحياة الا من يكابدها . والنفس الانسانية لها اغوار لا يسبرها الاصاحبها ، فلا يستطيع التعبير الصادق عن البدو الا من كان منهم ، عاش حياتهم التى هى حياته وعرف دخائلها وما يضطرب فى أعماق أهلها .

حتى رواية « فساد الأمكنة » لا أظنها صورت وعبرت كما كان يمكن ان تكون لو كتبها واحد من أهل الدرهيب تيسر له أن يتعلم ويتادب .

عرفت شاباً نوبياً أديباً اسمه عبد الوهاب الأسوانى كان قد تقدم بقصة الى مسابقة نادى القصة بالقاهرة ، ففاز بالجائزة الأولى . كانت القصة عن ناس من بلاد النوبة ، وكنت أحد المحكمين فى المسابقة ، ولابد أن القصة أعجبتنى فأعطيتها الدرجة القصوى . رانى عبد الوهاب داخلا الى دار مجلة الاذاعة وكان رئيس تحريرها الأستاذ رجاء النقاش ، وكان هو محررا بها ، فتفضل بتقديم نفسه الى ، وذكرنى بقصته الفائزة ، وكنت سعيداً بمعرفته ، وان كان اللقاء الشخصى لم يتكرر ، ولكن اللقاء الأدبى لم ينقطع ، إذ قرات له عدداً من القصص النوبية . لم أقرا أدباً عن بلاد النوبة مثل ما قرات لعبد الوهاب الاسوانى عن قومه النوبيين .

ويذكرنى ذلك بالرحلات التى كانت تنظمها جمعية الأدباء بالقاهرة الى غزة ، كى نرى هناك اللاجئين الفلسطينيين فى خيامهم وسوء حالهم . فننفعل ونكتب عنهم .. وكان معنا المرحوم مأمون ابو شوشة الأديب الاذاعى الذى كان مشهوراً اذ ذاك ولم يعد يذكر الآن ، كان ظريفاً فى تعليقاته ونكاته ، رآه أحد الزملاء خارجاً من الفندق فقال له : الى اين ؟ : قال ذاهب لأنفعل !

لم يكتب كاتب ولم يقل شاعر عن محنة فلسطين مثلما كتب وقال الفلسطينيون العائشون فى الأرض المحتلة ، وحسبك منهم فدوى طوقان .

واقول أخيراً : ان مجلتنا هذه « الدوحة » وقد اقترح عليها الأستاذ درويش أن تفعل شيئاً فى هذا الموضوع ، تستطيع ان تتحفنا باستطلاع او تحقيق صحفى عن احدى البوادى ، اما الأدب الصادق العميق الذى يرجى أن يكتب عن البدو فلن يكتبه غير البدو أنفسهم حينما يتاح لهم ذلك .

عباس خضر